شباب تونس يصنع مفاهيمه الحياتية

ص19

وائل أبوفاعور

جنبلاط ألبس تيمور الكوفية ولم يلبسه عباءة الزعامة

ص8

كشف أدبي:

وثائق عن أبي خليل القباني في أميركا

ص12،13

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/03/04

16 جمادى الثانية 1439

السنة 40 العدد 10918

Sunday 04/03/2018

40th Year, Issue 10918

مبعوثان أميركيان إلى الخليج: وساطة لا تستوعب تعقيدات الأزمة

❑ **الرياض** – اعتبرت أوساط خليجية أن مقاربة إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب للأزمة القطرية تتسم بالارتجال والغموض، ما يضع العراقيل أمام جهودها للوساطة بين قطر والرباعي المقاطع.

وأشارت الأوساط الخليجية إلى أن إرسال البيت الأبيض لمبعوثين إلى دول المنطقة مرة أخرى لن يحل الأزمة، ذلك أن المشكلة ليست في غياب الوسطاء لمعرفة مواقف مختلف الأطراف، فهذا ما حصل في بداية الأزمة، بل في إصرار الدوحة على عدم تطبيق ما التزمت به في 2013 و2014 بقطع صلاتها بالجماعات المصنفة إرهابية في المنطقة، ووقف حملاتها الإعلامية ضد جيرانها وضد مصر، والالتزام بموقف مجلس التعاون الخليجي الرافض لأي وجود أجنبي على أراضي دوله الست، فيما تستقبل قطر قوات تركية على أراضيها وتقيم علاقات مثيرة للجدل مع إيران بما يتناقض مع الأمن الإقليمي لجيرانها.

وذكرت وكالة أنباء أسوشيتد برس أن إدارة ترامب سترسل خلال أيام كلا من تيم ليندركينج، وهو أكبر مسؤول بوزارة الخارجية متخصص بالشأن الخليجي، والجنرال المتقاعد أنطوني زيني، إلى المنطقة.

وأضافت أن البيت الأبيض لا يرى أي فائدة في عقد قمة خليجية بكامب ديفيد في مايو المقبل لحل أزمة الخليج الحالية إذا لم تحقق الدول المعنية تقدما نحو حل النزاع.

ووصفت مراجع خليجية واشنطن بوضع العراقيل أمام وساطتها من خلال اقتراح فتح فجوة في المقاطعة والسماح للطائرات القطرية باستعمال أجواء تابعة للسعودية أو الإمارات دون أن تضغط على الدوحة لتقديم تنازلات تظهر من خلالها رغبتها في الخروج من الأزمة الخانقة التي تعيشها.

وأشارت المراجع إلى أن غياب رؤية واضحة لإدارة ترامب، فضلا عن تعدد جهات القرار داخلها، جعل من الصعب على الرباعي المقاطع أن يراهن على الدور الأميركي كمساعد في الحل، فضلا عن القبول بعقد قمة خليجية في الولايات المتحدة دون أن تصارح الولايات المتحدة الفرقاء برؤيتها للأزمة والمقاربة التي تعرضها للتوصل إلى حل.

وأكدت أنه من الصعب أن يقبل المسؤولون في الدول الأربع حضور قمة لا هدف منها سوى تجميع الفرقاء، وتسليط الأضواء على دور الرئيس الأميركي في ترتيب "الاجتماع المستحيل"، لافتة إلى أن مجلس التعاون يبقى هو الفضاء الأفضل لحل الخلافات بشكل دائم، بدل اجتماعات المجاملة التي لن تزيد سوى في تأزيم الوضع وإطالة الأزمة كونها تساعد قطر على المزيد من المكابرة بدل الجلوس إلى طاولة التفاوض.

ولا تتحمس الدول الأربع المقاطعة لتعدد الوسطاء في الأزمة وتعتبره جزءا من خطة قطر للهروب إلى الأمام وتدعو صراحة إلى الاكتفاء بوساطة كويتية هي الأقرب لفهم طبيعة الأزمة وسبل الخروج منها.

ويرى الرباعي المقاطع أن الأزمة خليجية ـ خليجية ولا بد أن يتم حلها داخل مجلس التعاون وليس خارجه، وأن أي اتفاق لا بد أن يتم في السعودية التي شهدت توقيع قطر على اتفاق الرياض في 2013 والاتفاق التكميلي في 2014.

وجدد وزير الدولة للشؤون الخارجية الإماراتي أنور قرقاش، تأكيده على أن السعودية هي القطب الإقليمي المهم، وأن خروج قطر من أزمتها حلّه خليجي وبوابته الرياض.

وساطة لا تبحث عن حل

أكراد العراق يهددون بمقاطعة العملية السياسية بعد تمرير الموازنة

❑ **بغداد** – أقر البرلمان العراقي، السبت، قانون الموازنة لعام 2018، وسط مقاطعة كردية تضمنت تهديدا بالانسحاب من العملية السياسية برمتها، إذا لم ترفع بغداد النسبة المخصصة للإقليم من 12.6 إلى 17 بالمئة.

وتقدر الموازنة حجم الإنفاق العام خلال العام الجاري بنحو 88 مليار دولار، بنسبة عجز في الإيرادات بلغت نحو 10 بالمئة، وهي الأدنى بين موازنات الأعوام القليلة الماضية.

وفي حالة توافق نادرة، قرر النواب الشيعة والسنة، السبت، إكمال النصاب الذي عطلته المعارضة الكردية، الخميس. وحشد كل من التحالف الوطني، وهو الكتلة الشيعية في البرلمان، واتحاد القوى الذي يمثل الكتلة السنية، أكثر من 170 نائبا، خلال جلسة التصويت على الموازنة.

ومع حشد هذا العدد من النواب، لم تعد هناك قيمة للاعتراض الكردي، إذ يكفي حضور نصف أعضاء المجلس زائد واحد، لضمان قانونية أي جلسة.

ويتكون البرلمان العراقي من 328 نائبا.

وقال النائب عن الاتحاد الإسلامي الكردستاني عادل نوري، إن "التحالف الوطني واتحاد القوى يحاولان إقصاء المكون الكردي". وأضاف، "في حال استخدام طريقة الغالب والمغلوب، فإن الأكراد سوف ينسحبون من العملية السياسية".

وطالب النائب الكردي سيروان سيريني عن الحزب الديمقراطي الكردستاني، بزعامة مسعود البارزاني، "رئيس الجمهورية فؤاد معصوم وقادة الإقليم بمقاطعة العملية السياسية والانتخابات المقبلة، وعقد مؤتمر دولي لإيجاد نموذج آخر للحكم في العراق بعد المواقف الخطيرة والإصرار على تمرير الموازنة بصيغتها الحالية، التي تقلص من حصة الإقليم"، معتبرا أن ما جرى تحت قبة البرلمان "مخطط لتقسيم العراق وتهميش الأكراد والانقلاب على الشراكة وتطبيق لسياسة ولاية الفقيه التي أصبحت تقود العراق".

وتابع سيريني "لا يمكننا السكوت والبقاء كمتفرجين على المهزلة التي تجري تحت قبة البرلمان بحق الأكراد والاستمرار بسياسة الشوفينية والنعرة القومية وخصوصا في شهر مارس شهر الانتفاضات الكردية والشهداء الأكراد".

سيروان سيريني

ما جرى تحت قبة البرلمان مخطط لتقسيم العراق وتهميش الأكراد

وتقول مصادر سياسية في بغداد، إن الساسة الأكراد سيلجأون إلى أحد ثلاثة خيارات، للتعامل مع واقع الحال الذي صنعه تحالف شيعي سني بشأن الموازنة.

ويتمثل الخيار الأول في الانسحاب "المؤقت" من العملية السياسية، بانتظار وساطات دولية وضغوط خارجية لإجبار بغداد على تعديل حصة كردستان.

وتعتقد القيادة السياسية الكردية أن المجتمع الدولي لن يقف متفرجا على بغداد وهي "تعاقب كردستان، جراء استفتاء الانفصال في الخامس والعشرين من سبتمبر".

وأبلغ سياسي كردي بارز "العرب" بأن أربيل، عاصمة الإقليم الكردي، "بصدد اتخاذ إجراءات لتصعيد موقف الموازنة دوليا". وقال إن "بغداد تعاقبنا على الاستفتاء بخفض حصتنا من الموازنة".

وأضاف "هذا التعامل هو أوضح دليل على أن العيش المشترك في العراق كذبة سياسية". وختم قائلا، "يريدون إذلالنا ويستغربون من مساعينا للانفصال".

ولكنّ مراقبين يقولون إن هذا الخيار يذكر الأكراد بتجربتهم في الاستفتاء، حيث عولوا على الدعم الدولي كثيرا، لكن التدخل كان عكس طموحهم تماما، بل وأسهم في تعزيز موقف بغداد ضدهم.

وتقول المصادر إن الخيار الكردي الثاني، يتمثل في اللجوء إلى المحكمة الاتحادية العليا للطعن في الموازنة. ويمكن للمحكمة، عمليا، أن تدعم ادعاءات الأكراد بشأن الإجحاف بحقوقهم لو وجدت مدعاة قانونية، ما يلزم الحكومة بتعديل الموازنة.

ومع ذلك، فإن هذا الخيار غير مضمون، نظرا للشعور الكردي بأن المحكمة الاتحادية المسؤولة عن حسم النزاعات الدستورية ستميل نحو بغداد على حسابهم، كما أن لجوءهم إليها، يعني اعترافا كرديا ضمنيا بسلطاتها، وهو ما لا تريده أربيل.

أما الخيار الثالث والأخير، فهو قبول نسبة 12.6 بالمئة التي حددتها الموازنة للإقليم، لكن ذلك سيمثل إذعانا كرديا لبغداد، ويكرس فكرة الغالب والمغلوب في ذهنية الناخب الكردي، وهو ما تخشى الأحزاب الكردية أن تعاقب عليه خلال انتخابات مايو.

وبعد الانتهاء من جلسة التصويت، أعلن رئيس البرلمان سليم الجبوري أن مجلس النواب العراقي أنهى آخر موازنة في دورته الحالية، قبل الانتخابات العامة في 12 مايو.

وأوضح أن الموازنة تضمنت إعطاء الصلاحية لمجلس الوزراء بإضافة تخصيصات، إذا حصل أي نقص حول رواتب الموظفين وشبكة الحماية الاجتماعية.

حملة دعائية من إخوان اليمن للتشكيك في نجاحات التحالف العربي

● تسريب إشاعات لخلق خلاف بين الحكومة وقوات التحالف ● الازدواج في مواقف قيادات حزب الإصلاح تبادل أدوار لابتزاز الشرعية

❑ **عدن** – قالت مصادر سياسية يمنية مطلعة إن تصاعد موجة الإشاعات التي تستهدف دور التحالف العربي في اليمن وتسعى لشيطنته، تعكس حالة القلق التي تنتاب النظام القطري والتنظيم الدولي لجماعة الإخوان من الحسم في الملف اليمني واقتراب هزيمة الميليشيات الحوثية.

وأكدت المصادر إشراف الدوحة وتمويلها لغرفة عمليات خاصة بهذا الغرض، تعمل بالتنسيق مع التيار الإخواني في اليمن على ضخ الأخبار الكاذبة والتشكيك في دور التحالف العربي واختلاق الأكاذيب التي سرعان ما يتم نفي الكثير منها من قبل الجهات المسؤولة في الحكومة اليمنية أو التحالف العربي لدعم الشرعية بقيادة السعودية.

وتستخدم قطر عبر نفوذها في أوساط الإخوان في اليمن، الآلة الإعلامية الضخمة للحزب، إلى جانب توظيف حالة التناغم بين ناشطيه الإعلاميين والسياسيين على مواقع التواصل الاجتماعي الذين سرعان ما يقومون بتناقل التسريبات والأخبار المفبركة، وهو الأمر الذي دفع حزب الإصلاح إلى الإعلان أكثر من مرة عن كون مواقف عناصره وبعض قياداته لا تعبر عن موقفه الرسمي.

وأعلن حزب الإصلاح في وقت سابق عن تجميد عضوية الناشطة الإخوانية توكل كرمان التي تشغل منصب عضو مجلس شورى الحزب عقب تصاعد هجومها على دول التحالف العربي، في الوقت الذي لا يزال فيه العديد من قيادات الحزب من بينهم أعضاء في مجلس الشورى وقيادات من الصف الثاني يهاجمون دور التحالف العربي في اليمن.

ويرى العديد من المراقبين أن تبرؤ حزب الإصلاح من تصريحات ومواقف بعض قياداته على صفحات التواصل الاجتماعي يعكس حالة الانقسام الشديدة في صفوف التنظيم، في ظل ظهور تيار جديد يتبنى خطابا متطرفا يدعو إلى الاصطفاف ضد مصالح اليمن وتبني الموقف القطري والحوار مع الميليشيات الحوثية، فيما يرجح مراقبون أن يكون الازدواج في مواقف قيادات وقواعد الحزب جزءا من استراتيجية تبادل أدوار يتم اتباعها لابتزاز التحالف العربي والحكومة الشرعية.

وفي أحدث موقف للرئاسة اليمنية من الشائعات الممنهجة التي تبثها وسائل إعلام يمنية مدعومة من قطر على لسان مسؤولين حكوميين لا يتم الكشف عن هويتهم عادة، عبر مصدر مسؤول في مكتب رئاسة الجمهورية عن استغرابه وسخريته مما تداولته بعض المواقع الإخبارية من أنباء زائفة عن مشادة كلامية حصلت خلال لقاء جمع الرئيس عبدربه منصور هادي مع مسؤول من التحالف العربي وما رافق هذه الأنباء من سرد لوقائع من نسج خيال ضعفاء النفوس.

واعتبر المصدر في تصريح نشرته وكالة الأنباء اليمنية الرسمية (سبأ) "أن ما تداولته بعض المواقع الإخبارية من تدليس واختلاق للأكاذيب، يعبر عن مكنونات مريضة ونفسيات مأزومة تسعى من وراء الترويج لمثل هذه الشائعات إلى تحقيق أهداف رخيصة وبغيضة"، نافيا في الوقت نفسه جملة وتفصيلا ما أشيع عن اللقاء.

وكانت الأيام القليلة الماضية قد شهدت سيلا من الأخبار المفبركة التي تسعى للإساءة لدور التحالف العربي في اليمن وعلاقته بالشرعية، والتشكيك في نواياه، وتشويه أعماله الإيجابية، ومن ذلك الحديث المتكرر عن استهداف طيران التحالف العربي لقوات الشرعية في نهم وصرواح والعديد من الجبهات الأخرى وهي الأخبار التي يتناقلها ناشطون محسوبون على حزب الإصلاح وتروج لها وسائل إعلام قطرية مثل قناة الجزيرة.

واختلقت القناة القطرية خبرا عن تراجع السعودية عن إيداع مبلغ 2 مليار وعدت بتقديمها كدعم للبنك المركزي اليمني للحيلولة دون انهيار العملة اليمنية، ونفى البنك المركزي اليمني في بيان صحافي صحة الأخبار المتناقلة عن تأجيل الوديعة السعودية.

وأشار البيان إلى "أن مثل تلك الأخبار الملفقة تصدر من جهات وأشخاص تكنّ العداء والحقد للشعب اليمني بكامله دون تفريق كون الأمر متعلقا بالاقتصاد الذي يفاقم الوضع الإنساني المتدهور".

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

سيادة المغرب على أراضيه أساس المباحثات مع كولر

المبعوث الأممي إلى الصحراء يرعى مفاوضات لإيجاد حل نهائي للنزاع المفتعل

تبدي الرباط مرونة كبيرة في تعاملها مع المفاوضات التي يجريها المبعوث الأممي إلى الصحراء المغربية هورست كولر، طالما أنه يحترم مبدأ سيادتها على أراضيها. والثلاثاء، سيلتقي وفد مغربي بالمبعوث الأممي في لشبونة في سياق مشاورات تهدف إلى إيجاد تسوية نهائية للنزاع في الصحراء المغربية.

محمد بن امحمد العلوي

❑ **الرباط** – يشارك وفد مغربي يترأسه وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة في لقاء مع المبعوث الأممي إلى الصحراء هورست كولر، يهدف للتوصل إلى حل سياسي نهائي للخلاف الإقليمي حول الصحراء المغربية، سيجري الثلاثاء في لشبونة.

ويرى سعيد الصديقي، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة العين للعلوم والتكنولوجيا بأبوظبي، في تصريح لـ"العرب"، أن هدف اللقاء هو معرفة رؤية المبعوث الأممي الجديد للتسوية الممكنة لقضية الصحراء وأيضا ليقدم الوفد المغربي تصوره لشروط استئناف المفاوضات خاصة ما يتعلق بالسيادة المغربية على الإقليم والتي ينبغي أن يحترمها أي مقترح جديد لحل القضية.

ويقول الصديقي إنه باستثناء هذا الشرط يمكن أن يترك المغرب الباب واسعا لمقترحات المبعوث الأممي، بما في ذلك البحث عن أرضية جديدة لهذه للمفاوضات.

وأعلنت وزارة الخارجية المغربية، في بيان أصدرته الجمعة، أن وفدا يقوده وزير الخارجية ناصر بوريطة يلتقي الثلاثاء في لشبونة المبعوث الخاص للأمم المتحدة للصحراء المغربية هورست كولر لإجراء "محادثات ثنائية".

وقالت الوزارة في بيانها إن مشاركة الجانب المغربي في هذا اللقاء "بدعوة من المبعوث الخاص"، تهدف إلى "التوصل إلى حل سياسي نهائي للخلاف الإقليمي حول الصحراء".

وأشارت الوزارة إلى أن الوفد المغربي "ستوجهه خلال هذا اللقاء الثنائي أسس الموقف الوطني" أي رفض أي حل باستثناء الحكم الذاتي.

> إصرار البوليساريو المدعومة من الجزائر على مواقفها المتعلقة بالانفصال، يجعل مهمة المبعوث الأممي شبه مستحيلة في تسوية للنزاع بشكل كامل

وكان العاهل المغربي الملك محمد السادس قد حدد الأسس التي لا يمكن المساس بها في أي مفاوضات حول قضية الوحدة الترابية للمملكة. وتتجسد شروط التفاوض التي حددها المغرب في عدم وجود أي حل لقضية الصحراء خارج سيادة المغرب الكاملة على صحرائه ومبادرة الحكم الذاتي، التي يشهد المجتمع الدولي بجديتها ومصداقيتها. كما تشدد الرباط على أهمية الاستفادة من الدروس، التي أبانت عنها التجارب السابقة، بأن المشكل لا يكمن في الوصول إلى حل وإنما في المسار الذي يؤدي إليه. ومن هذا المنطلق يتعين على جميع الأطراف، التي بادرت إلى اختلاق النزاع حول الصحراء المغربية، أن تتحمل مسؤوليتها كاملة من أجل إيجاد حل نهائي له.

ويتمسك المغرب بالالتزام التام بالمرجعيات التي اعتمدها مجلس الأمن الدولي لمعالجة هذا النزاع الإقليمي المفتعل، باعتباره الهيئة الدولية الوحيدة المكلفة برعاية مسار التسوية. وإلى جانب ذلك، ترفض الرباط بشكل قاطع أي تجاوز أو محاولة للمس بالحقوق المشروعة للمغرب وبمصالحه العليا وأي مقترحات متجاوزة للانحراف بمسار التسوية عن المرجعيات المعتمدة، أو إقحام مواضيع أخرى تتم معالجتها من قبل المؤسسات المختصة.

وأفاد الصديقي بأن الظروف الموضوعية الحالية للمنطقة لا تدعو إلى التفاؤل، خاصة مع إصرار جبهة البوليساريو المدعومة من الجزائر على مواقفها التقليدية المتعلقة بالانفصال، إذ يرى أن هذا الأمر "سيجعل مهمة المبعوث الأممي شبه مستحيلة في تسوية للنزاع بشكل كامل".

وسبق لكولر أن دعا أطراف النزاع إلى عقد اجتماعات منفصلة في العاصمة الألمانية برلين، بعد سلسلة من اللقاءات الدبلوماسية التي أجراها في أوروبا وأفريقيا.

ويشارك في المحادثات المرتقبة حمدي ولد الرشيد رئيس جهة العيون الساقية الحمراء، وينجا الخطاط رئيس جهة الداخلة وادي الذهب، وبحضور عمر هلال الممثل الدائم للمغرب لدى الأمم المتحدة.

وهذه ليست المرة الأولى التي تشارك فيها شخصيات صحراوية في وفود تفاوض، حيث يرى الصديقي أنه لا توجد أي دلالة لسفرهما مع الوفد إلا إذا شاركا في المفاوضات المباشرة مستقبلا. ويستبعد الصديقي ذلك باعتبار أن "البوليساريو ترفض هذا بشدة"، مؤكدا أن تواجدهما مع الوفد لن يغير من الترتيبات التي يشتغل عليها كولر حاليا.

ويأتي هذا اللقاء في وقت تلوح فيه بوادر أزمة بين المغرب والاتحاد الأوروبي بعد أن قضت المحكمة الأوروبية باستثناء منتجات الأقاليم الجنوبية من اتفاق الصيد البحري الموقع بين الطرفين. ورفضت المملكة المغربية هذا الحكم، حيث أكد رئيس الحكومة سعدالدين العثماني أن المغرب "لا يمكنه أن يقبل ولن يقبل مستقبلا أي مساس بهذه الثوابت الوطنية".

وأضاف العثماني، في وقت سابق، مؤكدا على أن المغرب "ينطلق من هذه الثوابت في علاقاته الخارجية ويبقى مرنا في مفاوضاته وعلاقات التعاون والشراكات التي تجمعه بدول العالم وهو يعتز بتنوع علاقاته الدولية

التزام بالمبادئ

وتوازنها". وتابع أن الرباط ستبقى وفية لشركائها ولن تتردد في المضي قدما في الدفاع عن مصالحها "بناء على هذه الثوابت الوطنية".

ويقول مراقبون إن رد المغرب على قرار المحكمة الأوروبية ينسحب على المباحثات المرتقبة مع هورست كولر، حيث لا يريد أن تكون قضية ثروات الأقاليم الصحراوية مجال مناقشة سياسية مع المبعوث الأممي، باعتبار أنها "جزء أصيل من سيادته لا يمكن التفريط فيها أو تفويضها لأي جهة".

وكان كولر قد دعا في 23 يناير الماضي وزراء خارجية المغرب والجزائر وموريتانيا ومسؤولا في البوليساريو إلى برلين لإجراء مباحثات. واستقبل في 25 يناير وفدا من البوليساريو في برلين.

ويرى الصديقي أن المغرب مقتنع بعدم وجود الظروف الملائمة لنجاح أي مبادرة في هذا الوقت، ومع ذلك سيستجيب لأي دعوة إلى مفاوضات جديدة من باب التعبير عن حسن النوايا لا سيما إذا كانت هذه المبادرة تحترم السيادة المغربية على الإقليم.

وتتمسك الرباط بوحدة أراضيها وتقترح الحكم الذاتي تحت سيادتها حلا لتسوية النزاع في إقليم الصحراء المغربية. لكن جبهة البوليساريو المدعومة من الجزائر ترفض هذا المقترح وتطالب بانفصال الإقليم عن المغرب.

وتم تعيين كولر الرئيس الألماني السابق مبعوثا للصحراء في أغسطس 2017. وقام كولر في أكتوبر الماضي بأولى جولاته في المنطقة ويعمل جاهدا لدفع المباحثات حول هذا النزاع المستمر منذ عقود.

نزوح المئات من الليبيين جراء الاشتباكات في سبها

❑ **طرابلس** – كشف المجلس البلدي في سبها جنوبي ليبيا، السبت، عن نزوح نحو 120 عائلة من حي الطيوري من منازلهم جراء الاشتباكات التي تشهدها المدينة منذ الأحد الماضي.

والطيوري هو أحد أحياء المدينة الخاضعة لسيطرة حكومة الوفاق الليبية، ويتكون من منازل مبنية من الصفيح وغالبية سكانه من الطوارق والتبو.

وتشهد سبها، منذ الأحد الماضي، اشتباكات بين قبيلتي التبو وأولاد سليمان اللتين يقاتل مسلحون من كل منهما مع قوات تابعة لحكومة الوفاق ومع الجيش الليبي الذي يقوده المشير خليفة حفتر في الشرق الليبي.

وقال المجلس، في بيان نشرته وكالة الأنباء الليبية، إنه شكل لجنة لحصر النازحين وتلبية احتياجاتهم. وأشار إلى أنه تم تسجيل 700 نازح من البالغين بين النساء والرجال بالإضافة إلى 200 طفل.

وتشهد مدينة سبها منذ الجمعة هدوءا حذرا. ووصل السبت وفد من أعيان وحكماء العاصمة طرابلس إلى المدينة للعمل على تهدئة الوضع، وفق مصادر محلية.

والخميس الماضي، طالب المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق بوقف فوري لإطلاق النار بمدينة سبها.

وأعرب المجلس الرئاسي عن "بالغ الأسف لتطورات الموقف في سبها وما تشهده المدينة من اشتباكات وتقاتل بين إخوة ليبيين، في خرق لما توصلوا إليه من اتفاق مصالحة".

وأكد بأنه يقف على مسافة واحدة من جميع الأطراف، ويدعوها إلى الاحتكام للعقل وأن تعود إلى نهج الحوار والتفاهم.

وأعلن المجلس الرئاسي عن لجنة مشتركة تضم أعضاء منه ومن مجلس النواب المنعقد شرقي البلاد والمجلس الأعلى للدولة (غرفة نيابية استشارية)، للوقوف على تحقيق التهدئة وإعادة الاستقرار للجنوب.

والخميس، أعربت الأمم المتحدة عن قلقها البالغ إزاء تصاعد النزاع المسلح في مدينة سبها.

وقال استيفان دوغريك، المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة، إن مكتب المنظمة لتنسيق الشؤون الإنسانية، "قلق للغاية" إزاء تكثيف النزاع المسلح في سبها.

وأضاف دوغريك، خلال مؤتمر صحافي عقده بمقر المنظمة بنيويورك، "استهدف مستشفى سبها الرئيسي عدة مرات في تبادل لإطلاق النار خلال هذه الفترة".

وتابع أن "تقارير أفادت بفرار نحو 600 شخص من الأحياء المتضررة، إلى مواقع أخرى في المدينة".

وكانت بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، قد أعربت الخميس، عن "قلقها" من التصعيد العسكري في سبها، مؤكدة أنه خلف ما لا يقل عن مقتل 6 مدنيين وإصابة 9 آخرين بجروح.

ودعت البعثة إلى "ضرورة وقف الاستخدام العشوائي للأسلحة في المناطق المكتظة بالسكان".

ويعود الصراع بين قبيلتي التبو وأولاد سليمان إلى عام 2012، عندما قتل مسلحون من الأولى أحد قادة القبيلة الثانية.

في منطقة قرب سبها ورعت إيطاليا، في أبريل 2017، توقيع القبيلتين على اتفاق مصالحة في العاصمة روما.

ضغوط دبلوماسية على الجزائر لثنيها على قرار حظر الاستيراد

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – وقعت الدبلوماسية الجزائرية في حرج جديد أمام شركائها الأجانب، خاصة الأوروبيين والأسيويين، لإقناعهم بعقلانية القرار الحكومي بحظر استيراد مواد استهلاكية، أمام توجه الحكومة إلى إدراج سلع أخرى في اللائحة الأولى بدعوى "عقلنة" إنفاق رصيد النقد الأجنبي ومواجهة تداعيات الأزمة الاقتصادية.

وأبدت العديد من السفارات والحكومات الأوروبية انزعاجا شديدا من خيارات الحكومة الجزائرية، القاضية بحظر نحو ألف مادة استهلاكية يتم استيرادها من الاتحاد الأوروبي. ودخل مسؤولون أوروبيون كبار في اتصالات مباشرة مع البعض من أعضاء الحكومة الجزائرية من بينهم وزراء التجارة والمالية والخارجية لشرح تأثير القرار على المنتجين المحليين في أوروبا، وتعارض ذلك مع بنود الاتفاق الموقع بين الطرفين في العام 2005. وباتت العلاقات الجزائرية الأوروبية محل توتر غير معلن، خاصة مع ضغط دول من التكتل على هيئة الاتحاد الأوروبي لاتخاذ الإجراءات المناسبة تجاه القرار الجزائري. ولا تستبعد أوساط مختلفة إمكانية اللجوء إلى المعاملة بالمثل مع الجزائر، من خلال مراجعة البعض من اتفاقيات التبادل التجاري بين الطرفين وتوظيف أوراق ضغط أخرى من بينها ملفات حقوق الإنسان والحريات والهجرة وتنقل الأشخاص.

وكان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قد لمح خلال زيارته للجزائر في ديسمبر الماضي، بأن "مسألة الهجرة والتأشيرة التي طرحت بقوة لا تتعلق بالحكومة الفرنسية لوحدها وإنما بنظام فضاء شنغن (منطقة التنقل الحر للاتحاد الأوروبي)، وفرنسا هي طرف فيه كباقي الأطراف الأخرى"، ما يوحي بالتزام باريس بنصوص ومواثيق الاتحاد الأوروبي قبل التعاطي مع أي شريك آخر مهما كانت أهميته بالنسبة إليها.

وتعترض الحكومة الجزائرية صعوبات عديدة في توقيع اتفاقيات تموين البعض من دول الاتحاد بالغاز بسبب اصطدام رغبتها في الوصول إلى اتفاقيات بعيدة المدى بمنافسة شرسة للغاز الروسي على الأسواق الأوروبية. كما يصر الطرف الأوروبي على ربط اتفاقيات الغاز بأسعار النفط، فضلا عن التهديد المبطن باللجوء إلى المعاملة بالمثل بعد حظرها لنحو 900 مادة استهلاكية يأتي معظمها من الأسواق الأوروبية.

الوضع غير مريح

ولم يعد الأمر يتعلق بدول الاتحاد الأوروبي وحده بل تعداه إلى شركاء آخرين كالصين وتركيا، حيث أعرب الرئيس رجب طيب أردوغان خلال زيارته الأخيرة للجزائر عن امتعاضه من القرار الحكومي. وألمح أردوغان إلى أن القرار الجزائري يعيق نية قيادة البلدين في رفع سقف المبادلات الثنائية إلى خمسة مليارات دولار.

وكان فاعلون اقتصاديون في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا قد طلبوا من حكومات بلدانهم الضغط على الجزائر، من أجل مراجعة قرارها، وهو ما تجسد في سلسلة من الاتصالات التي يجريها عدد من السفراء الأوروبيين مع وزراء جزائريين لثني الحكومة على قرارها.

ومن المتوقع أن يكون حظر الاستيراد على رأس جدول أعمال اجتماع غرفة الصناعة والتجارة الذي سيجري هذا الأسبوع بالعاصمة الجزائرية، للنظر في المنازعات القانونية والقضائية الناجمة عنها، خاصة أن المسألة تتعلق في البعض من الحالات باتفاقيات موقعة مما ستنجر عنه متاعب كبيرة للجزائر في حال اللجوء إلى التحكيم الدولي.

وتزامن الجدل الذي شهدته الأوساط الدبلوماسية والقانونية حول قرار حظر استيراد المواد الاستهلاكية، مع تنظيم أسبوع التعاون الأوروبي الجزائري في بروكسل الأسبوع الماضي. وتناولت فعاليات أسبوع التعاون بين الجزائر والاتحاد الأوروبي مواضيع تتعلق بالسياسة والأمن وحقوق الإنسان والعدالة والهجرة وتنقل الأشخاص.

> العلاقات الجزائرية الأوروبية باتت محل توتر غير معلن، خاصة مع ضغط دول من التكتل لاتخاذ الاتحاد الأوروبي الإجراءات المناسبة للرد على القرار الجزائري

ولا يستبعد أن يكون النقاش قد اصطدم بعدة معوقات تهدد الاتفاق الذي وقع بين الطرفين، بما في ذلك تضرر المصالح الأوروبية وبنود الاتفاق من قرار الحكومة الجزائرية فضلا عن تراجع الجزائر في تصنيف البعض من التقارير الدولية المتعلقة بالحريات والديمقراطية. وصنف التقرير الأخير لمنظمة العفو الدولية الجزائر ضمن الدول المعادية للمهاجرين والنازحين والمضايقة للحريات النقابية والإعلامية والدينية.

وتعتبر نخب سياسية ورسمية في الجزائر أن "اتفاق الشراكة مع الاتحاد الأوروبي غير متكافئ ولم يراع المصالح الجزائرية". ولم يتوان رئيس الوزراء الجزائري أحمد أويحيى عن الدعوة إلى مراجعته قياسا بالأضرار الناجمة عن سياسة التفكيك الجمركي وافتقاد الجزائر إلى صادرات عكس الأوروبيين "للاستفادة من مزية التفكيك المذكورة".

وأوضحت الدبلوماسية الأوروبية أن "هذه الاجتماعات مكنت من تحديد سبل تكثيف العلاقات السياسية والأمنية والقضائية والهجرة".

تقدم الجيش اليمني على أكثر من جبهة ضد الحوثيين

مقتل المئات من المتمردين في محافظة تعز خلال فبراير الماضي

حققت القوات الحكومية اليمنية تقدما لافتا في مناطق من البلاد تحاصرها الميليشيات الحوثية التي تحرضها إيران. وأعلن الجيش اليمني عن وقوع خسائر بشرية ومادية كبيرة في جبهة جماعة الحوثي الانقلابية، في عملية عسكرية ناجحة ساهمت فيها بشكل كبير قوات التحالف العربي الداعم للشرعية بقيادة السعودية.

شموخ في مواجهة نوايا التخريب

❑ **صنعاء** – يحرز الجيش اليمني تقدما كبيرا على عدة جبهات ضد الميليشيات الحوثية المدعومة من إيران، إذ تتواصل هزائم الحوثيين في المناطق التي يحاصرونها أو التي يفرضون عليها سيطرتهم.

وأعلنت قوات الجيش الموالية للرئيس اليمني عبدربه منصور هادي، السبت، عن مقتل 613 مسلحا من جماعة أنصارالله الحوثية في معارك اندلعت خلال شهر فبراير الماضي بمحافظة تعز الواقعة على بعد 275 كيلومترا جنوبي صنعاء.

وصدر التقرير عن قيادة محور تعز العسكري، الذي تحدث أيضا عن جرح 1027 آخرين في المواجهات ذاتها. وأوضح أن من بين القتلى الحوثيين قيادات ميدانية تشرف على مناطق في المحافظة، مشيرا إلى أن قوات الجيش الحكومي تقدمت في المدينة وحررت عددا من المواقع.

من جهة أخرى، أعلن أحمد المصعبي القيادي بالمقاومة الشعبية الموالية للجيش اليمني، السبت، عن مقتل 27 من مسلحي جماعة أنصارالله الحوثية وأسر 19 آخرين في عملية عسكرية تشنها القوات الحكومية منذ الأربعاء الماضي في محافظة البيضاء وسط البلاد. وقال المصعبي إن اثنين من القوات الحكومية قتلا خلال العملية، كما أصيب 7 آخرين بجروح مختلفة.

وأوضح المصدر أن قوات الجيش، سيطرت السبت على مواقع استراتيجية، إثر معارك مع الحوثيين بمديرية ناطع بذات المحافظة. وتابع قائلا إن "قوات الجيش والمقاومة تواصل العملية العسكرية التي أطلقتها الأربعاء الماضي، لاستعادة السيطرة على ما تبقى من مناطق بمديرية ناطع تقع تحت سيطرة مسلحي جماعة الحوثي".

وأشار إلى أن القوات الحكومية "سيطرت على الأجزاء الجنوبية من سلسلة جبال الظهر الاستراتيجية ومنطقة مفرق أعشار ورأس المسوح وشعب صرام بذات المديرية". وأفاد أن سلسلة جبال الظهر تكمن أهميتها في أنها تفصل بين مديريتي ناطع، والملاجم بمحافظة البيضاء، لافتا إلى استمرار المعارك العنيفة بين الطرفين.

> قوات الجيش تسيطر على مواقع استراتيجية إثر معارك مع الحوثيين بمحافظة البيضاء فيما تتواصل عملية عسكرية مشتركة بين الجيش والمقاومة

وتكمن أهمية محافظة البيضاء في أنها تربط بين المحافظات الجنوبية والشمالية، وتتداخل حدودها مع ثماني محافظات يمنية هي؛ صنعاء ومأرب (شرق) وشبوة (جنوب شرق) وذمار (شمال) وإب (وسط) والضالع ولحج وأبين (جنوب).

وذكر التقرير الصادر عن قيادة محور تعز أن "مقاتلات التحالف العربي، كان لها دور في تحقيق تلك الانتصارات، بغاراتها المكثفة التي استهدفت آليات وتجمعات وتعزيزات للميليشيات الانقلابية في مناطق مختلفة بتعز".

وتعتمد الميليشيات الحوثية، التي توظفها طهران لخدمة أجنداتها التخريبية في المنطقة، انتهاكات كثيرة في المعارك الدائرة في اليمن ومن بينها التجنيد القسري لسكان المناطق التي تحاصرها. واعتقلت الميليشيات الحوثية خمسين من عناصرها الذين فروا من جبهات القتال على الساحل الغربي لليمن خصوصا على أطراف مديرية الجراحي.

وكانت الميليشيات المدعومة من إيران قد عممت أسماء الفارين على نقاط تفتيشها لاعتقالهم بحجة فرارهم من الجبهات بعد أن تكبدوا خسائر فادحة في العتاد والأرواح نتيجة الضربات الموجعة لمقاتلات التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية وبإسناد من القوات المسلحة الإماراتية من جهة، والمواجهات مع المقاومة اليمنية من جهة أخرى.

وقالت مصادر عسكرية يمنية إن الميليشيات الحوثية نصبت نقاط تفتيش على المناطق التي تحاصرها بجبهة الساحل الغربي لاعتقال عناصرها الفارين من الجبهات جراء الانهيارات المتلاحقة في صفوفهم.

وكشفت المصادر نفسها أن ميليشيات الحوثي تنفذ عمليات تجنيد قسري للمئات من السكان القابعين في المناطق التي تحاصرها عبر إجبار "عقال الحارات" على تجنيد مقاتلين جدد لإقحامهم في جبهات القتال في أعقاب الانهيارات التي تتعرض لها هذه الميليشيات ميدانيا ونفسيا. وأشارت إلى أن الميليشيات تهدد الرافضين للتجنيد بالقتل أو الخطف في حال لم يتم تنفيذ مطالبهم المتعلقة بتجنيدهم ضمن صفوفها وسط رفض واستياء شعبي واسع في مختلف المناطق التي تحاصرها.

يأتي ذلك في وقت تواصل فيه مقاتلات التحالف العربي شن الغارات الجوية على تجمعات ميليشيات الحوثي وتدمير تعزيزاتها العسكرية وآلياتها في مناطق الساحل الغربي.

والجمعة، أعلن الجيش اليمني أن قواته اقتحمت مديرية أرحب شمال شرقي العاصمة صنعاء، وقتلت 20 مسلحا من الحوثيين بينهم 3 قيادات ميدانية. كما أعلن الجيش عن مقتل 25 من الجماعة وإصابة 15 آخرين، بمعارك بمديرية قعطبة شمال محافظة الضالع جنوبي البلاد.

ونقل موقع محلي عن مصدر عسكري أن "قوات الجيش تقدمت إلى منطقة هران التابعة لمديرية أرحب. وتعتبر أرحب، واحدة من أكبر مديريات صنعاء. وتعد هذه المرة الأولى التي يعلن فيها الجيش ، اقتحام مديرية أرحب.

البحرين تكشف عن شبكة مسلحة تتبع إيران

❑ **المنامة** – أعلنت البحرين، السبت، أنها ألقت القبض على 116 عضوا في شبكة مسلحة شكلها ودعمها الحرس الثوري الإيراني كانت تخطط لاستهداف مسؤولين في الحكومة البحرينية وقوات الأمن.

وقالت وزارة الداخلية البحرينية، في بيان، إن المحققين كشفوا عددا من المواقع التي يستخدمها "الإرهابيون" في تصنيع وتخزين العبوات المتفجرة لاستخدامها في تنفيذ "الأعمال الإرهابية".

وأخمدت البحرين احتجاجات قادتها الأغلبية الشيعية بتحريض من إيران بدعوى "الإصلاح". وتعرضت المملكة لموجة من التفجيرات العنيفة أسفرت عن وقوع العديد من الضحايا ونفذها متشددون تلقوا تدريبات ودعما من إيران، بحسب ما كشفته التحريات الأمنية، فيما تنفي طهران هذه الاتهامات.

وواجهت السلطات البحرينية الأجندات التخريبية لطهران بتشديد حملة على شخصيات وجهات تلقى دعما من إيران من بينها أحزاب معارضة، كما سجنت معارضين بارزين وجردت آخرين من الجنسية ووضعت الزعيم الروحي للشيعة فعليا قيد الإقامة الجبرية. وقال بيان لوزارة الداخلية البحرينية "دلت التحريات أن هذه العناصر تنتمي إلى تنظيم إرهابي عمل الحرس الثوري الإيراني على تشكيله".

وأضاف "كان التنظيم يخطط لاستهداف قيادات ومنسوبي الأجهزة الأمنية والدوريات وحافلات نقل رجال الأمن بالإضافة إلى منشآت نفطية وحيوية بغرض الإخلال بالأمن والنظام العام وضرب الاقتصاد الوطني".

وقال البيان إن 48 من بين المقبوض عليهم وعددهم 116 تلقوا تدريبات في معسكرات تابعة للحرس الثوري في إيران وأذرعه الخارجية في العراق ولبنان. وأضاف بأن المواد التي عثر عليها تضم مواد متفجرة وأسلحة آلية ومسدسات وقنابل مغناطيسية ويدوية.

والخميس، قدم فيصل فولاذ، الأمين العام لجمعية البحرين لمراقبة حقوق الإنسان والمركز الخليجي الأوروبي لحقوق الإنسان، تقريرا تضمن أدلة على تشكيل النظام الإيراني لجماعات إرهابية في البحرين على غرار "سرايا الأشتر" و"سرايا المختار" وغيرهما. واستعرض فولاذ أعمال الإرهاب التي قامت طهران بها في البحرين باسم الدفاع عن حقوق الإنسان والديمقراطية.

وقدم فولاذ ورقة عمل خلال ندوة حول الإرهاب والتطرف وحقوق الإنسان عقدت بجنيف على هامش أعمال مجلس حقوق الإنسان، تناولت ملف الإرهاب في مملكة البحرين ودور النظام الإيراني في تمويله ورعايته. وأكد فولاذ أن الخلايا الإرهابية التي تم ضبطها في البحرين تدعمها عناصر موجودة في إيران وتعمل بالتنسيق مع الحرس الثوري لتدريب عناصر تابعة لها.

أعلى محكمة مصرية تقرر سعودية «تيران وصنافير»

أحمد حافظ

❑ **القاهرة** – قضت المحكمة الدستورية العليا (أعلى محكمة في البلاد) السبت، بسريان اتفاقية تعيين الحدود البحرية بين مصر والسعودية، وعدم الاعتداد بكل الأحكام الصادرة التي أبطلت الاتفاقية من قبل.

وقالت المحكمة الدستورية في حكمها "إن اتفاقية تعيين الحدود البحرية من أعمال السيادة، وأن محكمة القضاء الإداري التي حكمت ببطلانها من قبل قد اعتدت على اختصاص السلطة التشريعية في البلاد".

وجاء الحكم بأحقية السعودية في جزيرتي تيران وصنافير الواقعتين في البحر الأحمر، قبل يوم واحد من زيارة ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان إلى القاهرة الأحد، والتي تتواصل على مدى ثلاث أيام.

وكان الأمير محمد بن سلمان هو ممثل المملكة السعودية عندما تم التوقيع مع شريف إسماعيل رئيس الوزراء المصري على اتفاقية تعيين الحدود البحرية بين البلدين في 8 أبريل عام 2016.

وتخشى دوائر حكومية سياسية من أن يتسبب استيفاء الاتفاقية لكافة الاشتراطات التشريعية والدستورية بعد الحكم في إثارة حفيظة السودان واستثمار الأمر ذريعة جديدة لافتعال أزمة مع مصر، بعد أن هدأت الأمور سياسيا وتقرر عودة السفير السوداني للقاهرة الاثنين.

ودفعت الخرطوم بأن هذا الاتفاق يمسّ حقوق السودان السيادية والتاريخية والقانونية في منطقتي حلايب وشلاتين المتنازع عليهما مع مصر.

وقالت الخارجية السودانية في بيان سابق إن قرار مصر بأحقية السعودية في جزيرتي تيران وصنافير، عند مدخل خليج العقبة شمال شرقي مصر، جاء في إطار اتفاق أوسع لإعادة ترسيم الحدود البحرية المصرية السعودية والتي تمر في جزء منها بشواطئ منطقة حلايب وشلاتين.

وهذه هي المرة الأولى في تاريخ القضاء المصري التي تقدم فيها المحكمة الدستورية العليا بعدم الاعتداد بجميع الأحكام السابقة في قضية تيران وصنافير، وكانت في كل مرة تغلّب أحد الحكمين على الآخر إما المؤيد للاتفاقية وإما المعارض لها.

وقالت تهاني الجبالي، نائب رئيس المحكمة الدستورية سابقا، إن عدم الاعتداد بكل ما سبق من أحكام خاصة بالاتفاقية هو رسالة من المحكمة الدستورية بأنها "مستقلة" ولا تميل لصالح حكم مؤيد ولا معارض للاتفاقية وكي ترسخ مبدأ قضائيا بأن أعمال السيادة والسياسة ليست تحت رقابة القضاء. وأضافت الجبالي لـ"العرب" أن "حكم المحكمة الدستورية يعني أن ملف القضية قد أغلق تماما، ولا يجوز لأي محكمة مصرية أخرى أن تناقشه مرة ثانية، وكل ما صدر من أحكام سابقة أصبحت هي والعدم سواء". وسبق وقضت محكمة القضاء الإداري ببطلان الاتفاقية فيما أيدتها المحكمة الإدارية العليا وقابلت هذا المسار أحكام قضائية لمسار قضائي موازٍ، تمثل في حكم محكمة الأمور المستعجلة الذي أكد صحة الاتفاقية وأيدها في ذلك حكم محكمة مستأنف الأمور المستعجلة.

ودخلت الاتفاقية حيز التنفيذ بعد إقرار برلماني البلدين لها، إذ صدق عليها البرلمان السعودي في يونيو 2016، ثم لحقه مجلس النواب المصري بإقرارها في 14 يونيو 2017 وقام الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي بالمصادقة عليها بعد البرلمان بثلاثة أيام.

وأثارت الاتفاقية ردود فعل معارضة للحكومة وجدلا واسعا في الشارع المصري وكانت تمثل صداعا مزمنا لها، حيث نظم نشطاء وقوى سياسية وحزبية تظاهرات عديدة رافضة لها ما تسبب في حبس العشرات وإطلاق سراح آخرين بغرامات مالية. وقال عبدالمنعم سعيد، الخبير في الشؤون الإقليمية لـ"العرب"، إن حكم الدستورية بصحة توقيع الحكومة على الاتفاقية شكل صدمة للأحزاب والتيارات والشخصيات المعارضة للنظام لأن غالبية المناوئين تمنوا أن تكون الجولة الأخيرة في القضية لصالحهم. وأضاف سعيد أن "الحكم أيضا إنصاف قضائي للرئيس السيسي أمام أنصاره بالتزامن مع قرب الانتخابات الرئاسية وترشحه لولاية ثانية، وانتصار مهم أمام المعارضة التي طالما لعبت على هذا الوتر" واستثمرت الجدل حول الأحكام القضائية الصادرة بشأن تيران وصنافير كورقة ضغط على النظام.

> عدم الاعتداد بكل ما سبق من أحكام خاصة بالاتفاقية رسالة من المحكمة الدستورية بأنها مستقلة، ولترسخ مبدأ قضائيا بأن أعمال السيادة والسياسة ليست تحت رقابة القضاء

ويخوض السيسي الانتخابات الرئاسية المحسومة لصالحه مبكرا أمام المرشح موسى مصطفى موسى رئيس حزب الغد الخوض الانتخابات التي كانت المعارضة تخطط لإحراج السيسي وتحويلها إلى استفتاء.

وكان ملف قضية تيران وصنافير ثغرة في شعبية النظام المصري استثمرتها المعارضة للدعاية السلبية ضد النظام بأنه باع الأرض، وهي النغمة التي لعب عليها الفريق سامي العنان رئيس أركان الجيش السابق في خطاب ترشحه لانتخابات الرئاسة لاستقطاب رافضي الاتفاقية قبل أن يتم توقيفه بتهم تتعلق بعدم الانضباط العسكري.

إنصاف قضائي للسيسي

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

إيران تقايض الغرب بسلاحه النووي لوقف برنامجها الصاروخي

طهران عشية زيارة لودريان: قدراتنا الصاروخية لا تعني فرنسا

عشية استقبالها لوزير الخارجية الفرنسية جان إيف لودريان، قالت إيران إنها "لن تتفاوض بشأن صواريخها الباليستية حتى تفكك الولايات المتحدة وأوروبا أسلحتها النووية"، في تصريح بدا موجها لرئيس الدبلوماسية الفرنسي المعروف بموقفه المتشدد من برنامج الصواريخ البالسيتية الإيراني والذي لطالما فرّق بين ملف الاتفاق النووي والتهديد الإيراني لمنطقة الشرق الأوسط وأوروبا، سواء عبر الصواريخ الباليستية أو أجندات إيران في لبنان واليمن وسوريا والعراق وما يتعلق بالممر نحو المتوسط.

❑ لندن – أعلنت إيران أنها لن تتفاوض بشأن صواريخها الباليستية حتى تفكك الولايات المتحدة وأوروبا أسلحتها النووية في مواصلة لموقف طهران الحازم بشأن هذه المسألة، في خطوة لا تهدف إلا لافتعال ضجيج أصبح عادة مترسخة في السياسة الإيرانية، ورسالة استبقت بها طهران زيارة وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان إلى إيران.

ونقلت وكالة الجمهورية الإسلامية الإيرانية للأنباء عن مسعود جزائري، المتحدث باسم القوات المسلحة الإيرانية، قوله "التفاوض حول الصواريخ الإيرانية مشروط بتدمير الأسلحة النووية وصواريخ أميركا وأوروبا بعيدة المدى".

ويأتي هذا التصريح على خلفية تغيير ملحوظ في سياسة العواصم الأوروبية التي شاركت في صياغة الاتفاق النووي وكانت إلى وقت قريب تعارض المواقف الرافضة لسياسة إيران في الشرق الأوسط ومطالب احتوائها خوفا على تداعيات ذلك على الاتفاق النووي والمكاسب الاقتصادية التي كانت تتوقع تحقيقها بفضله.

وبدا واضحا في الفترة الأخيرة أن هناك تقاربا أميركيا أوروبيا حول مواجهة إيران، على عكس السنة الأولى من حكم الرئيس الأميركية دونالد ترامب. وبدا الأوروبيون يتحدثون بلهجة مختلفة، تفصل بين الاتفاق النووي وبقية الملفات التي تتورط فيها إيران من ذلك برنامج الصواريخ الباليستية وسياستها في الشرق الأوسط.

وبعد أن كانت القوى الأوروبية تضع كل الملفات المتعلقة بالتجاوزات الإيرانية في سلة واحدة مع الاتفاق النووي، أضحت تتحدث على أنها ستعمل على رسم استراتيجية حول كيف يمكن معاقبة إيران على برنامج الصواريخ البالسيتية ودعمها للميليشيات المسلحة في الشرق الأوسط مع الحفاظ على الاتفاق النووي.

وصرحت رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي، خلال زيارة إلى برلين، ولقائها مع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، مؤخرا، أن بلادها تشارك الولايات المتحدة مخاوفها بشأن الأنشطة الإيرانية في الشرق الأوسط، وعبرت عن استعدادها لاتخاذ المزيد من الإجراءات ضد طهران، مع ضرورة تطبيق الاتفاق النووي الإيراني بالكامل.

وتشارك برلين، لندن موقفها من السياسات الإيرانية التي لا تحترم القوانين الأممية. وأكد وزير الخارجية الألماني زيغمار غابرييل، أنه على الرغم من دعوته جميع الأطراف الولايات المتحدة إلى عدم الانسحاب من الاتفاق النووي الإيراني، فإن المواجهة الشاملة لنشاطات إيران في المنطقة تظل الخيار الصحيح.

وكان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، كممثل لأول دولة من الدول الأوروبية المشاركة في الاتفاق النووي، التي انتقدت برنامج إيران الصاروخي وسياساتها في المنطقة، دعا إلى أن "السياسة الخارجية الإيرانية تشكل عاملا مزعزعا للاستقرار" في الشرق الأوسط.

ضغوط فرنسية مؤثرة

أصبح واضحا أن باريس تقود حملة أوروبية هدفها ممارسة الضغوط على إيران لوقف تمددها داخل بلدان الشرق الأوسط، وتتولى هذه الحملة التفريق بين الملف النووي، وبين تهديد إيران لمحيطها الإقليمي مستفيدة من المزايا التي وفرها الاتفاق النووي عبر رفع العقوبات.

مراهنة خاسرة

وانتقد وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان في مناسبات عديدة هذا الموقف، وقال إن برنامج إيران الصاروخي المقلق. وطالب مرارا بضرورة "الحيلولة دون أن يصبح برنامج إيران البالستي عنصرا يهدد جيرانها".

وأعلن رفض أي "محور إيراني من البحر المتوسط إلى طهران"، وطالب برحيل المقاتلين الإيرانيين المتواجدين في سوريا.

وأثار لودريان غضب طهران عندما ندّد بـ"نزعة الهيمنة" لدى إيران في الشرق الأوسط ولبنان واليمن مرورا بسوريا والعراق. والأسبوع الماضي قال لودريان، خلال مؤتمر صحافي جمعه في موسكو بنظيره الروسي سيرجي لافروف، إن "طموحات إيران الصاروخية الباليستية مقلقة للغاية وتتنافى مع قرار للأمم المتحدة".

وأضاف أنه "من الضروري الحيلولة دون أن يصبح برنامج إيران الباليستي عنصرا يهدد جيرانها".

وأكد لودريان "إننا مصممون تماما على الضغط بشكل قوي على إيران لمنع" تطوير "قدرة باليستية تزداد أهمية" وذلك "بواسطة عقوبات إذا اقتضى الأمر"، وأضاف "سأتوجه إلى إيران لأقول لهم ذلك"، وهو الأمر الذي يجعل هناك رابط بين هذه الزيارة وتصريح جزائري الذي قال فيه إن إيران لن تتفاوض بشأن صواريخها الباليستية حتى تفكك الولايات المتحدة وأوروبا أسلحتها النووية في مواصلة لموقف طهران الحازم بشأن هذه المسألة.

يزور لودريان إيران، الأحد والاثنين، لبحث الملفات الإقليمية لا سيما الخاصة باليمن وسوريا. ومن المنتظر أن يبحث لودريان الاتفاق النووي إضافة إلى دور إيران العسكري المزعزع للاستقرار في الشرق الأوسط ودعمها لحزب الله في لبنان والميليشيات الحوثية في اليمن، فضلا عن برنامجها الباليستي.

ووصفت صحيفة لوموند الزيارة بأنها "حساسة وصعبة"، مشيرة إلى أنه سيتم خلالها الترتيب لزيارة ماكرون إلى إيران، التي ستكون الأولى لرئيس فرنسي منذ قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية سنة 1979.

رسالة إيرانية

في رسالة مشابهة لرسالة المتحدث باسم القوات المسلحة الإيرانية، حذّر مستشار المرشد الأعلى الإيراني للشؤون الخارجية علي أكبر ولايتي ماكرون من التطرق إلى موضوع برنامج إيران الصاروخي خلال زيارته إلى طهران.

وقال ولايتي خلال استقباله وفدا فرنسيا "إذا طرح ماكرون خلال زيارته إلى طهران موضوع التفاوض بشأن قدراتنا الصاروخية، فمن المؤكد أنه سيواجه ردا سلبيا"، مضيفا أن "إيران لن تحتاج إلى إذن من أي دولة بشأن قدراتها الصاروخية وستواصل تنمية القدرات الصاروخية بما يتناسب مع احتياجاتها الدفاعية".

وكان ماكرون قال في 13 فبراير الماضي، إن انتشار الصواريخ الإيرانية داخل سوريا واليمن يشكّل تهديدا على الحلفاء في المنطقة.

وطالب بوضع إيران "تحت المراقبة بشأن صواريخها الباليستية" واقترح فرض عقوبات جديدة على برنامج الصواريخ الباليستية الإيرانية.

وكرر ولايتي ذات التحذير، في تصريحات نقلتها وكالة إسنا، قبل يومين من لقائه بلودريان، مؤكدا أن "برنامج إيران الدفاعي لا يخص دولا أجنبية مثل فرنسا، ويجب أن لا يقولوا لنا ما هي الصواريخ التي يجب ان نمتلكها. هل نقول لفرنسا كيف تدافع عن نفسها؟".

وأضاف "إذا كانت زيارة لودريان تهدف إلى تعزيز العلاقات بيننا، فعليه تجنب اتخاذ مواقف سلبية".

> إيران تحتاج إلى سنوات لتطوير صواريخ أكثر تهديدا لكن يبدو أنها مصممة على الاستمرار في تطوير إمكانياتها، وهذا لا يبشر باستقرار المنطقة

يرى الخبيران في معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى مايكل نايتس وكاثرين باور، أن من شأن اتخاذ مثل هذه الإجراءات على مستوى الاتحاد الأوروبي الأوسع نطاقا أن يوجّه رسالة قوية مفادها أن أوروبا ترى انتشار القذائف الإيرانية بمثابة تهديد، وأنها مستعدة للعمل مع الولايات المتحدة للتصدّي لها.

ويشير فرزين نديمي، الباحث في معهد واشنطن، إلى أن إيران تمتلك ترسانة ضخمة من الصواريخ الباليستية والصواريخ في منطقة الشرق الأوسط، مشيرا إلى أن برنامج الصواريخ متقدم نسبيا، ويشمل كادرا من المهندسين والفنيين الماهرين الذين يعملون في إطار "منظمة الصناعات الجوية الفضائية" بوزارة الدفاع الإيرانية القوية سياسيا، والتي لديها أكثر من عشرين شركة تابعة لها منذ العام 1993.

ويعد الحرس الثوري الإسلامي الإيراني بأنه فرع المنظمة الأكثر نشاطا في مجال التطوير وأكبر المستخدمين النهائيين، وخاصة منذ 8 سنوات عندما أنشأ مركز أبحاث للصواريخ والفضاء الخاص به لتعزيز أنشطة الصواريخ. وقام الحرس الثوري بعد ذلك بدمج المركز مع منظمة "جهاد الاكتفاء الذاتي" الخاصة به.

ويؤكد نديمي أن إيران تحتاج إلى سنوات لتطوير صواريخ أكثر تهديدا لكن يبدو أنّ قيادتها تكرّس نفسها لمتابعة هذه الإمكانيات وهذا لا يبشر بتحقيق الاستقرار في المنطقة، وعليه فقد أصبح من الأساسي معالجة هذه القضية، مشددا على أهمية ما دعا إليه الرئيس الفرنسي بشأن التركيز الدولي على إنشاء نظام قابل للتطبيق لمراقبة جهود الصواريخ الإيرانية.

أفيون بوتين

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ كان من الأفضل لو لم يهدّد الرئيس فلاديمير بوتين الولايات المتحدة والعالم بصاروخ جديد بعيد المدى قادر على بلوغ أي نقطة في العالم... وبالخبرات التي اكتسبها الجيش الروسي من خلال تجربة أسلحته في سوريا.

يبدو كل الكلام الصادر عن بوتين للاستهلاك الداخلي الروسي عشية خوضه انتخابات رئاسية ليس لديه ما يقدمه فيها لمواطنيه سوى إثارة المشاعر الوطنية بالفخر والاعتزاز والقوّة.بكلام أوضح يراهن بوتين، الذي يعرف تماما طبيعة المواطن الروسي، على أنّ استعادة أمجاد الاتحاد السوفييتي وروسيا القيصرية تجعل الأكثرية الساحقة تلتف حوله. لا يزال الشعور الوطني الروسي والحماسة التي يثيرها من أهمّ عوامل القوّة لدى بوتين الذي انتخب رئيسا للمرّة الأولى في العام 2000.

> سيعود فلاديمير رئيسا لروسيا بعد أيام. يفترض أن تكون هذه ولايتّه الأخيرة. سيكون الرئيس الروسي أكثر عدوانية في ظل الضياع الأميركي بعد نجاحه فّي إيجاد أفيون جديد للروس يساعد في تأجيج شعورهم الوطني والقومي ويغنيهم عن الغوص في الأسباب التي جعلت حجم اقتصاد بلدهم لا يتجاوز نسبة 1.8 في المئة من الاقتصاد العالمي

لماذا من الأفضل لبوتين، الذي يحكم روسيا فعليا منذ ثمانية عشر عاما، الابتعاد عن التهديدات الفارغة التي تستهوي المواطن الروسي الباحث دائما عمّن يثير لديه غريزة الانتماء إلى أمّة قويّة متفوّقة لا تقهر؟

قبل كلّ شيء، لا يريد الرئيس الروسي الذي سيفوز بسهولة في الثامن عشر من الشهر الجاري بولاية رئاسية جديدة، الاستفادة من تجارب الماضي القريب. لعلّ التجربة الأولى التي يرفض الاعتراف بأنّها موجودة أصلا هي تجربة الاتحاد السوفييتي.

لم يسقط الاتحاد السوفييتي لأنّه لم يكن يمتلك أسلحة متطورة وترسانة نووية وصواريخ عابرة للقارات. سقط بسبب الاقتصاد أوّلا وأخيرا. لا يستطيع أي بلد، مهما امتلك من أسلحة، أن يعتبر نفسه قويّا وأن يلعب دور القوّة العظمى على الصعيد العالمي من دون اقتصاد يقوم على قواعد صلبة.

تدلّ كلّ الأرقام على أن روسيا، من داخل، ليست على ما يرام. المجتمع الروسي نفسه ليس مجتمعا سليما. روسيا من البلدان القليلة في العالم التي يتناقص فيها عدد السكان فيما يزداد عدد المواطنين الذين هم في مرحلة الشيخوخة.

هناك لائحة طويلة من الوقائع التي تستند إلى أرقام تؤكد أن العزف على وتر الشعور الوطني ليس كافيا لاستعادة روسيا أمجادها وتحولها مجددا بين ليلة وضحاها إلى قوّة عظمى.

لن يكون في استطاعة روسيا العودة بالعالم إلى أيّام الحرب الباردة، على الرغم من التجاذبات الدائرة في داخل واشنطن بين أركان إدارة دونالد ترامب، وهذه تجاذبات جعلت من الرئيس الأميركي شخصا عاجزا عن اتخاذ أي قرار كبير على صعيد السياسة الخارجية عندما يتعلق الأمر بإيران أو كوريا الشمالية أو سوريا. هناك تحرّش أميركي بين وقت وآخر بروسيا التي تعاني من العقوبات الأوروبية والأميركية، كما حدث أخيرا عندما قرّرت واشنطن بيع أوكرانيا كمية من الصواريخ المضادة للدبابات.

عاجلا أم آجلا، ستكشف سوريا روسيا. ستكشف أنّ البقاء في السلطة شيء وممارسة دور القوّة العظمى، من دون امتلاك الموارد التي تسمح بذلك، شيء آخر.

يستطيع بوتين لعب دور الدكتاتور الروسي، لكنه لا يستطيع ممارسة أحلام الدكتاتور. تبقى الأحلام أحلاما في نهاية المطاف. ويبقى زعيم الكرملين يردّد، كبدل عن ضائع من القدرة على نقل الحلم إلى حقيقة، أغنية شهيرة لفرقة "البيتلز" عنوانها "البارحة" (yesterday). هذه الأغنية هي المفضلة لدى الرئيس الروسي الذي يتقن الإنكليزية بشهادة مصور عالمي كبير التقاه من أجل أخذ صور شخصية له. سأل ذلك المصوّر الذي أجرت معه "هيئة الإذاعة البريطانية" حديثا عن الحوار الذي دار بينه وبين بوتين. كان الجواب أنه قال إن أغنيته المفضلة هي "البارحة". وراح يرددها أمام المصوّر بحنين واضح إلى الماضي، أيّام كان الاتحاد السوفييتي قوّة عظمى.

الأهمّ من ذلك كلّه أن بوتين، الذي يريد ممارسة سياسة تليق بدولة عظمى، عاجز عن فهم ما هي سوريا. يستطيع تجربة

العيش على وهم البارحة

كلّ الأسلحة التي لديه وتطويرها، لكنّه سيجد نفسه عاجزا عن تحقيق أي انتصار من أيّ نوع كان. هذا عائد إلى سبب في غاية البساطة، وهو أن النظام الذي يدعمه الكرملين لا يمتلك أيّ شرعية من أيّ نوع. لو كان هذا النظام قادرا على هزيمة الشعب السوري، على الرغم من كلّ الدعم الإيراني والروسي، لما كانت سوريا تعاني مما تعاني منه بعد سبعة أعوام كاملة على انطلاق الثورة الشعبية، وهي ثورة حقيقية عميقة الجذور، في آذار – مارس من العام 2011.

قبل الكلام عن صواريخ وأسلحة تنتمي إلى جيل جديد لا تكشفه الرادارات، من الأجدى برجل مثل فلاديمير بوتين يتمتع بذكاء حاد، التفكير بطريقة مختلفة. يفترض به الخروج بأسئلة بدل إعطاء أجوبة تدغدغ أحاسيس المواطن الروسي العادي. من بين هذه الأسئلة هل توفّر هذه الأسلحة الطعام للروسي الفقير وحتى للمواطن العادي الذي بدأ يعاني من العقوبات التي فرضها الغرب على روسيا؟ في الإمكان الانتقال إلى أسئلة من مستوى آخر مثل لماذا لم يبق شيء من الإمبراطورية السوفييتية ولماذا عجزت هذه الإمبراطورية عن تقديم أيّ نموذج يحتذى به أكان ذلك لبولندا أو هنغاريا أو تشيكوسلوفاكيا، التي صارت دولتين، أو ألمانيا الشرقية أو بلغاريا... أو رومانيا؟

في كلّ ما يفعله بوتين في سوريا ما يذكّر بسياسة شرق أوسطية فاشلة لم تجرّ سوى الخراب على دول المنطقة. حسنا، يمكن التباهي ببناء الاتحاد السوفييتي للسدّ العالي في مصر. إذا وضعنا ذلك جانبا، لا يمكن بأي شكل تجاهل الدور الذي لعبته موسكو في إيصال العرب إلى هزيمة 1967.

لا داعي للعودة إلى كارثة اليمن الجنوبية وعدن بالذات التي تسبب بها الاتحاد السوفييتي الذي أراد إيجاد موطئ قدم في شبه الجزيرة العربية. ولا داعي بالطبع لاستعادة الأوهام التي عاش في ظلها الفلسطينيون الذين كانوا يعتقدون أن السلاح السوفييتي سيعيد لهم حقوقهم. كانت النتيجة أن المسلّحين الفلسطينيين لعبوا في سبعينات القرن الماضي الدور المطلوب منهم في تدمير بيروت ومؤسسات الدولة اللبنانية.

لبّوا عمليا طموحات رجل مريض اسمه حافظ الأسد كان حلمه الدائم وضع اليد على لبنان وعلى منظمة التحرير الفلسطينية من منطلق أن "القرار الفلسطيني المستقلّ مجرّد بدعة".

ليس الكلام عن السلاح الروسي المتطور هذه الأيّام سوى أفيون يوزعه فلاديمير بوتين على أبناء شعبه. أمّا في خارج روسيا، صار هذا السلاح في خدمة النظام الإيراني الذي يسعى إلى إبقاء بشّار الأسد في دمشق من أجل الإمعان في تفتيت سوريا أكثر...

سيعود فلاديمير رئيسا لروسيا بعد أيّام. هناك ولاية جديدة تنتظره. يُفترض أن تكون هذه ولايته الأخيرة. سيكون الرئيس الروسي أكثر عدوانية في ظلّ الضياع الأميركي بعد نجاحه في إيجاد أفيون جديد للروس يساعد في تأجيج شعورهم الوطني والقومي ويغنيهم عن الغوص في الأسباب التي جعلت حجم اقتصاد بلدهم لا يتجاوز نسبة 1.8 في المئة من الاقتصاد العالمي، أي أقلّ من حجم الاقتصاد الإيطالي، في حين يصل حجم الاقتصاد الأميركي إلى نحو ربع الاقتصاد العالمي.

السودان يطوي صفحة مع مصر وتبقى صفحات رمادية

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

❏ الإعلان عن عودة السفير السوداني إلى مصر، الاثنين، خطوة مهمة تطوي مؤقتا واحدة من الصفحات القاتمة في العلاقات بين البلدين، لكن لا تزال الصفحات الأساسية التي دفعت التوتر إلى الدائرة الرمادية مفتوحة، وتتعامل الخرطوم مع هواجسها السياسية والأمنية حيال القاهرة على طريقة "عفا الله عما سلف" إلى حين حدوث أزمة أخرى تأتي على الأخضر واليابس.

النظام السوداني لم يكن مقتنعا بخطوة عودة العلاقات إلى ما كانت عليه قبل سحب سفيره عبدالحليم عبدالمحمود من القاهرة للتشاور منذ شهرين، لكنه يبدو مضطرا على وقع تصاعد حدة المشكلات الداخلية إلى ضرورة التهدئة مع مصر، والتي دفعته إلى اتخاذ مجموعة من التغييرات في عدد من الأجهزة الأمنية والسياسية والاقتصادية والحزبية، أملا في إحكام السيطرة على الأمور الداخلية.

الأوضاع في السودان تفاقمت بصورة جعلت الرئيس عمر حسن البشير يضحي بعدد من أقرب مساعديه في مجالات مختلفة، ما يؤكد أن الأزمات تصاعدت بطريقة قد تخرج عن السيطرة، وهو الاتجاه الذي صبّت فيه منحنيات التغييرات التي تمت خلال الفترة الماضية.

لا يفيد الحديث عن تبرئة مصر من اتهامات وجهت إليها، بسبب ما ردده مسؤولون في الخرطوم بشأن تدخلها في شؤون السودان الداخلية والتعاون مع إريتريا لدفع المعارضة إلى غزو البلاد من الشرق، لأن النقاط الجوهرية التي تدفع الخلافات إلى الواجهة لم تطرأ عليها تغييرات هيكلية.

أزمة مثلث حلايب وشلاتين وأبورماد على حالها وقابلة للانفجار في أي وقت، موقف السودان المحوري من ملف سد النهضة لم يتغير حتى الآن، علاقة الخرطوم بكل من قطر وتركيا من العناصر الرئيسية التي يعتمد عليها النظام السوداني ولم نر فيهما جديدا يبدد عدم اضمئنان القاهرة.

الأهم أن موقف الخرطوم من دعم جماعة الإخوان المسلمين والتنظيمات المتطرفة لم تطرأ عليه تحولات لافتة، ربما صدرت تلميحات غير رسمية حول تخفيف علاقة الخرطوم مع هؤلاء، لكن لم يقدم السودان حتى الآن ما يثبت أنه ابتعد خطوة كبيرة عن توجهاته الإسلامية.

الخطوة التي خطاها النظام السوداني حيال تخفيف حضور الحركة الإسلامية لها علاقة بترتيبات البيت من الداخل وتكريس نفوذ الرئيس عمر البشير، ومحاولاته المتكررة لقصقصة أجنحة مناوئيه من الإسلاميين، داخل المؤسسة العسكرية وفي حزب المؤتمر الوطني الحاكم، والاستعانة بآخرين، وهم محسوبون أيضا على التيار الإسلامي للتخلص من المناهضين لما يجري من استعدادات سياسية وقانونية لتهيئة المسرح أمام استمرار البشير لفترة رئاسية جديدة بعد عامين.

الخطورة التي استشعرها البشير على نظامه جاءت بالأساس من رافدين؛ أحدهما تزايد احتجاجات الشارع على الغلاء الذي طحن قطاعا كبيرا من المواطنين، والآخر ارتفاع وتيرة التحركات الخفية لإجبار البشير على إنهاء مدة رئاسته الحالية في هدوء.

على الصعيد الأول، جاءت التغييرات في المؤسسات الاقتصادية وتم اتخاذ خطوات أملا في أن تخفف المعاناة عن المواطنين، وتقطع الطريق على محاولات المعارضة استثمار الأزمة لتحريض الشارع على الخروج في مظاهرات، بدأت عفوية لكن جرى تسييسها لاحقا، ما ينذر بخطورة حقيقية، لأن الأوضاع لا تحتمل انفجارا بالشارع السوداني في توقيت بالغ الحساسية.

وعلى الصعيد الثاني، يحاول البشير أن تكون خطواته أسرع بكثير من خطوات خصومه. وكما قام بتقليم أظافرهم من قبل على مدار سنوات حكمه، يحاول تكرار المسألة بقدر أعلى من الحرفية لأن المنتمين إلى الحركة الإسلامية في السودان بفروعها المختلفة استوعبوا دروس الماضي وبدأوا خطوة مواجهة البشير بصورة تستوعب التجارب السابقة، فجمعوا شمل شتاتهم في أحزاب وجماعات مختلفة مستفيدين من وجود البعض في قلب السلطة خلال السنوات الماضية. وجاء البشير، بمن يعرفون خفاياهم وقام بتصعيدهم، فقام بإعادة تعيين صلاح عبدالله (قوش) رئيسا لجهاز المخابرات العامة والأمن الوطني، وقام بتصعيد فيصل حسن صالح مساعدا له في الرئاسة ونائبا له في حزب المؤتمر الوطني، كما جاء برئيس جديد للأركان هو الفريق أول كمال عبدالمعروف، ناهيك عن تصعيد قيادات تنفيذية مهمة لإحكام السيطرة على أي خلل متوقع في أجهزة الحكم.

الواضح أن الليونة التي يظهرها النظام السوداني حاليا ليست لها علاقة بتغيير قناعاته نحو النظام المصري، حتى لو صبت حصيلة التغييرات التي قام وسوف يقوم بها البشير لاحقا، في صالح القاهرة، فمن يريد الحفاظ على حكمه ومن يتبنى نهجا انتهازيا في الإدارة لن يتورع عن اتخاذ إجراءات يتصور أنها قد تساهم في تثبيت أركان سلطته التي تعرضت في الآونة الأخيرة للمزيد من التآكل والاهتزاز، دفعته إلى الإسراع بتغيير تحالفاته في الخارج، والتضحية بأي جهة يعتقد أنها لن تفيده، والميل نحو أخرى ربما تجلب له نفعا.

هذه إحدى القواعد الحاكمة التي لعبت دورا مهما في تحديد مصير ومفاصل العلاقة مع مصر، في حالتي الشد والجذب، فالتوتر الذي ساد بين السودان ومصر لفترة من الزمن لا علاقة له بالقضايا الخلافية الثنائية، والدليل أن الانسجام عاد من دون حدوث تغيير جوهري في أي من الملفات التي دار حولها الصخب السوداني قبيل سحب السفير من القاهرة، لكن الأمر بدا كأنه محاولة لتبرير عدم انخراط الخرطوم في علاقات أكثر متانة مع كل من الدوحة وأنقرة على حساب القاهرة.

البشير لم يعدل أو يغير من توجهاته إزاء قطر وتركيا، لكنه خفف من اندفاعات نظامه السلبية مع مصر، وصعد قيادات أمنية وعسكرية وحزبية وتنفيذية ليست على خصام مع القاهرة، إن لم تكن قريبة منها أو على استعداد للتعاون معها، لأنه لا يريد أن تظل الجبهة المصرية على حالها السابق من التوتر، والتهدئة المطلوبة خيار محوري في هذه اللحظة الحاسمة التي يعاني فيها النظام من سلسلة من الأزمات الداخلية المركبة، لا يستطيع تحمل تكاليفها الباهظة إذا خاض صراعا مزدوجا، في الداخل والخارج.

من تصوروا في القاهرة أن البشير سيضحي بإثيوبيا لاسترضاء مصر، بالطبع يخطئون ولا يعرفون كيف تفكر الخرطوم، فالانحناء لأي عاصفة عاتية متوقع أن تأتي من جهة مصر لا يعني بالضرورة مجابهة عواصف أخرى، اقتصادية وسياسية وأمنية، مع أي من الدول التي كانت مصدرا لتعكير العلاقات بين مصر والسودان.

> الخطورة التي استشعرها البشير على نظامه جاءت بالأساس من رافدين: تزايد احتجاجات الشارع على الغلاء الذي طحن قطاعا كبيرا من المواطنين، وارتفاع وتيرة التحركات الخفية لإجباره على إنهاء مدة رئاسته الحالية والرحيل في هدوء

مواجهة الأزمات بحلول مؤقتة

لذلك فعودة السفير السوداني إلى القاهرة غدا، يمكن فهمها في سياق البرغماتية التي يدير بها نظام الرئيس عمر البشير علاقاته، ومكنته من الاستمرار في السلطة لنحو ثلاثين عاما، تعرض خلالها لرياح متقطعة وجاءته من جهات متفرقة، ومن الصعوبة التعامل معها أو حتى قراءتها باعتبارها نقلة نوعية حقيقية لإعادة النظر في سجل العلاقات ومحاولة تصحيح الأخطاء على أسس سليمة.

الحديث العاطفي عن وحدة وادي النيل والمصير المشترك ربما يصلح لدغدغة مشاعر البسطاء هنا وهناك، لكن التصويب الحقيقي يبدأ بالمكاشفة والصراحة الشديدتين بشأن الأسباب التي أفضت إلى التوتر، لأن التهدئة الناجمة عن دوافع لا علاقة لها بالأزمات الحقيقية سوف تتوارى ويخرج من رحمها توتر جديد، هكذا علمتنا خبرة الماضي والحاضر بين مصر والسودان.

توتر متصاعد بين الحكومة التونسية والمنظمة الشغيلة

تغيير يوسف الشاهد لن ينفع البلاد في شيء في الفترة الراهنة

في ظل ضغوط الاتحاد العام التونسي للشغل، التي أخذت نسقا تصاعديا على الحكومة وتمسّك رئيسها يوسف الشاهد بعدم ارتهان القرار الحكومي لتلك الضغوط، يرى مراقبون أن العلاقة بين الحكومة والمنظمة الشغيلة مرشحة للمزيد من التوترات التي ستجد صدى في الشارع وستؤثر بشكل كبير على الوضع الهش للبلاد في الفترة القادمة، ما لم يتوصل الطرفان إلى التهدئة والعمل على إيجاد حلول وسط ترضي مختلف الأطراف.

❑ **تونس** – بعث الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل نورالدين الطبوبي، مجددا بسهام انتقاداته للأداء الحكومي ولرئيسها يوسف الشاهد بصفة خاصة، ضمن تصعيد يأتي بعد أسبوع من دعوة الطبوبي الصريحة بوجوب إجراء تعديل وزاري صلب الحكومة التونسية، ما يشي بأن بوادر أزمة حادة ستشهد تصاعدا في الأيام القادمة، فيما تستعد البلاد لإجراء الانتخابات المحلية (البلدية).

وبعث الطبوبي خلال كلمته، السبت، في افتتاح مؤتمر الاتحاد الجهوي للمنظمة الشغيلة بتونس، برسالة شديدة اللهجة إلى رئيس الحكومة عبر من خلالها عن رفض حصر مهام المنظمة الشغيلة في مربع المطلبية العمالية البحتة، مشددا على أن المسؤول السياسي مطالب بالنتائج.

> تصعيد قيادات الاتحاد العام التونسي للشغل ضد سياسات الحكومة يأتي عقب بدء تفتت الحزام السياسي الداعم لها بعد أن انسحبت بعض الأحزاب مثل حركة مشروع تونس والحزب الجمهوري وحركة الشعب من اتفاق وثيقة قرطاج

وقال الطبوبي متوجها ليوسف الشاهد "سيدي رئيس الحكومة الاتحاد لا ينازعك على صلاحياتك لكن كما لك حقوق عليك واجبات ومن واجبك أن تؤتمن على تونس". وأضاف "بصفتك رئيسا للحكومة وجب أن تعلم أن السياسي الناجح والمحنّك مطالب بتحقيق نتائج إيجابية وعندما نتمعّن في ما قدمته حكومتك نجد أن كل الأرقام سلبية، ولذلك فإن اتحاد الشغل لن يكون شاهد زور".

ومن أهم الملفات المرشحة لإشعال "حرب" بين الشاهد والاتحاد ملف خصخصة عدد من مؤسسات القطاع العام التي تشكو صعوبات مالية إلى حد الإفلاس. ووفق برنامج الحكومة الذي نال ثقة البرلمان، فإن الإصلاحات الكبرى تستوجب إعادة هيكلة عدد من مؤسسات القطاع العام وخصخصة عددا آخر للرفع من أدائها بعد أن تحولت إلى عبء ثقيل على موازنة الدولة. غير أن الاتحاد لا يرى في هذا التوجه سوى "استجابة لإملاءات صندوق النقد الدولي" واستهدافا للمؤسسات العمومية التي تشغل الآلاف من الأجراء والموظفين.

وجدّد الطبوبي تأكيده على أن مسألة التفويت في المؤسسات العمومية للقطاع الخاص هي بمثابة خط أحمر لا يمكن الخوض فيها. كما فتح أمين عام المنظمة الشغيلة ملف التسميات في الأجهزة الحكومية والمؤسسات العمومية بتأكيده أن تعيين إطارات ورؤساء مجالس الإدارات في عهد حكومة يوسف الشاهد تم بمبدأ المحاباة وعدم التعويل على الكفاءة.

وتأتي تصريحات نورالدين الطبوبي النارية بعد خمسة أيام من الإطلالة التلفزيونية التي قال فيها رئيس الحكومة يوسف الشاهد في تعليقه على دعوة اتحاد الشغل لإجراء تعديل وزاري، إن المسألة من صلاحياته هو فقط وأن في تقديره لا يمكن الحديث عن أي تعديل في فريقه الحكومي في الوقت الراهن، وهو ما فهمت منه قيادات أكبر منظمة عمالية في البلاد تعنّتا من يوسف الشاهد.

ورغم أن الشاهد شدد في أكثر من مرة على أن علاقته بالاتحاد ستحكمها سياسة الحوار والتشاور حول مختلف الملفات وفي مقدمتها الملف الاقتصادي والاجتماعي، غير أن الاتحاد انتهج سياسة الضغط تجاه الحكومة مستفيدا من الأوضاع الاجتماعية المتدهورة، حيث ما انفك يحمّل مسؤوليتها للحكومة والحال أن الأزمة تتجاوزها.

وتشير بوادر انقطاع حبال الود بين المنظمة الشغيلة ورئيس الحكومة يوسف الشاهد إلى أن هناك أزمة سياسية حقيقية تطل برأسها وقد تهدّد استقرار الوضع في البلاد خصوصا أن اتحاد الشغل كان منذ توقيعه برفقة أحزاب ومنظمات وطنية على وثيقة أولويات اتفاق قرطاج في مايو 2016 من أهم المساندين لما أطلق على تسميته حكومة الوحدة الوطنية.

ويعتبر الشاهد أن الشأن الحكومي من صلاحياته الدستورية باعتباره رئيسا للسلطة التنفيذية، وهو من يقرر إجراء تعديل وزاري من عدمه. غير أن اتحاد الشغل يرى، بالمقابل أنه معني مباشرة بالشأن العام بما في ذلك تركيبة الحكومة وأدائها ومدى التزامها بتعهداتها التي نصّت عليها وثيقة قرطاج.

ويأتي تصعيد قيادات الاتحاد العام التونسي للشغل ضد سياسات الحكومة مباشرة عقب بدء تفتت الحزام السياسي الداعم لها بعد أن انسحبت بعض الأحزاب مثل حركة مشروع تونس والحزب الجمهوري وحركة الشعب من وثيقة اتفاق قرطاج.

الوقت غير مناسب للتصعيد

وقال عماد الخميري، الناطق الرسمي باسم حركة النهضة الإسلامية لـ"العرب"، في تعليقه على تصريحات الطبوبي "إن حركة النهضة متشبثة بالدفاع عن الحكومة وعن رئيسها يوسف الشاهد". وأكّد أنه في الوقت الراهن لا يمكن الحديث عن تغيير الحكومة أو رئيسها بسبب المرحلة الصعبة التي تعيش على وقعها البلاد خصوصا مع اقتراب موعد الانتخابات المحلية المزمع إجراؤها في 6 مايو المقبل.

وحول بوادر مزيد تفكك الحزام السياسي المساند لحكومة يوسف الشاهد، قال الخميري إن الحكومة مازالت مدعومة بحزام قوي تقوده أكبر منظمات البلاد وأكبر أحزابها ولذلك هي قادرة على مواصلة العمل في أريحية. ونفى أن يكون هناك بعدَ تواتر تصريحات نورالدين الطبوبي المنتقِدة للحكومة أي لقاء قريب منتظر بين الموقّعين على وثيقة اتفاق قرطاج يقوده رئيس الجمهورية الباجي قائد السبسي.

وبنفس تصورّات حركة النهضة، مازال حزب نداء تونس شريكها في الحكم، يتمسّك على الأقل بصفة علنية بضرورة مواصلة يوسف الشاهد وهو أحد قياداته ترؤس الحكومة، فيما أشادت أحزاب المعارضة بمواقف الأمين العام لاتحاد الشغل بإجماعها شبه الكلي على أن بقاء الشاهد على رأس الحكومة بات مسألة وقت لا غير.

وقال محمّد عبو، رئيس حزب التيار الديمقراطي (أحد أبرز أحزاب المعارضة في تونس) لـ"العرب" إن مواقف الاتحاد العام التونسي للشغل في علاقة بالحكومة أو رئيسها ليست مفاجئة أبدا على اعتبار أنها عادة ما كانت تبنى تاريخيا على قاعدة ملفات التفاوض أو لتنفيذ طلبات منظوريه في كل القطاعات.

وأضاف أنه يتّفق تماما مع توصيفات نورالدين الطبوبي المنتقدة ليوسف الشاهد بقوله إن "مسيرة يوسف الشاهد على رأس الحكومة لم تعرف منذ تسميته في مايو 2016 تحقيق نجاحات تُذكر والدليل على ذلك مزيد تأزم الوضعين الاجتماعي والاقتصادي في البلاد". وحول فرضية ما إذا كان اتحاد الشغل قد سحب البساط من تحت أقدام الشاهد قال محمّد عبو "أعتقد أن مواقف المنظمة الشغيلة مبنية على دافع نقابي أكثر من أن يكون سياسيا ولذلك لا يمكن الحسم أو الجزم في مسألة سحب الاتحاد لثقته في الحكومة أو في رئيسها".

وأكّد أن تغيير يوسف الشاهد لن ينفع البلاد في شيء خلال الفترة الراهنة إلا إذا توفرت شروط هامة منها قيام هبّة شعبية تطالب الائتلاف الحاكم بوجوب تعيين رئيس حكومة مشهود له بالكفاءة، مشدّدا على أن أكبر الإشكالات التي أغرقت تونس في أزماتها هي منظومة الحكم التي يقودها نداء تونس والنهضة وليس رؤساء الحكومات.

وأضاف رئيس حزب التيار الديمقراطي أن مسألة بقاء الشاهد على رأس الحكومة انطلقت منذ أن تظاهر بدئه في الحرب على الفساد فوجد نفسه أمام ضغوط مستمرة من حزبي الحكم ولذلك لم يقدر على تحقيق أي شيء إيجابي خلال مسيرته في حكم البلاد.

سجال المسكوت عنه بين الاتحاد والحكومة في تونس

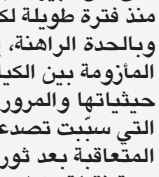

الحبيب مباركي
كاتب تونسي

❑ يؤشّر سجال التصعيد بين الحكومة التونسية والاتحاد العام التونسي للشغل على قلق كبير. ظهرت ملامح هذا التصعيد منذ فترة طويلة لكنه لم يطف على السطح، وبالحدة الراهنة، إلا مؤخرا. العلاقة المأزومة بين الكيانين لا يمكن إنكار حيثياتها والمرور على إرهاصاتها الثقيلة التي سبّبت تصدعا كبيرا للحكومات المتعاقبة بعد ثورة 14 يناير وما خلفته من تركة ثقيلة تزداد معها في كل مرة المطلبية النقابية تعنتا وإحراجا، فيما يقر البعض بأن الدور آت الآن على حكومة الوحدة الوطنية بقيادة يوسف الشاهد لدفع فاتورتها هي الأخرى، لتتأكد بذلك جدلية التناقض بين ما هو معلن وما هو مسكوت عنه، خصوصا من جانب الاتحاد العام التونسي للشغل.

القائمون على المنظمة النقابية يتمسكون برؤية قوامها أن تدخلهم في عمل الحكومة لا يكون إلا في الأوقات الحالكة وفي كل منعرج تظهر فيه إخلالات وارتباك وعدم إيفاء بالوعود. عمليا تبدو هذه الرؤية منطقية لجهة انخراط الكل (الأطراف الراعية لوثيقة قرطاج)، رغم تناقص عددهم، في وثيقة قرطاج التي تستمد منها الحكومة الحالية بقيادة الشاهد روحها رغم الإطباق عليها إسهابا في المنغصّات لا عملا بمنطق الحوار والسعي وراء إيجاد الحلول.

لكنّ المنطق أحيانا يظهر عكس ما تطفح به هذه الرؤية، أين يرى البعض أن المنظمة النقابية تتحيّن الضوائق وتختار المحن لتوغل في الضغط على الجرح الغائر ما يزيد في تعميقه لا المساعدة في تنظيفه ليندمل. وهي رؤية من زاوية ضيقة تكررت تقريبا مع كل الحكومات تقريبا، فيما الأهم وراء تحريك النقابات وتأليبها في كل مرحلة يسقط كل مصداقية تتحدث بها ألسن البعض من المنتسبين لهذا الهيكل النقابي من بحث عن حلول للوضع المتأزم الذي تمر به تونس.

سلاح "النقابات المنفلتة" الذي يكرر الاتحاد استخدامه، ربما دون إدراك منه، قد يأتي يوم تنفد فيه رصاصاته لجهة الإمعان في الطلقات الموجهة للحكومة بلا هدف واضح ومعلن مسبقا، فيما يقر متابعون بأن الأهم هو أن تعمل هياكل هذه المنظمة وتركز اهتمامها على معاضدة الجهود الرامية لكشف شبكات الفساد والفاسدين.

اتحاد بعد الثورة ليس هو نفسه اتحاد ما قبلها. صورة العمل النقابي تكاد تفقد صفاتها المعهودة وطغى عليها السياسي في الكثير من الأحوال، تبدو هذه الأسئلة وغيرها مما يطرح اليوم من استفسارات في الشارع التونسي جاهدة وراء البحث عن حلول لما يحدث للجسم السياسي في تونس اليوم. لكن تفسير البعض يربط المقاربة بأنها أحيانا تكون أكثر تماهيا لدى النقابيين في رؤيتهم وتصورهم للأشياء والمسائل وكيفية تقديم الحلول حتى أنهم قد يتناسون أحيانا أنهم نقابيون. هذه الصورة بدأت ملامحها تتشكل الآن في المشهد السياسي التونسي الذي يكاد يتماهى فيه ما هو سياسي مع ما هو نقابي.

> اتحاد بعد الثورة ليس هو نفسه اتحاد ما قبلها. صورة العمل النقابي تكاد تفقد صفاتها المعهودة وطغى عليها السياسي في الكثير من الأحوال

عمليا، تبدو هذه الأسئلة وغيرها مما يطرح اليوم من استفسارات في الشارع التونسي جاهدة وراء البحث عن حلول لما يحدث للجسم السياسي في تونس اليوم. لكن تفسير البعض يربط المقاربة بأنها أحيانا تكون أكثر تماهيا لدى النقابيين في رؤيتهم وتصورهم للأشياء والمسائل وكيفية تقديم الحلول حتى أنهم قد يتناسون أحيانا أنهم نقابيون. هذه الصورة بدأت ملامحها تتشكل الآن في المشهد السياسي التونسي الذي يكاد يتماهى فيه ما هو سياسي مع ما هو نقابي.

المرحلة الفعلية لتوغل الاتحاد وخروجه عن النص جدت منذ دخوله على خط الأزمة في تونس بعد اغتيال القيادي اليساري شكري بلعيد. فيما يعيب البعض على حركة النهضة الحاكمة حينها سماحها بذلك. صحيح أن "الحوار الوطني" الذي قاده الاتحاد باركه العالم وجنّب البلاد الكثير من المطبات، لكنه في المقابل فتح الباب على مصراعيه أمام تغوّل المنظمة النقابية في المشهد السياسي لتتضح معالم الصورة أكثر بدخول بعض القيادات السابقة في الجسم النقابي وإعلانها عن استعدادها لتحمل حقائب وزارية وكان لها ذلك في ما بعد.

من مفارقة السياسة في تونس أن تجد عينا زائغة للنقابي وأخرى ذابلة، متعبة وأحيانا مرهقة للسياسي. أهواء السياسة أخذت الاثنين في بحور من التشظي، من الاختلاف وأحيانا من الخلاف. هو حال تونس اليوم بما تعيشه عقب ثورة أهدت انفلاتا نقابيا لم يسبق له مثيل. ربما يكون الحديث مبالغا بعض الشيء، لكن ملامح الطفرة النقابية توحي بذلك. الأهم من ذلك كله أن عين السياسي ليست هي عين النقابي مهما كانت التصورات والحلول والمقترحات المقدمة وطريقة موازنة الأشياء.

تفكيك الظاهرة وكشف ملامحها للعيان وإخراج بواطن الأشياء يتطلب رجوعا إلى سجل التاريخ النقابي في تونس بما يمكن من الوقوف على المراحل التي كان فيها العمل النقابي متماهيا مع العمل السياسي. يخدمه وقد يتعارض معه ولكن في حدود. في حدود ما تسمح به هيبة الدولة، وفي حدود ما يسمح انصهار الجسمين خدمة للمسار العام للدولة لا تهديدا وخروجا عن النص.

جدير بالممارسة النقابية أن تترفّع عن خوض كل ما هو سياسي، لكنها أظهرت العكس. صارت محورا يفرض نفسه ويزج بها مع كل منعرج وكل مرحلة تظهر فيها الدولة ضعفها، وهي ليست كذلك، لتبادر إلى التنديد والشجب وإعلاء الصوت. هنا زاغت عين النقابي وفقدت بوصلتها وجرفها تيار السياسة فانقادت وراءه عنوة لاهثة باحثة عن تموقع رغم التحجّج ظاهريا بأن النقابي أبدا لن يتحول إلى سياسي.

أمثلة عديدة لشخصيات تغالي في الانغماس في ما هو نقابي لكنها تظهر أكثر مما تبطن بأن عينها على المنصب أمر لا يمكن حجبه ونفيه حتى في أحلك الحالات إرهاصا وتطلبا للمكاشفة والمعاضدة لا عنادا مفرغا من كل معنى وحس وطني.

يقف الاتحاد التونسي للشغل اليوم على الربوة ويتناسى المحسوبون عليه أن الحري بهم هو تهدئة الشارع وتهيئة الظروف لاستكمال الاستحقاق الانتخابي أولا وإخراج البلاد من دائرة الأزمة ومن ثمة تقييم العمل الحكومي والحكم عليه بالسلب أو الإيجاب.

تستميت المنظمة النقابية في الدفع نحو فرض اختياراتها على حكومة الشاهد باتباع أسلوب المكاسرة والوقوف ندا، فيما تواصل الأخيرة سياسة "الهروب إلى الأمام" بحثا عن حلول أملا في إنقاذ الوضع المتأزم، فيما يقر البعض بأن تونس تحتاج "معجزة حقيقة" تقطع مع كل ما هو تماه بين النقابي والسياسي وترتب لمسار مواز يسير فيه المكونان دون أن يلتقيا.

هل أصبحت الأرستقراطية البريطانية من التاريخ

المؤسسة العميقة تتقوقع على نفسها مقابل صعود «طبقة خارقة» من المهنيين المحترفين

النخب تعيد إنتاج هويتها الجماعية

❑ **لندن** – عند الحديث عن الثقافة الأرستقراطية، أول ما يتبادر إلى الذهن بريطانيا التي تعد النموذج الأمثل لهذه الثقافة من السياسة إلى التقاليد المجتمعية. لكن في السنوات الأخيرة بدأت هذه الصورة تتآكل وتصبح جزءا من التاريخ. بريطانيا الأرستقراطية ذات التقسيمات الطبقية الواضحة تتغير. مازال هناك الكثير من مظاهر تلك الحياة. لكن هناك تحول أيضا.

العائلة الملكية صارمة في تقاليدها وقواعدها، لكن الأمراء بدأوا يتزوجون من "العامة". سباق الخيل الملكي والنوادي الخاصة والمدارس الخاصة والمناصب النخبوية مازالت شاهدا حيا على أسلوب حياة النخبة الثرية، لكن ذلك لا ينفي أن هناك تغييرا اجتماعيا ملموسا يزحف شيئا فشيئا على المؤسسة البريطانية أو ما يعرف بـ"ذي استبليشمت"، بشكل عام، وأن مشاهد كثيرة تؤكد أن صعود رأس المال ونفوذ الشركات بدأ يستبدلان الدولة العميقة في بريطانيا.

> بين ثلث ونصف شركات مؤشر فوتسي 100 يقودها مدير تنفيذي غير بريطاني، وأغلبية الأسهم لم يعد يملكها أفراد بريطانيون أو صناديق معاشاتهم لكن يتاجر بها عدد كبير من المستثمرين الدوليين غير المتصلين ببعضهم البعض

ويرصد الكاتب في صحيفة الغارديان إيرون ديفيس، بعضا من ملامح هذا التغيير، مشيرا إلى أن هناك تقاطعات كثيرة بدأت تظهر على المؤسسة البريطانية الأرستقراطية. ويستشهد ديفيس، في تحقيقه المطول الذي نشرته الغارديان مؤخرا، بما جاء في كتاب صدر سنة 2014، للكتاب البريطاني أوين جونس، حمل عنوان "ذي استبلشمت". ويشرح جونس في كتابه كيف ولماذا ستسود المنظومة البريطانية الطبقية. ويعلق إيرون ديفيس على الكتاب مشيرا إلى أنه كتب في زمن بدت فيه النخبة تزدهر بالرغم من مساهمتها في تدمير الاقتصاد العالمي.

وكان ديفيس، المهتم بدراسة كيفية عمل السلطة، قضى الـ20 سنة الماضية يبحث مع شخصيات النخبة في خمسة ميادين ترتبط بالمؤسسة الحديثة، وهي الإعلام وحي سيتي لندن والشركات الكبرى وموظفو وايتهول والأحزاب السياسية الكبرى في وسمينستر.

وبعد استجواب ومراقبة أكثر من 350 شخصا أصبح لديه اعتقاد بأن المؤسسة لم تعد متماسكة أو متضامنة أو كفؤة. وفشلها لا يؤدي فقط إلى المزيد من الانقسامات والتفاوت الاجتماعي والهشاشة في بريطانيا، بل يهدد أيضا حتى أسس حكم المؤسسة ذاتها.

استفتاء البريكست

يرصد ديفيس تغييرات كبيرة طرأت على البلاد، بعد التصويت على الخروج من الاتحاد الأوروبي في 2016، مشيرا إلى أنه بعد الإعلان عن نتيجة استفتاء الخروج والتي جاءت لصالح البريكست، وجد كل من رئيس الوزراء البريطاني السابق ديفيد كامرون ووزير المالية البريطاني السابق جورج أوزبورن نفسيهما يجرفهما التيار بينما وجد بنك إنكلترا وقادة الصناعة أنفسهم محتارين في من يساندون؟

وكان حزب المحافظين، وهو حزبهم السياسي، والحزب الوحيد الذي ساندوه من قبل على الإطلاق، يتخذ مسار عمل رأوا أنه سيدمر الاقتصاد. وتبعا لذلك انهار الجنيه الإسترليني ومؤشر فوتسي 100. وبدأ أصحاب الأسهم يثورون وبدأ "الصيارفة" ينتقلون إلى أماكن أخرى.

وبعد سنة بدت المؤسسة تتعافى من جديد، ثم جاءت الانتخابات المبكرة لشهر يونيو 2017 وخسر المحافظون أغلبيتهم البرلمانية على الرغم من كل مواردهم وتقدمهم في الاستطلاعات في البداية، حيث خسرت رئيسة الوزراء تيريزا ماي أمام جيرمي كوربن، الذي يصفه ديفيس، بأنه جمهوري مسالم رديء اللباس ولا يملك أموالا ولا دعما إعلاميا وحكومة ظل صغيرة جدا يمكن أن تتسع لها مقصورة هاتف عمومي. وتُرك حزب المحافظين يتفاوض حول اتفاقية البريكست بزعيم ميت وبرلمان معلق ودون أي فكرة عن النتائج التي تريدها المؤسسة.

تشير كل هذه الأشياء إلى أنه ربما آن الأوان لطرح السؤال هل مازالت المؤسسة البريطانية تشتغل كسابق عهدها. بعض أفراد النخبة أصبحوا أثرياء جدا، وهم مازالوا متحدين في خوفهم وكرههم لأفكار الجناح اليساري والناس العاديين. ومازالوا يتمتعون بمهارة عالية عندما يتعلق الأمر بالسعي وراء مصلحتهم الخاصة. ومازالت لقراراتهم نتائج قوية يحس الناس بوقعها على نطاق واسع. لكن يبدو أنهم أصبحوا أقل قدرة على بسط السيطرة أو التنبؤ بنوعية النتائج.

وشاعت فكرة "المؤسسة" "ذي استبلشمت" في الخمسينات وبداية الستينات من القرن الماضي. وحسب منظريها الأساسيين مثل المؤرخ هيو توماس والصحافي أنطوني سامبسون، فقد ذهب أغلب أفراد هذه الشبكة من النخبة إلى واحدة من سبعة مدارس كلارندون الداخلية مثل أيتون أو راغبي أو هارو

ومن هناك انتقلوا إلى الأكاديمية العسكرية ساندهورست أو أوكسبريدغ. ثم انزلقوا دون مجهود إلى المناصب القوية في المنظمات الخاصة أو العمومية. وكان التحكم السياسي يتم من خلال مؤسسات الدولة الكبرى لكنيسة إنكلترا ووسمينستر ووايت هول والقوات المسلحة. وكان الاقتصاد مشتتا يتم تنسيقه عبر شراكة عمومية وخاصة تضم وزارة الخزانة وبنك إنكلترا وسيتي لندن وقادة الأعمال. وكانت بي بي سي والصحافة الوطنية تعمل على ضمان قبول "عموم الشعب" لهذا الوضع.

وكانت هذه النخب تعيد إنتاج هويتها الجماعية وتحافظ عليها عبر حلقات اجتماعية خاصة، ومن بين تلك الروابط نجد العضوية في نوادي لندن الراقية مثل غاريك وأثينايوم. وإذا لم يكونوا يملكون لقبا بعد سيحصلون عليه قريبا جدا، واضعين نهاية لأيامهم في بيت الرعاية الذهبي، ذلك المعروف بمجلس اللوردات.ومثلما شرح السير آلان بود، المستشار الاقتصادي السابق لدى وزارة المالية البريطانية منذ سنة 1970، لم تكن الوزارة تدار من قبل اقتصاديين محترفين. كان المسؤولون يرجعون إلى "ذي براون بوك"، وهو مجلد حكومي يشرح كيفية استعمال أدوات تقنية معينة للرد على تغيرات في التشغيل والتضخم.. إلخ. وكان هذا الكتاب، كما يقول ديفي، عبارة عن "دليل دمى" لإدارة الاقتصاد البريطاني.

لكن لم يكن الأمر يقتصر على الوظيفة العمومية، حيث يبدو أن تغييرا مماثلا حدث عبر معاقل المؤسسة من الثمانينات فصاعدا. وليس هناك مثال عن تدهور سلطة المؤسسة القديمة أفضل من استحواذ "غرانادا ميديا" سنة 1995 على سلسلة الفنادق "تراستهاوس فورتي" الراقية. كان رئيس مجموعة الفنادق، السير روكو فورتي، ابن اللورد فورتي، يعطي حزب المحافظين تبرعات بصفة منتظمة وكان يسلي النخبة في فنادقه الريفية. لكنه كان يصطاد القطا في السباخ عندما أعلن عن عرض الاستحواذ.

طبقة خارقة

لاحظ السياسي البريطاني لأندرو أدونيس (يحمل لقب بارون) والصحافي ستيفن بولارد بروز "طبقة خارقة" من المهنيين المحترفين في الحقوق والمحاسبات وقطاعات أخرى. وهذا أنتج "إطارا متشابكا بشكل وثيق" فصل نفسه عن البقية. ويشير ديفيس إلى أنه في هذه الأيام بين ثلث ونصف شركات مؤشر "فوتسي 100" يقودها مدير تنفيذي غير بريطاني، وأغلبية الأسهم لم يعد يملكها أفراد بريطانيون أو صناديق معاشاتهم لكن يتاجر بها عدد كبير من المستثمرين الدوليين غير المتصلين ببعضهم البعض.

ويضيف أن الروابط الآلية بين التعليم الراقي والتقاليد والمكانة والسلطة والمال التي كانت فيما مضى تميز المؤسسة انحلت. الآن أصبحت نسبة أصغر بكثير ممن هم في السلطة يستعملون الحزام الناقل كلارندون-أوكبريدغ ليصلوا إلى الأعلى. والنوادي الراقية في لندن فارغة أو هي الآن (وهو أمر أسوأ للنخب) تسمح للنساء والأجانب والأفراد من طبقات "دنيا" بالانضمام. وكذلك اختفى عن الأنظار أفراد الطبقة الأرستقراطية الذين كانوا سابقا موزعين عبر مجالس إدارة المؤسسات والشركات العمومية الكبرى.

والكثير من الذين يوجدون في عالم الشركات الكبرى وعالم المال لم يحصلوا على تعليم النخبة أو ماض متميز، بل جمعوا الكثير من المال والنفوذ. أولئك الذين يعملون في أعلى مؤسسات الدولة هم الأكثر أرجحية بأن يكونوا من المخزون الجيد للمؤسسة ويحصلون على أوسمة، ولكن أيضا يحصلون على دخل أقل ونفوذ مشكوك فيه.

ونظرا لتردي الروابط التعليمية والثقافية تختفي أيضا القيم المشتركة المرتبطة بالمؤسسة. كانت الروايات السابقة تقول إن "الوظيفة العمومية" مطمح نبيل للنخبة، فمثلما لاحظ جورج أورول في سنة 1941 أن الطبقات العليا مهما بلغت درجة عدم جدواها فهي تؤمن بخدمة الوطن، حيث يقول "شيء واحد بيّن على الدوام بأن الطبقة الإنكليزية الحاكمة سليمة أخلاقيا إلى حد ما هو أنهم في زمن الحرب تجدهم مستعدون كفاية لتعريض أنفسهم للموت".

وإذا لم يعد التمظهر الحالي للمؤسسة مترابطا بواسطة الطبقة المشتركة أو المصالح الجماعية، فكيف ستحافظ على التماسك؟ أحد الأجوبة هو التموضع في أفكار الليبرالية الجديدة: عن طريق الدعاية للدولة الصغيرة ومنظومة السوق الحرة وتخفيض الضرائب وتخفيض القوانين التنظيمية والعولمة وما إلى ذلك. حاليا تتقاسم النخب الحديثة المتفرقة أيديولوجيا تبرر وتحافظ على ثرواتها ومناصبها في السلطة.

لكن بالرغم من مضي قرابة أربعة عقود من الهيمنة على المنظومة السياسية والاقتصادية لم تعد الليبرالية الجديدة على ما يبدو تقدم مثل تلك القاعدة المستقرة للحفاظ على سلطة النخبة وأرباحها. كل المفاتيح توجد في سيتي لندن الموجودة حاليا في قلب سلطة المؤسسة البريطانية.

وتطغى الليبرالية الجديدة والمصلحة الذاتية على القطاع المالي للعاصمة وهي تدفع بالقيم لتدوم زمنا أطول بكثير من أي مكان آخر في المملكة المتحدة، وفي هذا المكان بالذات كادت المؤسسة أن تمحو نفسها، وهو المكان أيضا الذي يرجح أن تنهي فيه المهمة في المستقبل.

وأي شخص يقضي وقتا يبحث حول سيتي لندن يمكنه أن يرى إمكانية انهيار الأشياء في فترة وجيزة. فلا أحد هناك يثق في أي شيء أو أي أحد آخر. لقد وثّق مؤلفون مثل فليب أوغر كيف أن موت "رأسمالية الجنتلمان" تبعت "الانفجار الكبير" لإزالة القيود التنظيمية الخاصة بسيتي لندن في سنة 1986. وبيّن جوريس أويندايك في كتابه الصادر في سنة 2015 حول عالم الصيرفة مدى الدمار الذي تحدثه الفترة المطولة من المصلحة الذاتية القائمة على الرشوة بالنسبة إلى من يعملون هناك.

> المؤسسة العميقة لم تعد متماسكة أو متضامنة. وفشلها لا يؤدي فقط إلى المزيد من الانقسامات والتفاوت الاجتماعي والهشاشة في بريطانيا، بل يهدد أيضا حتى أسس حكم المؤسسة ذاتها

وفي النهاية، يؤكد ديفيس، أن الجشع والمصلحة الذاتية التي لا تعرف الرحمة هي التي كانت تحرك سيتي لكن دون مسؤولية شخصية. وذلك يعني أن المنظومة برمتها كانت مهددة. بيد أن منطق الليبرالية الجديدة والمصلحة الذاتية غير المقيدة لها قدرة تدميرية على المؤسسة وكذلك بقية المجتمع فبعد مرور عقود أصبحت عيوبها وتناقضاتها أكبر بكثير من القدرة على معالجتها.

وهي كذلك المسببة لتناقض آخر يهدد المؤسسة، فبالرغم من خطابه الداعي للفردانية والمناهض للدولة ما يزال هذا النظام الجديد يعتمد على الدولة. إن النخب في حاجة إلى حكم القانون والأمن وبنية تحتية للنقل وقوة عاملة مقتدرة واستقرارا اجتماعيا لكي تعمل، لكن الليبرالية الجديدة تدعو إلى تقليص حجم الدولة إلى أقصى حد ممكن وتجمع موظفين أفقر وأقل مقدرة وتدعم التهرب الضريبي على نطاق واسع للشركات الكبرى والأثرياء جدا.

ويخلص ديفيس مشيرا إلى أن الخاصية المؤقتة على المستوى الدولي للنخبة الجديدة تعني أنها لا تهتم بالفضاءات أو المجتمعات أو القوى العاملة المهمة لخدمة الشركات الكبرى، إضافة إلى حاجاتهم الشخصية. وكل هذا يوحي بأن التمظهر الحالي للمؤسسة (إذا أمكن لنا أن نسميها كذلك حاليا) أمامه مستقبل محدود إلى حد كبير.

وزير إشكالي يطرح معنى ميدانيا مختلفا للعمل السياسي

وائل أبوفاعور

جنبلاط ألبس تيمور الكوفية ولم يلبسه عباءة الزعامة

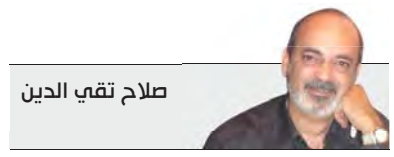

صلاح تقي الدين

زيارة رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري إلى المملكة العربية السعودية قبل يومين، جاءت وسط مناخ يبدو فاترا من طرف الرياض تجاه الزعيم الدرزي اللبناني وليد جنبلاط حسب التخمينات، لتخرج بعدها تصريحات الوزير السابق وائل أبوفاعور لتزيد من تأكيد المؤكد، وتحدد خطوط الملاحظات السعودية على نهج جنبلاط. فقد أشار أبوفاعور في حديث تلفزيوني قبل أيام قليلة إلى أن حديث جنبلاط حول شركة أرامكو والحرب في اليمن، تم نقل العتب السعودي حوله إليه. وأضاف أبوفاعور "لذلك لم يقم الوفد السعودي الذي يزور لبنان بزيارة جنبلاط، ولكن وجهت إلينا دعوة لزيارة الوفد في السفارة".

ولأن السياسة حافلة دوماً بالتحولات، فقد كانت، على ما يبدو، أولى نتائج زيارة الحريري الأخيرة إلى الرياض، لقاء جمع أبو فاعور مع المستشار في الديوان الملكي السعودي نزار العلولا في بيروت. لقاء قال عنه أبو فاعور إنه كان إيجابيا.

> أبوفاعور القيادي الدرزي الشاب يطرح ما يسميه بالتحدي الكبير الذي يتخذ شكل السؤال «هل سيدخل تيمور جنبلاط إلى المجلس النيابي كما دخل كمال جنبلاط ووليد جنبلاط؟»، ولكنه لا يلبث أن يشدد على أن تيمور سيدخل البرلمان بكتلة وطنية وازنة من كل الجهات

يرى أبوفاعور الذي ولد ونشأ في أوساط الحزب التقدمي الاشتراكي أن تصريحات رئيس الحزب لا تستند إلى رغبة في انتقاد السعودية، بل تنبع من "حرص على المملكة، باعتبار أن لدى جنبلاط علاقة تاريخية تخوّل له إعطاء رأيه في بعض القضايا".

وكان جنبلاط قد انتقد في لقاء مع الإعلامية بولا يعقوبيان، قرار الرياض خصخصة شركة أرامكو، معتبرا أنها ملك للعرب، وأن رأيه يعود إلى أنه "اشتراكي يؤمن بهيمنة الدولة على الموارد"، ووصف جنبلاط، في حديثه ذاك، الحرب في اليمن بأنها "عبثية"، قائلاً "إن كل حرب في النهاية هي عبثية".

المستقبل للشباب

تمرّس أبوفاعور بالعمل الحزبي إلى أن أهّله نشاطه والكاريزما التي يتمتع بها لقيادة "منظمة الشباب التقدمي" الناشطة بين الطلاب والقوى الشبابية. فكان نجاحه في هذه المهمة المفتاح الذي فتح باب عقل وقلب جنبلاط الذي قرّبه منه ورأى فيه نموذجاً للجيل الشاب في الحزب الذي يعوّل عليه لتسلّم الأمانة إلى جانب وريثه الشاب تيمور.

قرّر جنبلاط منح أبوفاعور الفرصة وترشيحه للمقعد النيابي الدرزي عن دائرة راشيا، البقاع الغربي في العام 2005، فلم يخيب ظنه. وفرض نفسه "نجماً" على المنبر البرلماني خصوصاً عند مناقشة البيانات الوزارية للحكومات المتتالية، إلى أن أصبح هو نفسه وزيراً، فكان نشاطه الوزاري لا يقل شأناً عن نشاطه النيابي، حتى أنه عندما تولى الوزارة للمرة الرابعة، وكان قد خبر المقاعد الوزارية، أسندت إليه حقيبة الصحة العامة، فصار اسمه على كل لسان في لبنان.

ولد أبوفاعور في بلدة حلوات الكفير في قضاء حاصبيا عام 1972 وتلقى دروسه الابتدائية والتكميلية والثانوية في مدارس مسقط رأسه الرسمية. وبعد حصوله على منحة من مؤسسة رفيق الحريري دخل إلى الجامعة الأميركية في بيروت، وتخرّج منها حاملا إجازة في إدارة الأعمال.

وأثناء دراسته الجامعية انتمى أبوفاعور إلى "منظمة الشباب التقدمي" وتدرّج في مسؤولياتها من أمين سرّ مكتبها في الجامعة الأميركية إلى عضو الأمانة العامة للمنظمة، حتى انتخب أمينا عاما لها، وظل على رأسها حتى عام 2002.

غير أن نشاطه في قيادة المنظمة كان لافتا إلى درجة أنه بعد أن أمضى سنتين في قيادتها، انتخب عضوا في مجلس قيادة "الحزب التقدمي الاشتراكي" فأصبح أقرب إلى جنبلاط الذي بدأ يراقب نشاط أبوفاعور عن كثب ويكلفه ببعض القضايا الحزبية الداخلية فيبرع الأخير في معالجتها ما زاد من ثقة وإعجاب جنبلاط به، حتى أصبح معاونه السياسي.

يقول أبوفاعور لـ"العرب" عن قلق جنبلاط من ترهل العمل السياسي إن "وليد جنبلاط يعيش دائماً هاجس إعطاء الفرص للشباب، وقد فعل ذلك معي كما فعله لدى اختيار الطبقة الجديدة من مسؤولي الحزب من الأمين العام وصولاً إلى أعضاء مجلس القيادة الذين يحق لجنبلاط تعيينهم بصفته رئيساً للحزب، فجاؤوا جميعهم من عنصر الشباب". ويضيف أبوفاعور "بعدما أعلن عن نيته إحداث تغيير في الكتلة النيابية التي يرأسها بإدخال وجوه جديدة وشابة، يعلن جنبلاط عن ترشيح نجله تيمور الشاب المثقف والطموح الذي لديه الهواجس نفسها التي يملكها أبناء جيله، مفسحاً المجال أمام كادرين من أعضاء الحزب الشبان والنشيطين، ومرشحا إياهما إلى جانب تيمور".

حرب الانتخابات ضد الحيتان

بعد انتهاء تجربة أبوفاعور الناجحة والمثيرة جداً في وزارة الصحة، عاد إلى صفوف الحزب ليمارس نشاطه الحزبي ضمنه وهو يؤكد "أريد أن أمحو هذه النظرية الخاطئة السائدة في المجتمع اللبناني (التي تفيد) بأن الحزبيين أناس انتهازيون الذين بمجرد أن يصلوا إلى ما يريدون ينسون أحزابهم".

التجربة الميدانية في مواجهة الخصوم تبدت أكثر وضوحاً في عمله في وزارة الصحة العامة، حيث لمع نجم أبوفاعور كثيراً بعدما اتخذ قراراً يقول عنه إنه لم يكن قراراً شخصياً بل قرار من الحزب التقدمي الاشتراكي بمحاربة الفساد والاهتمام بالمسائل الحياتية التي تعني كل الناس.

شن ما اصطلح على تسميته بحملة "سلامة الغذاء"، حيث راح يشرف شخصياً على عمل فريق مفتشي الوزارة الذين لم يتركوا دسكرة وحارة وقرية في لبنان إلا وتوجهوا إليها لمراقبة التزام مقدّمي الخدمات الغذائية إلى الناس بالشروط الصحية المفروضة من الوزارة.

وكانت لهذه الحملة آثار إيجابية جداً، إذ واكبتها الوسائل الإعلامية التي التقطت من جملة ما التقطت عبارة "المواصفات المطابقة" حيث أن المخالفات التي كان مفتشو وزارة الصحة يحررونها بحق المخالفين تستند إلى بند "عدم مطابقة المواصفات"، فأسْنِدَ إلى أبوفاعور لقب "وزير المواصفات المطابقة".

لا يخجل أبوفاعور من هذه الصفة بل يعتبر أن ما قام به حقق إنجازاً، إذ أن إدارته لهذه الحملة كشفت العيوب التي كانت تعتري مأكل ومشرب المواطن اللبناني "الذي من حقه على المسؤولين على الأقل حماية صحته، وهذا واجب علي".

غير أن أبوفاعور كان يدرك سلفاً -حسب ما قاله لـ"العرب"- أنه كان "يشن حملة ضد حيتان المال الذين يتمتعون بحماية سياسية كبيرة في البلد، وبالتالي فإن نجاح الحملة لا يكون بضبط المخالفين وتحرير الغرامات بحقهم، بل يجب أن تستمر وأن تكون شعاراً دائماً وأن يوضع حد لهؤلاء الحيتان وحماتهم لكي يستطيع المواطن أن يطمئن إلى أن غذاءه غير مغشوش ولن يودي به إلى المرض على أقل تقدير".

من كمال إلى يومنا هذا

المواطن اللبناني شعر ببصمة أبوفاعور الإيجابية، فلم يرفض عند توليه وزارة الصحة يوماً طلب دخول مريض إلى المستشفى على حساب الوزارة، كما أنه خاض معركة أخرى ضد نقابة أصحاب المستشفيات في سبيل تحديد عدد الأسرّة التي تمنحها لصالح الوزارة بعد "معركة كرّ وفرّ" في احتساب سعر السرير. غير أن المعركة الأهم كانت تلك التي خاضها ضد محتكري استيراد الأدوية، فكانت المرة الأولى التي يتجرأ فيها وزير للصحة على خوض معركة تخفيض سعر الدواء في لبنان وحقق نجاحاً باهراً في ذلك وصل إلى حد إنقاص أسعار بعض الأدوية بحدود 70 بالمئة.

لم تنته معركة أبوفاعور الإصلاحية باسم الحزب التقدمي الاشتراكي بعد انتهاء مهامه الوزارية، فبحكم موقعه كمعاون سياسي لجنبلاط، تراه لا يزال يتابع كامل الملفات التي تولاها لكنه يقوم بذلك اليوم بصفته التشريعية كنائب عن دائرة راشيا البقاع الغربي، فكانت مداخلاته أثناء مناقشة البيان الوزاري لحكومة الرئيس سعد الحريري، رغم وجود ممثلين عن الحزب الاشتراكي فيها، تركّز على الجانب الإصلاحي في البيان الوزاري وانتقد حيث يجب أن ينتقد ورحّب حيث يجب أن يرحّب، وهو يقول عن ذلك "لا يمكن أن تقبل بالاعوجاج حين يظهر، عليك السعي لتقويمه، ولا يمكنك إغفال الأمور الجيدة وعليك الإشارة إليها والإشادة بها".

وفي بيان أصدره مؤخرا قال أبوفاعور إنه يعبر عن "كل الدعم لمطالب الأشخاص ذوي الحاجات الخاصة من قبل اللقاء الديمقراطي، وعدم إنصافهم لا يحرمهم هم بل يحرمنا نحن من إنسانيتنا ومن مسؤوليتنا الأخلاقية تجاه المواطنين اللبنانيين"، وعبر عن غضبه على تخلي البعض عن مسؤولياتهم قائلا "بئس الدولة التي تتنكر لمسؤولياتها وتغدق أموالها في غير مكانها".

غير أن أبوفاعور يكاد لا يفارق تيمور نجل جنبلاط، الذي هو أيضاً مرشح عن المقعد الدرزي في دائرة جبل لبنان الرابعة في الشوف وعاليه، وفي هذه المسألة يقول أبوفاعور "في الواقع لست وحدي في فريق تيمور، فأنا أقوم بدوري في ما يتعلق ببعض لقاءاته السياسية وتلبية الطلبات الخدماتية التي اعتادت دار المختارة على الاعتناء بها منذ أجيال".

أمامه اليوم مهمة رئيسية كبرى تتمثل في خوض الانتخابات النيابية المقررة في السادس من أيار المقبل، وهو يعتبر أن وجوده على لائحة مرشحي الحزب التقدمي الاشتراكي لهذه الانتخابات "وسام على صدري، آمل أن أتمكن من النجاح للاستمرار في تأدية ما تعلمته من مبادئ في صفوف حزب المعلم الشهيد كمال جنبلاط، ومن الخبرة الكبيرة التي اكتسبتها من الرئيس وليد جنبلاط، وأن أكون إلى جانب الرفيق تيمور جنبلاط لمتابعة المسيرة".

رؤية أبوفاعور لدور الزعيم الجديد للدروز تيمور جنبلاط ترجع إلى فهمه لدور قصر المختارة في قيادة الطائفة الدرزية من جهة، وفي العمل الوطني اللبناني من جهة أخرى. لذلك تجده يطرح ما سماه بالتحدي الذي يتخذ شكل السؤال "هل سيدخل تيمور جنبلاط إلى المجلس النيابي كما دخل كمال جنبلاط ووليد جنبلاط؟" ولكنه لا يلبث أن يشدد على أن تيمور سيدخل البرلمان بكتلة وطنية وازنة من كل الجهات.

وتكاد السياسة في لبنان تعيش اليوم على فكرة وحيدة، هي فكرة الزعامة، بعد سقوط الأيديولوجيات والاتجاهات وفشل كل العقائد في بلورة عمل وطني مشترك، لذلك يرى أبوفاعور في تصريحات لتلفزيون المستقبل أن "تيمور جنبلاط يرث المقعد النيابي وبيت المختارة الذي عمره أكثر من 300 سنة والذي قدم الكثير من اللبنانيين"، مشيراً إلى أن "تيمور تسلم الكوفية، وتعمّد والده أن لا يسلمه العباءة، وذلك لأن التقدمي الاشتراكي وبعد كمال جنبلاط أصبح تياراً فكريا ثقافيا. لذلك فإن تيمور يأتي ليحمل الإرث ويكمل المسيرة ويقودها"، مع أنه يقول "لا يوجد رفيق أول ورفيق ثان في الحزب التقدمي الاشتراكي".

وفي الفارق ما بين الكوفية والعباءة، يبقى لبنان بلد التقاليد السياسية ذات المغزى الرمزي، فكل شيء يحال إلى رغبة عميقة في عدم التصريح المباشر، ومن هنا تبدو تصريحات جنبلاط الأب التي أثارت العتب السعودي، حمالة أوجه ومعان مقصودة، ولم تكن دون عفو الخاطر من سياسي لبناني عُرف عنه أنه بوصلة مسبقة لاتجاهات المنطقة.

> المعركة الأهم لأبوفاعور تلك التي خاضها ضد محتكري استيراد الأدوية، فكانت المرة الأولى التي يتجرأ فيها وزير للصحة على خوض معركة تخفيض سعر الدواء في لبنان، وحقق نجاحاً باهراً في ذلك وصل إلى حد إنقاص أسعار بعض الأدوية بحدود 70 بالمئة

● السياسة في لبنان تكاد تعيش اليوم على فكرة وحيدة، هي فكرة الزعامة، بعد الفشل في بلورة عمل وطني مشترك، لذلك يركز أبوفاعور على دور قصر المختارة الهام طيلة ال300 عام الماضية.

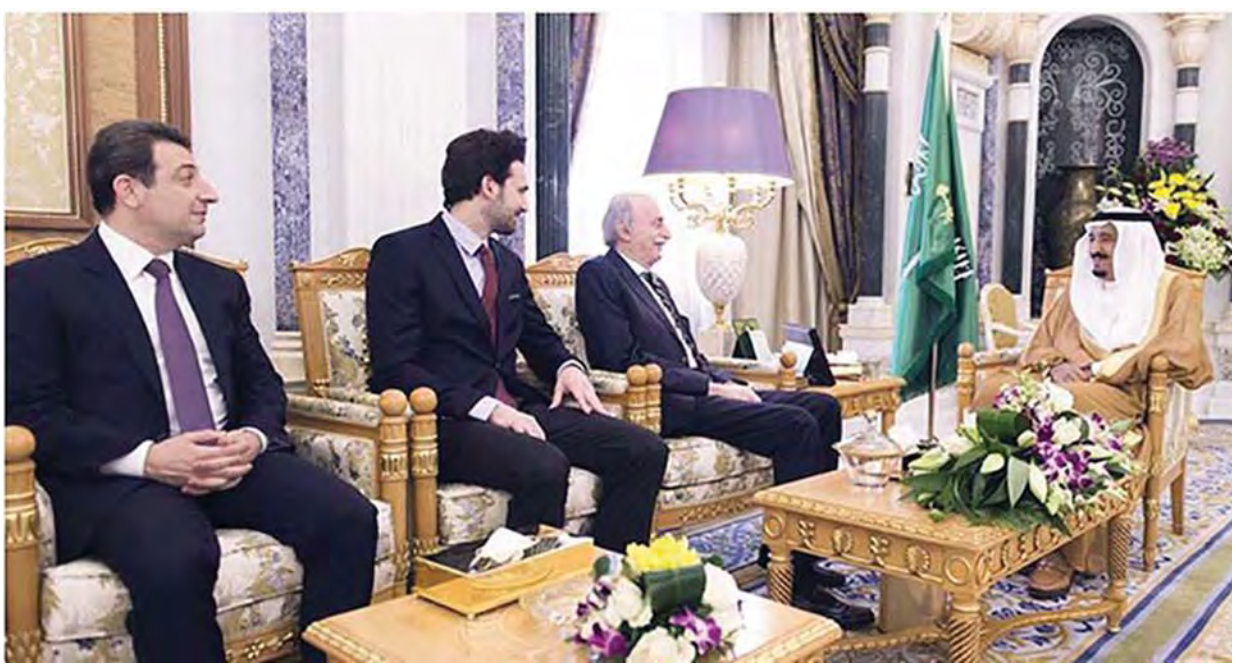

● أبوفاعور القيادي الأقرب لجنبلاط يرى أن تصريحات الزعيم الدرزي حول رفضه خصخصة شركة أرامكو ووصفه للحرب في اليمن بالعبثية، تنبع من "حرصه على المملكة، باعتبار أن لدى جنبلاط علاقة تاريخية تخول له إعطاء رأيه في بعض القضايا".

الكثير من الشعر يظهر في رسومه

زياد دلول

رسام اللامرئي الذي احتفى بالطبيعة

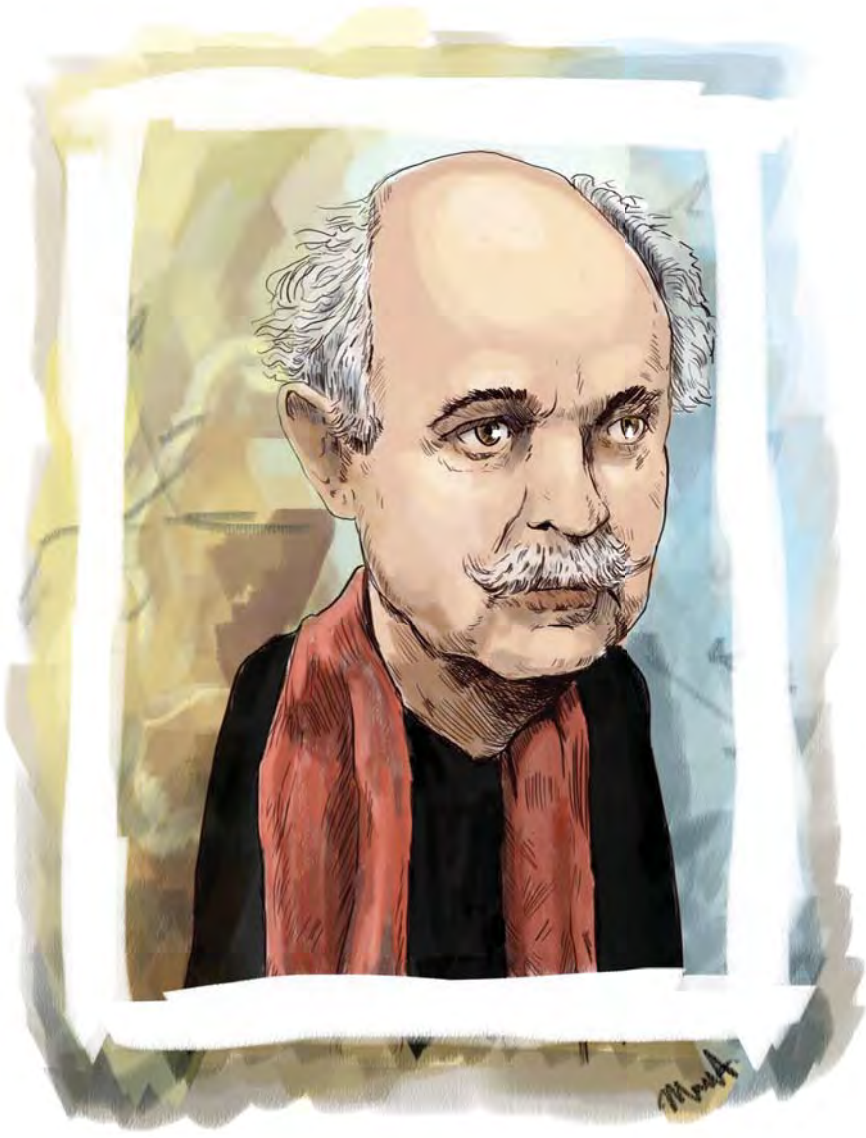

فاروق يوسف

❑ كما لو أنه قادم من عصر الباروك. تذكّرت الفرنسي بوسان ما إن رأيت إحدى لوحاته التي تضمّها مجموعة رمزي دلول ببيروت.

شيء عظيم من الترف والرقة والرفعة يحيط بالأشياء والوقائع التي يرسمها. يؤثث الفنان السوري زياد دلول لوحاته برؤاه القادمة من عالم علوي.

تضفي فرشاته على الواقع نوعا من سحر وخيال الأساطير. إنه يرسم الطبيعة ولا يرسمها في الوقت نفسه. ليست علاقته الطبيعة حسية، بل هي نوع من الشغف الداخلي الذي يقفز على ما يُرى ليمسك بقوته الخفية. وهي عينها قوة الرسم.

مواجهة الغموض

نزعته التجريدية دفعته إلى مواجهة الغموض الذي تنطوي عليه سعادة أن نكتشف اللذائذ الصغيرة التي تنطوي عليها العلاقة بالجمال باعتباره مفهوما مطلقا. يحتفي دلول بالجمال من جهة كونه سيرة وليس صفة.

> فرشاته تضفي على الواقع نوعا من سحر وخيال الأساطير. إنه يرسم الطبيعة ولا يرسمها في الوقت نفسه. إذ ليست علاقته بالطبيعة حسية، بل هي نوع من الشغف الداخلي الذي يقفز على ما يرى ليمسك بقوته الخفية

تهبنا لوحاته فرصة لإعادة اكتشاف الطبيعة بل لرؤيتها كما لو أننا لم نرها من قبل. بمعنى أن الرسام لا يستعيد بل يخلق. يغمض عينيه على مشهد ليحلمه. وهنا بالضبط تكمن قوة الشعر التي تعين دلول على استخراج لغته الصافية من معجم مستعمل.

هذا فنان يأسر مفرداته من الطبيعة ليهبها نوعا من الرفعة والنبل من خلال الارتقاء بها فوق معانيها المتاحة. إنه يتيح لتلك المفردات الانفتاح على فضاء خيالها، وهو فضاء مغمور بالنعومة ومسحور يتدفّق هذياناته.

رسام يعلّمنا كيف تنفتح الحرفة على خيالها فيبدو كل ما تصنعه كما لو أنه من صنع الملائكة. فرشاته لا تصف بقدر ما توحي. لقد أملى الرسم على الطبيعة شيئا من طبائعها من خلال لوحاته.

"اللامرئي هو العالم الحقيقي للفن" تلك مقولته لتي يمكننا من خلالها تفسير تلك الخفة والشفافية وانعدام الوزن الذي تكتسبه الأشياء الصلبة ما إن يلتقطها لتكون جزءا من عالمه.

إنه رسام المرئيات التي يُحتفى بها، لكن من وراء حُجب.

عاطفة الغريب في كتب

ولد زياد دلول في مدينة السويداء، جنوب سوريا عام 1953. درس الحفر الطباعي في كلية الفنون الجميلة بدمشق وتخرّج منها عام 1976 وهو العام نفسه الذي أقام فيه معرضه الشخصي الأول. سافر بعدها إلى الجزائر. عام 1984 انتقل إلى باريس ليكمل دراساته العليا في المدرسة الوطنية للفنون. ومن يومها وهو يقيم ويعمل هناك.

سلوك الحفار أملى عليه عاطفة شدته إلى جوانب حرفية غالبا ما لا يقترب منها رسامو اللوحات ومنها صناعة الدفاتر. ولكن دفاتر دلول لم تكن محاولات مصغّرة بل كانت بمثابة انفتاح على عالم، شدّه منذ بداياته إلى غموضه وهو عالم الشعر.

لقد تعاون دلول والشاعر أدونيس من أجل إنتاج العديد من الكتب الشعرية التي وهبها الرسم الكثير من قدرته على اختراق المرئيات. من تلك الكتب "مسيرة الرغبة في جغرافية المدن" عام 1989 و"كتاب المدن" عام 1999.

عام 1994 حصل على الميدالية الذهبية في ترينالي الحفر الطباعي بالقاهرة. يقيم دلول معارضه الشخصية في مدن عالمية مختلفة. وفي عام 2004 كان واحدا من مئة فنان عالمي عرضوا أعمالهم بمتحف سول، عاصمة كوريا الجنوبية في معرض من أجل السلام.

ما يختفي من العالم

"التجريد ليس رسما هندسيّا، بل هو مفهوم يحوّل المرئي إلى لا مرئي. واللوحة بهذا المعنى هي عالم موازٍ لعالمنا المعيش" مقولته التي في إمكانها أن تختزل الأسئلة التي حاول أن يفكك عناصرها ليكون على تماس ما يعتبره لغزا. الوجود باعتباره صلة وصل بين ما يُرى وما لا يُرى. لقد خاض دلول تجربة الانتقال بين حياتين، عبّر عنها من خلال مقارنته بين الضوء الباريسي والضوء الدمشقي وهو ما وهبه القدرة على أن يتماهى مع المكان لا من جهة كونه مأوى بل باعتباره مصدر إلهام.

علاقة هذا الرسام بالمكان تدخل في إطار كيمياء اللغة. فهو لا يستعيد بالرغم من أنه يتذكر. لا يخطفه الحنين إلى أماكن عاش فيها في أوقات سابقة من صلته العميقة بالمكان الذي هو فيه. فهو يقيم مختبره اللغوي بناء على تجربته المعيشة، وهي تجربة لا يغلب عليها شعور بالخذلان بسبب ما يخالطها من رغبة في استعادة فردوس مفقود. فردوس دلول الحقيقي يكمن في ما تنفتح عليه لغته من عوالم تجريدية، تجمع ما هو متذكر وما هو متخيّل. وهو ممن خلال المثيرات الحسية إنما يبحث عما يجعله مُقيما عند حافّات المادة. هناك علاقة مختبرية يعرفها الحفّار أكثر من سواه من الرسامين هي التي تجعل العالم مُمكنا بالنسبة لدلول لكن في حدود ما يختفي منه. تلك هي حصته الشخصية من إرثه الجمالي.

لا يستغني زياد دلول عن الطبيعة الصامتة. إنه يعود إليها بين حين وآخر. وهو ما فعله الرسامون الكبار ممّن قبله. محاولة تنطوي على الاعتراف بأن ما لم يُكتشف من أسرار الطبيعة الجمالية لا يزال كثيرا. يسعى الرسام إلى إغناء حياته الداخلية من خلال النظر بطريقة شخصية إلى الطبيعة. ربما تكمن تلك المحاولة على شيء من استفزاز الأدوات. الرسام هنا يستفز أدواته المعاصرة في محاولة منه لقياس المسافة التي تفصله عن الرسام التقليدي. ولأنّ دلول ينظر باحترام كبير إلى الحرفة فإنه لا يرى في محاولته تلك خروجا على ما يمكن أن ينفعه رساما تجريديا.

عاش متأملا

لقد صنع هذا الرسام عالما احتفاليّا قوامه المادة بصورها المتعددة. وهو عالم لم تتسلل إليه المرويات السردية لا لشيء إلا لأنّ الشعر كان هدفه. الشيء الكثير من الشعر يمكن العثور عليه في رسوم دلول. فهي رسوم صافية لا ترنو إلى الوصف ولا ترغب في أن تعيد متلقيها إلى أصولها. إنها تنفرد بما تقوله وبما تحدثه من تأثير عاصف.

يوما ما ستعتبر رسوم زياد دلول من كلاسيكيات التأمل في عصرنا. لقد رسم هذا الرسام من أن أجعل أن يُحيي خصلة التأمّل في كيانه الذي امتزج بما لم يكن متاحا مما يُرى من الطبيعة. وهو ما جعله مُقيما وإلى الأبد في مواقع حساسة تشير إلى إنسانيته. ذلك المفهوم الذي لا يمكن عزله عن ينابيعه الفلسفية التي تقيم في الطبيعة.

زياد دلول هو اليوم رسام تجريدي. هو كان دائما كذلك. غير أنّ إخلاصه لقيم الرسم الجماليّة دفعه إلى أن يقيم مختبره الجمالي قريبا من حافات الطبيعة. إنه يقتات على خلاصاتها. فهو يحوّل عناصرها الجاهزة إلى مواد قابلة للتأمل في أيّ لحظة رسم. بالنسبة له ليست هناك طبيعة جاهزة لترسم. إنه يهبنا صورة للطبيعة، هي في حقيقتها مزيج مما رآه وممّا انتهى إليه عبر عملية معقّدة من التأمل. دلول رسام تأملي.

في رسومه ما يثير البصر. شهوة تفسير المادة باعتبارها علامة تؤكد الطبيعة من خلالها حضورها ولكن الأمر ليس كذلك دائما. عليك وأنت ترى تلك الرسوم أن تكون مستعدّا لمغامرة التعرف على حياة داخلية. سؤال مزدوج من نوع "ما الذي تفعله الطبيعة بنا وما الذي نفعله بالطبيعة؟" يظل حاضرا في استمرار.

تحتاج رسوم زياد دلول إلى قدر لافت من التأمل لكي يشعر المرء من خلاله بتلك العلاقة الخفيّة التي تجمع الرسم بالطبيعة باعتبارهما حقيقتي وجود.

> تعاون زياد دلول والشاعر أدونيس يعتبر عملا مشتركا هاماً واستثنائيا أنتج العديد من الكتب الشعرية التي وهبها الرسم الكثير من قدرته على اختراق المرئيات. من تلك الكتب «مسيرة الرغبة في جغرافية المدن» و«كتاب المدن»

مطلوب أدب نسوي

صورة المرأة في السينما العربية

هيثم الزبيدي
كاتب من العراق

* لوحة: تسنيم شرف

❏ موقع المرأة في السينما العربية لا يختلف كثيرا عن موقعها في الحياة العامة: بين مهمش ومتذبذب. السينما هي حكاية القرن العشرين البصرية. والقرن العشرون هو حكاية صعود وتراجع مكانة المرأة في العالم العربي. ثمة توازٍ في المسارات لا يمكن إغفاله.

أدركت السينما العربية منذ بداياتها أهمية المرأة. المشهد السينمائي لا يكتمل من دون وجود المرأة فيه. الموجة الأولى من الأفلام كانت حافلة بالنفس الأرستقراطي. السينما في حينها كانت موجهة إلى هؤلاء وليس إلى الفقراء. نساء بأعداد كبيرة يُحطن بالبطل والبطلة، يرتدين ملابس السهرة الأنيقة ويدخن ويشربن الشمبانيا. والكثير، الكثير من الأغاني والطرب. هناك بطلة واحدة هي الحبيبة، وهناك حشد بلا قصة في الفيلم. ربما نجد صورة لأم متسلطة تصف حال النساء في عالم الثراء. عادة ما كانت شخصية الأم كاريكاتورية لا تنتمي إلى الواقع.

مَلّ الجمهور بسرعة من الأفلام الأرستقراطية وصار ضروريا دخول عنصر الفقر. فقر على حافات حياة الأغنياء، أي الفتاة الفقيرة التي تحب الغني أو يخدعها أو تعلمه درسا في الأخلاق.

جاءت موجة الأفلام الشعبية. بنت البلد التي تتحدّى واقعها. الأم الحنون التي تطبخ لأبنائها وتسمع كلام زوجها. الفلاحة المظلومة في مجتمع قروي ذكوري. ارتفعت أسهم المرأة مع الموجة الشعبية في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، ولكن في عدد محدود من الأفلام ربما لا يعكس إلا حقيقة تواجدها في عدد محدود من مواقع العمل والمسؤولية في المجتمعات العربية.

موجة جديدة من الأفلام التي تعتزّ بجمال المرأة ودلعها وخفة دمها. موجة آخر الستينات وبداية السبعينات أخذتنا من بلاجات الإسكندرية إلى شوارع بيروت.

> هناك حجاب أدبي تمارسه المرأة بحق نفسها وبنات جنسها لا يختلف عن ذلك الحجاب الذي صار صفة من صفات عصرنا الحديث

المرأة الآن متحررة وتختار، ولكنها مهمشة ومادية ولا تمانع في أن تكون سلعة. حشد الجميلات زاد بصفة ملحوظة في الأفلام، ولكن قضايا المرأة تكاد تكون معدومة.

ثم وصلنا إلى أفلام العصر الكئيب. قضايا تحوّلات المجتمع وفقره وتشدده تمّ تناولها بوجود المرأة ولكنها الأقل تأثيرا فيها. بل على العكس، كانت تتراجع عن دور بنت البلد ودور بنت الاستعراضات والإغراء. زاد عدد النساء في الشارع، فزاد عددهن في الأفلام، ولكن بصورة تعكس الارتداد نحو الدين والتزمّت والانعزالية. صار مقبولا، لمراعاة تحجب الممثلة مثلا، أن نشاهدها وهي تقدم حوارا مع زوجها في الفيلم وهما وحيدان، لكنها تصرّ على ارتداء الحجاب. لا أحد يقبّل أحدا في الأفلام. والرقابة اكتشفت أخطاءها بالسماح بمشاهد العناق من أفلام الخمسينات والستينات وبعض السبعينات فحذفتها في عروض الأفلام القديمة على الشاشات الفضائية الجديدة. المرأة عادت عورة.

يمكن تسجيل بعض الحضور لقضايا المرأة الكبرى في السينما العربية. تدخلت زوجة الرئيس المصري فشاهدنا فيلما يبحث عن حل لقضية الطلاق. غضبت نساء وعملن في مهنة الإخراج، فوصلنا إلى زمن الأفلام التي تبدو انتقامية من سينما يسود الرجل في قضاياها. فيلم من تونس عن حال النساء وآخر من سوريا. ولكن لا توجد سينما تفرغت لقضايا المرأة بحق. اسأل أي متابع مهتم وسيعدد لك أفلام قضايا المرأة على عدد الأصابع.

خطوة إلى الوراء لننظر إن كان هناك أدب يتحدث عن قضايا المرأة. السينما تستلهم الأعمال الأدبية. فهل كُتب الكثير عن المرأة وقضاياها؟ هناك فيض من الأحاسيس والشعر، الكثير من الحب والعشق والوله، ولكن الأدب كان ذكوريا بامتياز. حتى لو أراد سينمائي أن يقدم فيلما عن المرأة، فكم لديه من الخيارات الروائية لكي يحوّلها إلى فيلم؟

الرجال يكتبون بالعموم عن عالمهم. لكنهم بين حين وآخر يكتبون عن المرأة. يصفونها بعيونهم لا بحقيقتها. والاستعارة من الأفلام الأجنبية، وهي صفة ملاصقة لتاريخ السينما العربية، لا تخدم المرأة أساسا، لأن الأفلام الغربية تصف امرأة مختلفة تماما عن أوصاف النساء في الشرق.

هذا يدفعنا إلى القول إن المرأة لم تدخل ساحة المعركة في التعبير عن نفسها أدبيا لكي تستطيع قضاياها أن تقتحم عالم السينما. ضاع السرد الدقيق عن حياة النساء اليومية في مجتمع عربي بمزاج متقلب، فضاعت قضيّتها. هناك حجاب أدبي تمارسه المرأة بحق نفسها وبنات جنسها لا يختلف عن ذلك الحجاب الذي صار صفة من صفات عصرنا الحديث. من دون حكاية عميقة مكتوبة لا يوجد فيلم يستحق المشاهدة.

المرأة أحقّ من الرجل في الدفاع عن حياتها وقضيّتها. وهي الأديب الأنسب لرواية واقع حالها في مجتمع يتقصّد الفصل ولا يمانع في العودة إلى عصر الحريم.

عقدة اغتيال الأم

بأي لغة يحلم المبدع العربي

أمين الزاوي
كاتب من الجزائر

❏ حال الكتاب (المبدع) العربي حال لغوي غريب ومتناقض ومعقد، بل يكاد يكون استثنائيا، يسحب المبدع معه وفيه وضعا لسانيا معطوبا منذ أن يكون طفلا على عتبة تعلّم الحروف الهجائية الأولى جالسا لأول مرة على كرسي مدرسي في حضرة كتاب مدرسي، فالطفل في العالم العربي حين يدخل المدرسة الموجودة على بعد بعض العشرات من الأمتار من بيته يجد نفسه أمام لغة غريبة ليست لغة أمه التي تركها باكيا هذا الصباح المدرسي الأول، لغة الصدمة، التروما اللغوية، لغة تجعل المكان غريبا والمعلمة كائنا غرائبيّا نازلا من كوكب آخر، أسماء الأشياء وصفاتها وأحجامها من حوله تتغيّر بصورة مدوخة، كل شيء يبدو جديدا، المدرسة تبدو فضاء لغويّا يحتاج إستعمل كودات غامضة لأشياء مألوفة، تتطلب اجتهادا فكريّا لفكّها، كل ما سبق للطفل تعلّمه قبل أن يتخطّى عتبة المدرسة يجب إعادة النظر فيه، إنه مختلف وغريب عمّا يسمعه وعمّا هو مطالب بحفظه في المدرسة، فالأشياء والكائنات والحيوانات والنباتات غيّرت أسماءها، فاسم الطماطم ليست اسم الطماطم ولا أسماء الأشجار هي أسماؤها التي حفظها من الأم والأب والخال والجدّة ولا السلحفاة هي السلحفاة ولا الأرنب هي الأرنب ولا أسماء الألعاب واللعب هي نفسها، أسماء الخضر تختلف وأسماء النسب من الأعمام والأخوال والخالات تختلف والحساب يختلف؟ إنها التروما اللغوية.

هي الغربة الأولى تلك التي يعيشها الكائن اللغوي العربي، ولاحقا المبدع العربي، الشاعر والروائي، وهو ينتقل من لغة الأمومة التي رضع فيها ومعها حليب الثديين المباركين إلى لغة باردة تفرّخها المدرسة، المسافة تبتعد وتطول كثيرا أو قليلا بين لغة المعلمة ولغة أهزوجة الأم التي حفظها بشهوة ساعة النوم على صدرها الدافئ، بين لغة الطباشير والسبورة والنحو ولغة حكاية الجدة التي تفيض سحرا وحرية، مسافة ما بين قصيدة شعبية يحفظها الجد الذي لم يدخل المدرسة ويردّدها الجميع معه بحبّ وصوفية وقصيدة مرتّبة كهندام عسكري.

الغربة اللسانية الثانية والمزدوجة هي تلك التي فرضها التاريخ الحديث، بعنفه العسكري والرمزي، تاريخ الاستعمار الفرنسي، حيث ما إن نزل بأرض بلاد المغرب الكبير حتى نزلت معه لغته الفرنسية، اللغة حصان المستعمر الأول، ومفتاحه السري، واستقرّ الاستعمار ودار الزمن ومعه استقرت اللغة وبدأت تضرب جذورها في مفاصل الحياة العامة، بأوروبييها وأهاليها الأصليين، وقد ساند هذا التكريس اللساني قوة الترسانة التربوية والإعلامية والإدارية والإبداعية، ومع مرور الزمن الاستعماري وتبدّل حاله مع تبدّل المحيط العالمي والجهوي ولدت أنتلجانسيا محلية (أتوكتونية) تخرّجت من المؤسسات الفرنسية بوعي نقدي مغاير، وشيئا فشيئا بدأت هذه الأنتلجانسيا تنتج إبداعا بهذه اللغة بحسّ محلّي، ومع زحف التاريخ وولادة الفكر الوطني بدأت تخلق مسافة بينها وبين النخب الأوروبية، وأخذت تتأسّس كصوت مغاير داخل لغة الآخر، صوت الأنا بلغة الآخر، ولكنها تظل تلك اللغة الغريبة التي تضع المبدع على مسافة بعيدة بينه وبين لغة أهزوجة الأم وحكاية الجدّة، إنها غربة أخرى، رحلة شقاء لساني آخر.

> المبدع، شاعرا كان أم روائيا، يكتب بالعربية الفصحى أو بالفرنسية، ومهما كان مستواه الإبداعي واللغوي، ومهما كانت عبقريته، سيظل مبدعا يعيش عقدة «اغتيال الأم» في كل نص يكتبه خارج لغة أمه

فإذا كان المبدع باللغة العربية الفصحى في البلدان المغاربية (والحال نفسه ينطبق على المبدع في البلدان العربية المشرقية) يستعمل في إبداعه لغة بينها وبين الواقع اليومي اللغوي مسافة كبيرة من الغربة والتعارض والترجمة، لغة بينها وبين جنون الناس في الشارع مسافة كبيرة، وإذا كان المبدع المغاربي باللغة الفرنسية يستعمل لغة هي الأخرى غريبة وبعيدة عن الحياة اليومية وعن المعيشي اللغوي، وإذا كان الإبداع هو "حلم" الواقع، فكيف يا ترى يحلم المبدع سواء بالعربية الفصحى أو بالفرنسية، وبأي لغة يحلم؟ أليس كثير من أعمالنا الأدبية هي امتدادات لأحلامنا وكوابيسنا الاجتماعية والنفسية والسياسية؟ أليست لغة الكتابة، في مثل هذه الحالة، عربية كانت أم فرنسية هي في نهاية المطاف عملية "اغتيال الأم"، لأن اللغة هي الأم، هي الأنثى في قدسيتها وشهوانيتها. يكتب المبدع، شاعرا كان أم روائيّا، بالعربية الفصحى أو بالفرنسية، ومهما كان مستواه الإبداعي واللغوي، ومهما كانت عبقريته، سيظل مبدعا يعيش عقدة "اغتيال الأم" في كل نص يكتبه خارج لغة أمه.

تأثير الغربة على الكاتب

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ يعدّ الاغتراب أو النفي خللا في العلاقات الاجتماعية ينعكس سلبا على مفهوم التكامل أو القيم المشتركة وربّما يؤدي إلى العزلة بين الأفراد المغتربين ومجموعة من الناس في مجتمع أو بيئة بديلة، ومع استمرار الفوضى والصراعات الدموية التي أدت إلى تدمير عدد من بلدان المنطقة العربية، لجأ الملايين من البشر إلى الهجرة أو الهروب إلى بلدان بديلة كمناف طوعية ممكنة وعلى مراحل وحقب متعاقبة، بما في ذلك الآلاف من المبدعين، لتتضح لنا إشكالية تأثير الهجرة والنفي على الأدب بشكل عام.

يقول إدوارد سعيد في مقالة له بعنوان "تأملات في المنفى"، "المنفى مكان يشجع على التفكير ولكنه أمر مرعب. كما أن الصدع غير القابل للشفاء الناجم عنه والذي يفصل بين الإنسان ووطنه الأصلي، لا يمكن التغلب على تأثيراته النفسية العميقة.

وقد كان القلق والشعور بالغربة عنصرين أساسيين في عمل العديد من المبدعين المنفيين، وبما أن الحدود المتغيرة والتهديدات للكيانات والدول القومية لا تزال تزعزع استقرار المنطقة العربية، فإن الحافز على الهروب والهجرة واللجوء إلى المنافي ما زال يمثل دافعا مصيريا لأعداد لا تحصى من العرب إلى ترك ديارهم، بعد أن أصبحت مشاكل الهجرة والنفي من الأوطان المفقودة أكثر إلحاحا من أي وقت مضى. ويعتقد الباحث والناقد الأدبي محسن الموسوي الأستاذ في جامعة كولومبيا، أنّ قضيتي المنفى والهجرة لم تلقيا الكثير من الاهتمام إلا مؤخرا بعد أن أصبحتا نوعا ما مادّة من مواد العلوم الإنسانية، وتوقع أن تكونا في السنوات العشرين المقبلة أحد المواضيع الرئيسة في الأوساط الأكاديمية وفي علم الاجتماع والعلوم السياسية والتاريخ.

وتترك هذه المتغيرات الهائلة أثرا عميقا على العمل الأدبي نتيجة للأعباء الهائلة التي تتعرض لها حياة البشر، تلك الأعباء التي وصفها الموسوي بالمتغيرات المكثفة التي لا تقل خطورة وتأثيرا عن الحرب العالمية، لأن الحديث هنا يدور في شأن الملايين من البشر الذين يتعرضون للتهجير أو القتل، ولا يمكن للأديب مهما كان انتماؤه أن يقف جانبا ويدعي أنّه ليس لديه ما يفكر فيه. وفي جميع الأحوال يبقى مفهوم الغربة متجسدا في اقتلاع المرء من جذوره ورميه في مجتمعات غريبة تختلف عن ثقافته وقيمه ومعاييره وفهمه للحياة، فلا هو يستطيع الاندماج بالكامل معها ليكون إنسانا سويا ولا هو يستطيع العودة إلى جذوره الأصلية، وبالتالي فالمغترب إنسان غير سوي ما لم يندمج بالكامل مهما كان فهمه وتمتعه بالحياة، لأن السعادة مفهوم نسبي، وبالنسبة للكاتب لا يمكن للسعادة أن تمنحه ومضة الإبداع، وأغلب الكتاب العظماء هم الذين حافظوا على محليتهم، حتى وإن عاشوا في بلدان غريبة، على الرغم من أن الغربة متفاوتة من بلد إلى آخر، فالمغترب عن بلده في البلدان الأوروبية ليس كالعربي المغترب في بلد عربي آخر، نتيجة لتقارب العادات والتقاليد، لكن مع هذا تبقى غربة في المفهوم العام، وعلى سبيل المثال فقد ولد وعاش غابرييل غارسيا ماركيز شبابه في بلده الأم كولومبيا، قبل أن يغادر إلى المكسيك في مرحلة مبكرة من حياته، لكنّه ظل يكتب عن كولومبيا حتى وفاته، على الرغم من أن نمط الحياة والعادات في المكسيك لا يختلف كثيرا عن كولومبيا. وما زال البعض يعتقد بأن المجتمعات الأوروبية المسترخية والملباة حاجاتها تماما، ليست مجتمعات روائية، لعدم وجود الصراعات الطبقية وتداخل الأعراق فيها، تلك الصراعات التي تضطرم في مجتمعات العالم الثالث، بما في ذلك بلداننا العربية.

آدم حنين: نبض الأحجار

رحلة شيقة من التراث إلى الحداثة

في بيئة ريفية، بعيدا عن صخب العاصمة وصراعاتها، يعيش النحات والتشكيلي المصري آدم حنين في عالمه الخاص الذي صنعه بنفسه؛ منزل في إحدى قرى محافظة الجيزة تحيط به أشجار النخيل من كل جانب، وتتجلى مظاهر الطبيعة بكل جمالها فيه، ومتحف ضمه منذ سنوات إلى المنزل مكوّن من ثلاثة أدوار يحوي ما يربو عن 4000 عمل ما بين التصوير والتماثيل المختلفة، أعمال تمثل عصارة مشوار فني بدأ منذ ما يزيد عن سبعة عقود لم يتوقف فيها حنين عن محاورة أحجاره واستنطاقها بمعان متفردة.

ثمة طاقة روحانية تتسلل إلى الروح عند الولوج إلى عالم آدم حنين الخاص؛ ليس فقط من خلال أعمال فنية تحمل عوالمها الخاصة سحرا استثنائيا، ولكن أيضا خلال الحديث مع شيخ النحاتين في مصر، ما يضفي مساحات هائلة من الصفاء والجمال لا تبددها المحاولات المستمرة للقبض على ذاكرته المراوغة التي سقط منها كثير من التفاصيل وبقي فيها كثير من الفن؛ ومن المشاهد المستقاة من الطبيعة والحياة والصور التي شكّلت معينا فنيا لم ينضب.

تعرّف حنين على شغفه الخاص بالنحت في طفولته المبكرة، بعد ذلك قرر أن يدرس في كلية الفنون الجميلة بدءاً من عام 1948، إلا أن الدراسة في ذلك الوقت لم ترو ظمأه وتطلعاته إلى التعرف على فنون مصر القديمة التي أسرته باكرا، فكانت المنحة التي حصل عليها إلى مدينة الأقصر (جنوب القاهرة) هدية قدرية له؛ إذ تعرف فيها على الفن الفرعوني عن كثب، لينطلق في ما بعد إلى ألمانيا لدراسة الفنون لمدة عامين، عاد بعدها إلى "النوبة" على ضفاف النيل المصري، ثم إلى باريس في رحلة امتدت لأكثر من عشرين عاما، تعرف فيها عن كثب على المدارس المختلفة في الفنون.

لم ينقطع حنين عن العمل بالنحت أو الرسم على مدار حياته، حتى عندما أصابته وعكة صحية عام 2009 وقبل عامين من انطلاق الثورة المصرية، ظل طوال مدة إقامته بالمستشفى يعمل على رسم عدد من اللوحات خصص لها قاعة حملت اسم "الشهود" وفيها وجوه مكممة وصور معبرة عن أزمات وأحداث مرت بها مصر، وأخرى أحداث ارتبطت بتغيرات عالمية في تلك الفترة.

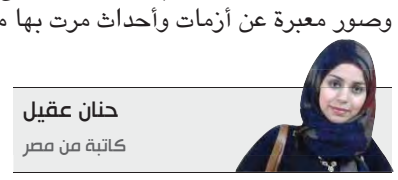

حنان عقيل
كاتبة من مصر

❏ في باريس عمل حنين على تنفيذ عدد من الأعمال التي باع الكثير منها هناك، كما أن فترة إقامته بالأقصر خرج منها بعدد من الأعمال المبتكرة التي وضعها في متحفه في قاعة حملت اسم "البشارة".

شارك حنين في عدد من المعارض الجماعية الدولية منها بينالي الإسكندرية وبينالي فينيسيا وبينالي القاهرة الدولي، ومعارض جماعية محلية منها المعرض القومي للفنون التشكيلية في دورتيه الـ26، والـ28، والمعرض العام للفنون التشكيلية عامي 2016، و2017. فضلا عن معارضه الخاصة التي كان آخرها عام 2013، وقد افتتح بعدها معرضه ومتحفه الدائم داخل منزله. لعل من أبرز ما يمكن ملاحظته على أعمال حنين سواء النحتية أو التصويرية هو تمكسه بالجذر المصري الفرعوني في أعماله التي لن يخفى على من يشاهدها حس المصري المتمسك بالتراث، والذي لم ينجرف وراء المدارس الغربية. يحضر الحس المعماري في منحوتاته فضلا عن الاختزال والتجريد الذي زاد تفضيله له خصوصا بعد فترة إقامته في باريس.

في الخمسينات، وفي ظل اهتمام أكبر بالتشخيص، أنتج حنين عددا من الأعمال النحتية منها "فاطمة" وهو تمثال لرأس امرأة، و"حصان"، و"الزمار" وهو تمثال لرجل ينفخ في مزمار غير موجود، و"راحة" لشاب مستلق على ظهره واضعا يديه تحت رأسه، و"أم الشهيد". أما الرسومات فكان من أهمها "البشارة" وهي غزالة على خلفية بيضاء.

وفي الستينات، كان لحنين عدد من الرسومات المتعلقة بالنباتات ومنها "الحديقة1"، والرسومات التي أبدعها حنين لتوضع في كتاب رباعيات صلاح جاهين، والتي احتلت قاعة في متحفه يتصدرها تمثال برونزي لجاهين، هذا بالإضافة إلى بداية اهتمام حنين بمنحوتات عن الحيوانات، ومنها "البومة"، "الحمار"، "طائر أسطوري".

في السبعينات، وهي الفترة التي شهدت انتقال حنين إلى باريس، وفي ظل اهتمام أكبر بالتجريد والاختزال، أبدع حنين عددا من المنحوتات منها "نسمة"، "شيخ البلد"، "مراقبة صامتة"، "انتصار يتصاعد"، ومن الرسومات "جسر عائم"، "الصخرة". وفي الثمانينات والتسعينات يمكن ملاحظة الجمع ما بين التشخيص والتجريد في عدد من الأعمال على نحو واضح، ومن أبرز الأعمال خلال تلك الفترة منحوتة "امرأة وحصان" و"صبية بضفيرة".

في هذا الحوار مع "الجديد" يستعيد حنين أبرز محطات رحلته الفنية منذ الطفولة وحتى اللحظة الراهنة، متطرقا إلى الحديث عن علاقته الخاصة بالأحجار التي يستنطقها في عمله ليقد منها إبداعات مبتكرة وحالات وجدانية لم يخطط لها مسبقًا، فضلا عن رؤيته إلى واقع الفن التشكيلي والنحت في الوقت الراهن خصوصا بعد تجربته الهامة في سمبوزيوم أسوان الذي تأسس منذ العام 1996 ولا يزال مستمرا حتى الآن.

■ الجديد: تجمع في عملك الفني ما بين التركيز على التراث المصري القديم والفن الفرعوني على وجه الخصوص والانفتاح على تيارات الحداثة والإفادة من مختلف المدارس الفنية.. كيف تأسس لديك هذا الوعي الجمالي؟ وكيف تنظر إلى ذلك النزوع لدى الكثير من الفنانين إلى الابتعاد التام عن التراث؟

● **آدم حنين: هذا الوعي الجمالي وليد تجربة قديمة بدأت عندما كنت طفلا لم يتجاوز الثامنة من عمره. في درس التاريخ بمدرستي الابتدائية في الفجالة تعرفت على صور فرعونية من مصر القديمة، وفي إحدى الزيارات التي صحبنا فيها مدرس التاريخ إلى المتحف المصري بميدان التحرير انبهرت بالتماثيل هناك، وانتابني شعور غريب تجاه كل الأعمال المعروضة في المتحف، كأنها لامست شيئا دفينا بداخلي. تركت المدرس وزملائي وأخذت أطوف في المتحف وأتأمل الأعمال الفنية المصنوعة من معادن وخشب وأحجار ملونة، ظلت تلك الأعمال عالقة في ذهني وراسخة في وجداني، منذ ذلك اليوم انتابني رفض واستنكار لكل مظاهر القبح المحيطة بي في الشوارع والميادين والأزقة، وبدأت أولى محاولات محاكاة النماذج التي شاهدتها في المتحف بتنفيذ مجسمات صغيرة من الطين الأسواني، وأعجب أبي بها وعرضها في ورشته التي كان ينفذ فيها مشغولات من الفضيات.**

منذ تلك اللحظة أدركت أن الجمال موجود في الفن القديم ولا بد من اكتشافه والتعرف عليه بعمق، وقررت أن أدرس النحت في كلية الفنون الجميلة، ولكن بعد عامين من الدراسة أردت أن أتركها، بعدما وجدت أن اهتمامهم منصب على الفنون الأوروبية والتقليدية، ولا يوجد اهتمام بالفن المصري الذي أراه أصيلا جدا وشديد التأثير، وقتها تحدثت مع عميد الكلية عن ضرورة دراسة الفن المصري، وقرر تخصيص جزء من الدراسة في أعمال المتحف المصري وعمل محاكاة لتلك الأعمال.

الروح الحداثية طبعا مهمة ولا يمكن تجاوزها. تعرفت على الفن الأوروبي عن قرب في باريس وتأثرت به، لكن كنت مؤمنا بضرورة التوازن بين الاثنين؛ فلا يمكن تجاهل روح العصر ومنجزاته لكن لا بد من الخروج من ذلك بنظرة مختلفة تتماشى مع ماضينا وتراثنا وتخرج فنا جديدا مرتبطا بجذورنا.

أما بخصوص نزوع البعض نحو الابتعاد عن التراث برمته فأنا أرفضه لأن الميلاد والأصل والتاريخ بل وملامح الوجه تعزز فكرة الاختلاف عن الآخر التي يجب أن يتم مراعاتها واحترامها، بدلا من محاولة إنتاج نسخ مكررة مما أنتجه الآخر خصوصا وأن هذه الاختلافات لا بد أنها تصنع إحساسا داخليا ومناطق شديدة الذاتية يجب مراعاتها.

■ الجديد: الكثير من اختياراتك في النحت سواء في الفكرة أو التناول يلوح فيها تأثرك وولعك بالفن الفرعوني.. ما الذي منحه لك الفن الفرعوني من أبعاد جوهرية في عملك؟ وإلى أي مدى صارت نظرتك الفنية متأثرة بالمعتقد الفرعوني ذاته؟

● **آدم حنين: يمكن القول إن حضور الفن الفرعوني في أعمالي يأتي دون قصد وبغير افتعال، لأن هذا الفن صار جزءا من تركيبتي النفسية والشخصية، ومن ثم فما يلاحظه المتتبع لأعمالي لا تكون فيه قصدية من قبلي، سواء في اختيار الموضوعات أو في التناول من منظور ما. بالطبع تأثرت بالفن الفرعوني وبكل الفنون القديمة لكن ظهوره في أعمالي يحدث تلقائيا دون قصد.**

■ الجديد: ثمة مراحل فاصلة في مغامرتك الفنية كانت أولاها مرحلة الطفولة ثم الدراسة الجامعية ثم مرحلة الاطلاع على الفنون في الغرب من خلال الدراسة أولا في ألمانيا ثم فترة الإقامة الطويلة في باريس.. كيف تركت كل مرحلة بصماتها على شخصيتك ومن ثم فنك؟ وما الذي منحته لك فترة إقامتك في باريس؟ وهل ثمة فنانون تأثرت بهم في تلك المرحلة؟

ثلاثة محاربين

● **آدم حنين:** أظن أن تاريخ الفن توقف بعد الفراعنة ومع تغيرات وطنية في فترات معينة، ولكن هذا لا يعني اتباع المدارس الأوروبية وتجاهل هذا التاريخ. في مرحلة الطفولة بدأت باكرا التعرف على التراث الفني المصري، وبعد زيارتي الفارقة للمتحف المصري ومحاولاتي الأولى في محاكاة الأعمال الفنية، وجدت تشجيعا كبيرا من قبل والدي وأساتذتي، ونفذت أعمالا صغيرة. وبعد الدراسة الجامعية تم اختياري لمنحة إلى الأقصر، وتعرفت هناك عن قرب على أشكال الفن الفرعوني ورسمت عددا من اللوحات منها "بشارة" التي أضفت لها في ما بعد أشكالا هندسية ملونة بالأحمر والأزرق، وبدأ اهتمامي من هنا بالتجريد يظهر.

بعد ذلك، كانت زيارتي لألمانيا لدراسة الفن لمدة عامين، وأقمت معرضا هناك بلوحات ومنحوتات من أعمالي في الأقصر، ثم عدت إلى مصر وتحديدا إلى النوبة وهناك تأثرت بالمباني القديمة والفن المصري الأصيل. بعد هزيمة 1967 وفي ظل روح القنوط واليأس المهيمنة اتجهت إلى باريس وهناك اطلعت على العديد من تجارب الفنانين والمدارس المختلفة، وكنت أشاهد الأعمال والتغيرات الجديدة لكن لا أتبعها، ونفذت عددا من الأعمال التي تم بيعها. هناك طبعا الكثير من الفنانين الذين تأثرت بهم ومنهم هنري مور وقسطنين برانكوزي وأرتولد مارتيني وغيرهم الكثيرون.

■ الجديد: لم جاء رفضك لاستخدام الألوان الزيتية على القماش في مقابل اهتمام بإحياء تقنيات قديمة كالرسم على أوراق البردي بأصباغ طبيعية أو تقنية الرسم على الجص؟ هل يمكن اعتبار ذلك جزءا من اهتمامك الكلي بالفن الفرعوني؟

● **آدم حنين: الخامات عندي لها دور كبير جدا في الفن؛ كل مادة لها روح مختلفة عن الأخرى، فالخشب يختلف عن الجرانيت أو البازلت أو غيرهما، وحسب الروح أختار المادة. في أعمالي لم أحب استخدام الزيت لأنه يتأكسد ويغمق لونه، في الفن المصري القديم أعمال من الفريسك على الحوائط بمواد طبيعية لا تتغير، وتعطي تأثيرا مختلفا.**

أحببت العمل بالأشياء القديمة وخرجت منها بأشياء مميزة، فكان لي أعمال بالفحم والنسيج. الخامات لها دور كبير في إبراز روح الفنان، وفي الكثير من الأحيان العمل يظهر ويترجم بالخامة المستخدمة أكثر من الرسم نفسه.

■ الجديد: هل تختار الخامات بناء على الفكرة أم العكس؟ وما هي المراحل التي تمر بها في عملية التكوين الفني بدءا من الفكرة وحتى التنفيذ؟ وما أكثر المنحوتات التي تذكر أنها أرهقتك واستغرقت وقتا أطول مما كنت تظن؟ وما السبب؟

● **آدم حنين: على أساس الخامة أختار وأنفذ الفكرة، كل خامة يخرج منها شكل مختلف وفكرة جديدة. أما بخصوص مراحل التكوين الفني فيكون لدي تصور عام أبدأ في العمل من خلاله، وأثناء العمل يحدث نوع من الحوار بيني وبين المادة، وأوقات تخرج أشياء مختلفة لم أكن أتصورها في البداية، فليست هناك قرارات حاسمة يتم تنفيذها في كل الأحوال.**

بصفة عامة، ليست لدي مراحل واضحة في عملي، هناك دوما متغيرات، وهناك أعمال أبدأ العمل فيها ولا أستطيع إكمالها فأتركها سنوات حتى أكون قد نضجت فيها معلوماتيا وأعود إليها مرة أخرى. الآن أعمل على عملين كنت قد بدأت فيهما منذ أكثر من عشرين عاما وتركتهما وقتها لأنني لم أستطع الوصول إلى تصور نهائي لهما، وليست لدي فكرة التكرار في الأعمال؛ فكل عمل نتاج رؤية تنمو وتختلف باختلاف المرحلة.

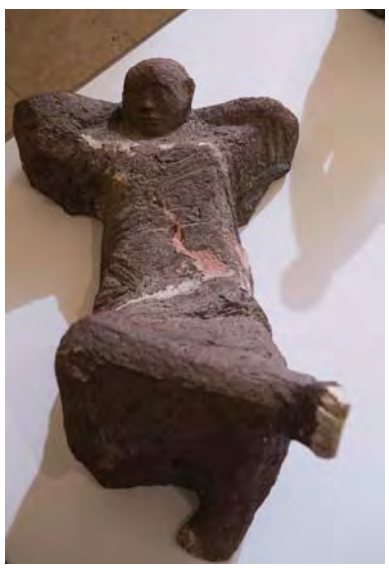

عملان للفنان.. حضور البعد الفرعوني في أعماله يأتي عفويا

من دمشق إلى شيكاغو: وقائع الرحلة المجهولة

رحلة أبي خليل القباني إلى أميركا 1893: وثائق تنشر للمرة الأولى

تيسير خلف
كاتب من سوريا

تشكل رحلة أبي خليل القباني وفرقة "مرسح العادات الشرقية" إلى معرض شيكاغو الكولومبي في العام 1893، فرصة رائعة لدراسة وفهم واحدة من أندر تجارب التفاعل الثقافي المباشر بين منطقتي شرقي المتوسط، بما تحمله من أبعاد تاريخية ودينية لها تأثيرات عميقة في الوجدان الغربي المسيحي، وبين الولايات المتحدة الأميركية التي كانت تنظر إلى نفسها، منذ ذلك الوقت، بوصفها قمة هرم الحضارة الغربية.

ألف أبو خليل القباني هذه الفرقة في أواسط العام 1892 من 50 ممثلا وعازفا وراقصا، غالبيتهم الساحقة من ولاية سوريا العثماني، وحَدّد سقفها الفني بمجموعة من "الشروط الصارمة" المتعلقة بموضوع "العادات والتقاليد"، وتم تثبيت هذه "الشروط" حتى في اسم الشركة الممولة للمشروع، وهي "شركة العوائد الشرقية" المسجلة في بيروت وشيكاغو، باسم الصحافي البيروتي بطرس أنطونيوس وشركائه.

المسرح والقرية

تلقت السلطنة العثمانية في التاسع عشر من شباط (فبراير) عام 1891 دعوة موقعة من الرئيس الأميركي بنيامين هاريسون، للمشاركة في معرض شيكاغو الكولومبي، والذي سيقام لمدة ستة شهور، من مطلع أيار (مايو) إلى نهاية تشرين الأول (أكتوبر) 1893. وإثر ذلك، بدأت المداولات في إسطنبول لتحديد شكل المشاركة وحجمها ومستوى تمثيلها.

كان السلطان عبدالحميد في ذلك الوقت حريصا على إظهار السلطنة في المحافل الدولية، بوصفها قوة عظمى، وتشارك في المعارض والمناسبات على قدم المساواة مع باقي الدول الكبرى.

ولذلك كان الحرص على إبراز مظاهر العظمة والسيادة أهم بكثير من المشاركة نفسها. ولم يتأخر إصدار فرمان إنشاء لجنة تحضيرية للمشروع ضمت الكثير من الأسماء المهمة في البيروقراطية العثمانية، وتم انتداب إبراهيم حقي بيك، أحد كتّاب "المابين الهمايوني" مفوضا عاما للإمبراطورية العثمانية إلى المعرض.

كان الترتيب المعتاد عند المشاركة في مثل هذه المعارض، أن يقوم "الباب العالي" بالتعاقد مع شركة تجارية خاصة لإنجاز القضية برمتها. وقد اتصلت اللجنة بسعدالله أفندي الذي كانت لديه شركة خاصة للتصدير في إسطنبول تدعى شركة "إيليا سهامي وسعدالله". وفي يوم 24 أيار (مايو) 1892، أحالت وزارة الأشغال العامة والتجارة إلى الباب العالي نسخة من عقد أبرم مع سعدالله أفندي وشركائه ينص على بناء الجناح العثماني الرسمي على شكل مبنى "سبيل السلطان أحمد" القائم عند مدخل قصر توبكابي، على أن يُنجز المشروع قبل يوم 28 أبريل 1893، أي قبيل حفل الافتتاح الرسمي للمعرض باربعة أيام. ونص العقد أيضا على بناء سوق عثماني ومسجد، و"أبنية للمسارح بجوار السوق، تجري بداخلها العروض"، شريطة ألا تتضمن "أي شيء يخل بنوات الخدور المسلمات والآداب الملية والعمومية وشرف وآداب المملكة"، وحددت الفقرة الخاصة بالمسارح أن مرجعية "تفاصيل هذه النواحي قبل إجرائها (ستكون وفق) رأي وفكر الكومبسيرية (المفوضين)".

وبوضح إعلان منشور في جريدة "لسان الحال" البيروتية في 15 آب (أغسطس) 1892 أن صاحب فكرة إنشاء مسرح لتقديم المشاهد والعادات الشرقية هو "لجنة المعرض العام في مدينة شيكاغو" التي خصصت "الدائرة العثمانية بمرسح (تياترو) تمثل فيه المشاهد والعوائد الشرقية في ضرويها المختلفة، وأشكالها المتنوعة". ويوضح الإعلان أن أصحاب هذا الامتياز، وفقا للإرادة السنية، وهم الخواجات" إيليا سهامي وسعدالله وشركاؤهما "باعوا امتياز حق إنشاء "المرسح" المذكور مع ما يقدم فيه من الحلويات والمرطبات إلى الخواجات بطرس أنطونيوس وشركائه بموجب صك قانوني مؤرخ في 16 أيار سنة 1892. وأن أصحاب شركة إيليا سعدالله سهامي قد ألزموا أنفسهم "بموجب البند الثامن من الصك المذكور أنه لا يسوغ لهم إعطاء أي كان حق إنشاء مرسح آخر في جميع فسحة الدائرة العثمانية".

وكان هذا الإعلان بمثابة إنذار قانوني لكل من يحاول أن يمثل العادات الشرقية في المعرض من أصحاب الامتيازات الأخرى في القرية التركية، مما حدا بصاحب امتياز "القهوة التركية" شديد الكوراني لنشر إعلان مماثل في الجريدة نفسها وبالصياغة السابقة نفسها يذكر فيه أنه وشركاؤه قد حصلوا على امتياز واحتكار "القهوة الموسيقية الغنائية بموجب صك قانوني بتاريخ 8 تشرين الثاني (نوفمبر) 1892 يخولها الحقوق في تقديم كل ما يلزم تقديمه من حلويات ومرطبات ومشروبات إلى غير ذلك، مما يطلب في القهاوي".

أبو خليل في بيروت

وقد نشرت جريدة "كوكب أميركا" الصادرة في نيويورك باللغتين العربية والإنكليزية في التاسع من أيلول 1892 رسالة من بيروت يعلن فيها صاحبها خبر حصول بطرس أفندي أنطونيوس على امتياز تمثيل العادات الشرقية، ويحذر فيها كل من يحاول أن يمثل هذه العادات من الحاصلين على امتيازات في القرية التركية.

وأنطوت الرسالة التي كتبها غالبا، بطرس أنطونيوس نفسه، على معلومات مهمة عن برنامج "شركة العوائد الشرقية" التي تأسست في بيروت، في شهر أيار (مايو)، وأنها عينت خمسة أشخاص لإدارتها هم؛ كما علمنا لاحقا: بطرس أنطونيوس رئيسا، وأبو خليل القباني مديرا فنيا، وعضوية إسكندر ضعون، وفضول مغبغب، ونقولا صهيون. ويبدو أن هذه الإدارة قد توسعت في فترة لاحقة لتصل إلى حوالي 13 شخصا، بعد إضافة أسماء نعوم مغبغب وجورجي خوري، وإسكندر حجار، وأسعد حبيقة، وأسعد كرم، والدكتور حبيب طبجي، وأخيرا إسكندر صبطي ورفائيل جبارة القادمين من الإسكندرية.

وكررت الرسالة ما ورد في إعلان "لسان الحال" حول أن الشركة حصلت دون سواها على "امتياز تشخيص العوائد الشرقية في معرض شيكاغو" بموجب امتياز شاهاني مسجل بدفتر القبوضات في الآستانة العلية، ومصادق عليه من قونسلاتو دولة أميركا الفخيمة فيها.

وأوضحت الرسالة شيئا مما كانت الشركة تفعله في ذلك الوقت، من قبيل انتدابها "عضوين منها إلى دمشق وجوارها لاختيار بعض العادات ولشراء المستلزمات"، وهي على الأرجح الأزياء والإكسسوارات اللازمة. وأنه قد "تم تأليف فصول مهمة حول تلك العادات".

وأشارت الرسالة أيضا إلى إرسال "مندوبين اثنين أيضا إلى جهات بلاد النصيرية (جبال الساحل السوري الشمالية)، ثم إلى جهات عرب الرولي في بادية الشام وجهات حوران، ومن هناك إلى جهات السلط والقدس الشريف وجوارها". وأنها رصدت المال اللازم لذلك. ولم ينس صاحب الرسالة أن يشير إلى "إرسال عضوين آخرين من إدارة الشركة إلى شيكاغو للبدء ببناء المكان وإتقانه ليكون معدا مع سائر الطوازم للتشخيص في أوائل شهر نيسان (أبريل) القادم 1893".

وتفصح الرسالة عن حالة الارتياك التي كانت إدارة الشركة تعانيها بعد تاسيسها، نتيجة الجهل بعالم الفن وإدارة الفرق المسرحية، وعدم قراءة بنود العقد مع شركة سعدالله سهامي في إسطنبول. ولكن وجود الشيخ القباني جعل العمل أكثر جدوى، فهو، ويحكم خبرته الطويلة في الإدارة الفنية، وفر على الشركة الكثير، وارشدها إلى أماكن معينة في دمشق لشراء الأزياء والإكسسوارت اللازمة. وعلى الأرجح أنه بدأ بكتابة الفصول المتعلقة ببرنامج الفرقة الفني في هذا الوقت بالذات. ويبدو أن المهمة لم تكن بالبسيرة، في ظل جهل الإداريين، الذين كانت تحركهم دوافع الربح فقط، وحالة الذعر من المصروفات الضخمة، والإلحاح على فكرة "العادات الشرقية".

أقواس وقباب على أسعد باشا

وتاكيدا لما ذكرته رسالة مدير الشركة؛ وصل إلى نيويورك مبعوثان من بيروت للبدء ببناء المسرح. وذكرت جريدة "كوكب أميركا" في صفحتها الأولى يوم الجمعة 11 تشرين الثاني (نوفمبر) خبر وصول عضوي شركة "مرسح العادات الشرقية" حضرة وطنيينا الفاضلين نعوم أفندي مغبغب، وجرجي أفندي الخوري في 5 تشرين الثاني (نوفمبر) 1892 إلى نيويورك في طريقهما إلى مدينة شيكاغو، "للشروع بإقامة البناء اللازم في المعرض العام لتشخيص العوائد الشرقية المختصة بالشركة"، وأكدت الجريدة أن مغبغب وخوري هما العضوان المكلفان بإجراء ما يلزم للمشروع.

ولم تمض أسابيع قليلة حتى نشرت جريدة "شيكاغو تريبيون" خبرا عن المباشرة ببناء "المسرح التركي" في "ميدواي بليزانس" وان من سيقوم بتشييده هو "بطرس انطونيوس وشركاه من بيروت في سوريا، نعوم مغبغب وجورج إ.خوري وهم شركاء في الشركة، محددة موقع المسرح في القرية التركية مقابل البانوراما السويسرية، وان تكلفته ستبلغ ما بين 10 الاف دولار أميركي و25 الف دولار".

وتقلت الجريدة عن مغبغب الذي كان يجيد الإنكليزية، قوله "اليوم أرسلنا برقية نطلب فيها من شركائنا الموافقة على أن نبني طابقين بدلا من طابق واحد، ولقد الزمتنا إدارة المعرض العالمي بتجهيز المسرح بالف مقعد على أقل تقدير. سيكون المسرح والتصميم صورة عن الشرق، وستكون هناك واجهة خارجية وقباب وأقواس وبوابات ونوافذ على النمط الشرقي. أما التصميم الداخلي والمناظر والنمط الطاغي للتزيينات فسيكون مماثلا لأفخم واعرق بيوتات دمشق، واكثرها اناقة، خصوصا أن دمشق هي باريس الشرق".

واضاف مغبغب قائلا "إن تشييد البناء سيقوم به الحرفيون والعاملون لدى شركتنا، وهم في طريقهم الآن إلى شيكاغو، وسينتهي البناء في الأول من نيسان (أبريل 1893)".

وقد أوضحت الصور التي نشرت في ما بعد، أن الطراز الفني الذي كان يقصده مغبغب هو طراز خان أسعد باشا، الشهير بقبابه وأقواسه البديعة، ذات الحجارة المتناوبة بين اللونين الأسود والأبيض.

ومن المؤكد أن سبب اختيار نمط خان أسعد باشا المعماري الفريد، هو ما كان يحمله من ذكريات فنية حميمة ترتبط ببدايات أبي خليل المسرحية، حين نصب فيه مسرحه الأول بتشجيع من الوالي صبحي باشا في العام 1872.

وحول الفرقة المسرحية قال مغبغب إنها "ستتكون من 65 رجلا وامرأة وطفلا، وسيصلون إلى شيكاغو في 15 نيسان، وهنا ستبدأ تكاليف أخرى، إذ أننا عندما أسسنا الشركة في شيكاغو وصلت تكاليف المشروع إلى 20 الف جنيه إسترليني". مضيفا أنه "عندما تم اختيار مدينة شيكاغو لاستضافة المعرض العالمي بدأنا بتوظيف الممثلين والمغنين والموسيقيين والمشخصاتية من القدس وبيت لحم والناصرة والسامرية ودمشق وبيروت ولبنان وحلب والقسطنطينية وإزمير، إلى جانب بعض المغمر من بلاد النهرين، وبعض البدو من الصحراء. وهم يتدربون الآن على أداء العروض الكومبدية والتراجيدية في بيروت ليتم تقديمها في هذا المسرح".

وهذا الحشد الكبير من الفنانين هو سمة "قبائية" بامتياز، إذ كان عدد أعضاء فرقته في مرحلتها الدمشقية يتجاوز الـ60 فنانا، وعدد أفراد جوقه الذي سافر إلى مصر في العام 1884 بلغ 41 ممثلا وموسيقيا، فالإبهار البصري كان لعبته المفضلة.

وأكد مغبغب أن شركته ستعرض "حفلات شرقية وأغراسا وولائم ولوحات راقصة وجنائز ومناسبات بهيجة، ومبارزات وتسالي ومشاهد من جميع جوانب الحياة". لافتا إلى أنه "سيتم استخدام لغتين: العربية التي يتكلم بها أهالي الأراضي المقدسة وحلب ودمشق، والتركية لغة إسطنبول".

وقال "سنوظف المترجمين لشرح وتبسيط جميع العروض، وسيكون معنا أعظم المغنين من صالونات ودور الأوبرا والمقاهي في المدن المذكورة أعلاه، وسنستخدم أيضا جميع الآلات الموسيقية ذات الطابع الشرقي القديم والحديث. ولن نتجاهل أي شيء يحظى باهتمام ومتعة سكان الغرب من عالم شعوب الشرق".

وبعد يومين نشرت جريدة "ديلي أركنسو غازيتا" خبرا بالمضمون نفسه مع شيء من الاختصار. وتلتها بعد أيام جريدة "بيتسبورغ بوست" بنشر خبر يتضمن تفاصيل إضافية منها أن مساحة المسرح ستكون 63 × 145 قدما، (بين 2500 و3000 متر مربع).

وكان لافتا في تصريحات مغبغب التأكيد على محورية مدينة دمشق في البرنامج الفني، وأن التدريبات المسرحية بدأت فعلا في بيروت.

الرحلة البحرية

اكتملت الاستعدادات في بيروت وبات الفريق جاهزا. ولا شك في أن أبا خليل القباني قد بذل جهودا غير اعتيادية في إعداد الممثلين وتلقينهم أدوارهم، فغالبيتهم كانوا يخوضون التجربة للمرة الأولى. وقبل السفر نظمت الفرقة عروضا تجريبية للصحافة؛ منها عرض حضره مندوب جريدة "لسان الحال" إلى جانب مندوبين آخرين.

وكتبت الجريدة المذكورة خبرا مقتضباً أفاد بأن "اختبارات التمثيل" تمت "على أحسن ما يرام من الإحكام والاتقان". وقال مندوب الجريدة: "وقد قضينا العجب مما رأيناه من ممثليها واتقان أزيائهم، في ليلة دعينا إلى حضور التمثيل في دارها، فبشرناهم بالفوز وتمنينا لهم النجاح. حقق الله امانيهم ووفق أعمالهم".

وبعد أسبوع ذكرت الجريدة ذاتها أن طاقم "شركة العوائد الشرقية" انقسم إلى فريقين، أحدهما سافر مساء الأربعاء الماضي 15 آذار (مارس)، وأن الفريق الآخر سيتبعهم على الإثر.

وتخبرنا حركة الملاحة في ميناء بيروت لشهر آذار (مارس) من عام 1893 أن باخرة واحدة غادرت الميناء يوم الأربعاء 15 آذار هي الباخرة الخديوية القادمة من ميناء مرسين، والمتجهة إلى ميناء الاسكندرية، أما الباخرة الأخرى التي حملت الدفعة الثانية من أعضاء الفرقة فهي، على الأرجح، الفرنساوية القادمة من أزمير يوم الاثنين 20 آذار. وبما أن الرحلة تستغرق من بيروت إلى الاسكندرية أقل من يومين، فمن المحتمل أن التئام الفريق تم في 22 آذار وأن السفر من الإسكندرية إلى جنوة كان في يوم 23 آذار، وأن الوصول إلى جنوة تم في يوم 27 أو 28 آذار عن طريق باخرة البريد والنقل البريطانية "كاشاي"، على الأرجح، فهي كانت تعمل خلال هذه الفترة بين ميناءي الإسكندرية وجنوة. أي أن الرحلة استغرقت من بيروت إلى جنوة عبر الإسكندرية أقل من 15 يوما.

وفي جنوة الواقعة في أقصى شمالي إيطاليا، على ساحل المتوسط المحاذي لليفيرا الفرنسية، كانت السفينة البخارية العملاقة "إس إس ويرا" بانتظارهم، وهي سفينة المانية تتبع لشركة "نورديوتشر لويد".

عبر الأطلسي

يمكن القول إن السفر على متن السفينة "إس إس ويرا" كان متعة خالصة لركاب الدرجة الأولى، إذ كان هذا القسم من السفينة يضم بهوا كبيرا مؤثثا على الطراز الفيكتوري، فيه مجموعة من المطاعم وقاعات الجلوس. وقاعة للموسيقى فيها اوركسترا خاصة بالسفينة، وثمة قاعات تضم لوحات فنية. وادراج عريضة وفارهة تفضي إلى شرفات ومقاه تطل على المحيط. اما كبائن الركاب، فكانت في منتهى الرفاهية لركاب الدرجة الأولى حيث كانت معدة لشخص او شخصين ومجهزة ومؤثثة بالدرجة السياحية 5 نجوم. ولم تكن الدرجة الثانية تقل عن الأولى إلا بالمساحة المخصصة لكل فرد، وثمة كبائن لشخصين واخرى لأربعة أشخاص، مع خدماتها كاملة. وكل ذلك منار بمصابيح الكهرباء التي كانت قد وصلتها في العام 1884.

غادرت "إس إس ويرا" ميناء جنوة في 30 آذار (مارس) متجهة إلى نيويورك، بحسب أخبار حركة الملاحة المنشورة في صحيفة "نيويورك تايمز".

استغرقت الرحلة من جنوة إلى نيويورك حوالى 18 يوماً، بما فيها التوقف في ميناء جبل طارق، حيث صعد ستة ركاب، هم أميركيان واربعة إسبان. وفي هذا الميناء تزودت "إس إس ويرا" بالفحم والمياه والطعام قبل رحلة المحيط إلى نيويورك.

والقت "إس إس ويرا" مرساتها في محطة الحجر الصحي في يوم الأحد 16 نيسان (أبريل) 1893، حيث قام ضابط بتفتيش السفينة، قبل أن يأذن بدخولها خليج نيويورك، لتمر امام تمثال الحرية، وصولا إلى الرصيف. بعد ذلك قام جميع الركاب بمغادرة السفينة إلى مركز الهجرة في جزيرة إليس للتفتيش والتحقق. وهناك كان مندوب جريدة "كوكب اميركا" بانتظارهم، حيث نشر في الصفحة الأولى خبر وصول "شركة ممثلي العوائد الشرقية" القادمة من مدينة بيروت.

وذكرت "كوكب أميركا" رؤساء الشركة كما يلي: "الفضلاء جناب الخواجات بطرس أنطونيوس وشركاه، ومدير ممثليها جناب الشيخ أحمد محمد ابي خليل القباني الممثل الشهير والمطرب المعجب. اما جوق التمثيل فقالت إنه "مؤلف من خمسين شخصا مابين مطربين ومطربات وممثلين وممثلات، وكلهم حائزون على قصب السبق في مضمار هذه الصناعة".

أحمد أقبيق: المهنة ممثل

وفي سجلات الواصلين إلى نيويورك يوم 17 نيسان (أبريل) 1893 على متن السفينة "إس إس ويرا" نقرأ أسماء أعضاء الفرقة الـ 58، وأن غالبيتهم الساحقة كانوا من السوريين، ونقرأ اسم أحمد أقبيق من مدينة دمشق، وهو الاسم الرسمي لأبي خليل القباني، وعمره 51 عاما. وهذا يعني أنه من مواليد العام 1842، وهو التاريخ الذي أكده تلميذه كامل الخلعي في ترجمته عام 1904، في حين زعمت بعض المصادر أنه من مواليد 1833. ونقرأ أيضا اسم عثمان الشيخ صالح من دمشق، وله من العمر 52 عاما، وهو من أعضاء فرقة القباني القدماء، واسمه المعروف في المراجع اللاحقة محمد صالح بن عثمان موسى باشا الشهير بالدرويش. كما نقرأ اسم موسى إليان من دمشق وعمره 28 عاما، وهو على الأرجح المعروف باسم موسى أبو الهيء من أعضاء فرقة القباني القدماء الذين رافقوه طوال رحلته الفنية. بالمقابل نقرأ اسم سليمان أبو هبي في المجموعة الثانية، فهل حصل خلط بين الاسمين لدى المؤرخ أدهم الجندي؟

عروض وانطباعات

مع بداية عروض الفرقة في الأول من أيار (مايو) وزّع "مرسح العادات الشرقية" دليلا باللغة الإنكليزية على الجمهور، متضمنا مقدمة تعريفية بالإمبراطورية العثمانية وفسيفسائها الدينية والعرقية، وتلخيصا للعروض الثمانية التي انطوى عليها البرنامج الفني المنوع.

واستخدمت المقدمة التي صاغها، على ما يبدو، نعوم مغبغب، الاسم الذي يفضله الغرب للإمبراطورية العثمانية، أي "تركيا"، وهو اسم لم يكن متداولا او محبّذا من جانب السلطنة. وقد راعت المقدمة الرؤية التقليدية المترسخة في عقل الجمهور الغربي عن الشرق وعلاقته بالتاريخ التوراتي القديم، إذ كررت انه "لا يوجد بلد مثل تركيا بما تحوي من مظاهر تاريخ الدين والدنيا، فهي أرض الكتاب المقدس، حيث جرت جميع أحداثه"، مع التأكيد أن "الأدوات الموسيقية (المستخدمة في العروض) هي من النوع نفسه الذي كان يستخدمه الملك داود: القيثارة والدف والآلات الوترية شبيهة بالقيثارة والصنجات التي استخدمت في الأيام القديمة عبر التاريخ".

ولم تخل المقدمة من النزعة الفلكلورية التبسيطية التي دغدغت مشاعر قسم الأنثروبولوجيا في المعرض بحرصها على تعداد أسماء الطوائف والإثنيات مثل الدروز، والموارنة، والروم الكاثوليك، والسامريين، والإسماعيليين، والنصيريين، واليزيديين.. إلخ، مشيرة إلى أن "الرجال الذين يرتدون العمائم البيضاء ينتمون إلى الطائفة الدرزية، أما الرجال الذين يرتدون عمائم أخرى فهم من الاكراد. بعض الرجال ينحدرون من بيت لحم والقدس، وآخرون من دمشق، المدينة القديمة، وآخرون من بيروت والبعض من جبل لبنان وبعضهم من أزمير والقسطنطينية وسالونيك، اجتمعوا جميعا لاستعراض نمط الحياة في مواطنهم وعجائبها وغرائبها". وأنه تم "إحضار هذه الفرقة المسرحية إلى المعرض الكولومبي خاصة لتلبية رغبة معرفة هذه البلاد".

ولم ينس كاتب هذه المقدمة التذكير بالمبالغ الكبيرة التي أنفقها الشركاء وعددهم 20 شريكا لإنجاز هذا البرنامج! الذي كلفهم إرسال "وكلائهم إلى أصقاع الإمبراطورية لدراسة تقاليد وعادات وأزياء سكانها والتعاقد مع الممثلين، البالغ عددهم 65 ممثلا وممثلة". وهذه الإشارة إلى المبالغ الكبيرة تتكرر بشكل مبتذل في جميع تصريحات الإداريين، وتنبئ بلامبالاة حيال الرسالة الفنية، وجشع، لا شك في أن الفريق الفني، وعلى رأسه أبو خليل القباني، قد عانوا منه طوال عام أو أكثر!

الدراما الكردية

بعد المقدمة يستعرض الدليل العروض التمثيلية عرضا عرضا، ويبدأ بـ"الدراما الكردية"، التي تتكون من افتتاحية موسيقية وثلاثة فصول، وتروي قصة بسيطة لرجل كردي يدعى فياض يرفض تزويج ابنته كريمة من ابن عمها حسن، ولكنه حين يتعرض لغزو ونهب ممتلكاته واختطاف ابنته وزوجته من لصوص العرب البدو، لا يجد غير ابن أخيه الذي ينقذ النساء ويعيد المنهوبات، ويحظى بالزواج من محبوبته مكافأة له، فتقام لذلك الأفراح.

الراقصة الأميركية كريستينا

الشارع أمام المسرح

روزا ترقص

واجهة مسرح القباني في شيكاغو: طراز دمشقي

كاريكاتير المسرح التركي في مجلة عفريت المعرض

سفينة من طراز ويرا تعبر من أمام تمثال الحرية

كشف أدبي يميط اللثام عن حضور أميركي لأبي خليل القباني

سافر القباني بفرقة من 58 ممثلا وممثلة وعازفين ومغنين وعرض مسرحياته لـ6 شهور في شيكاغو

> في سجلات الواصلين إلى نيويورك يوم 17 أبريل 1893 على متن السفينة «إس إس ويرا» نقرأ أسماء أعضاء الفرقة الـ 58، وأن غالبيتهم الساحقة كانوا من السوريين، ونقرأ اسم أحمد أقبيق من مدينة دمشق، وهو الاسم الرسمي لأبي خليل القباني، وعمره 51 عاما

الصبيّ الملون

إلياس إيزولي يحمّل «أولاده» أثقالا شاقة

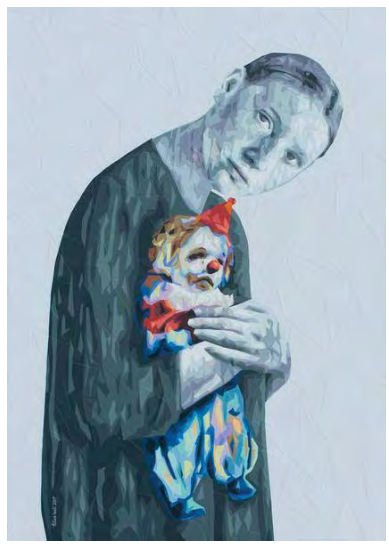

ميموزا العراوي
كاتبة من لبنان

❏ قدّمت صالة "أيام" في بيروت معرضا للفنان السوري إلياس إيزولي تحت عنوان "سبع سنوات"، تضمّن مجموعة من اللوحات التشخيصية، التي مثلت بالنسبة للفنان حالة كل من مكث في سوريا خلال السنوات السبع الأخيرة. ويوضح البيان الصحافي الذي رافق المعرض أن الفنان "استمر بتقديم أشكال وأشخاص جدد باحترافيته العالية لفن الرسم وحساسيته الشديدة للألوان، متأثرا بفضائه ومحيطه الآني".

غير أن هذه الاستمرارية تعرّضت إلى تحوّلات بارزة خلال السنوات المشار إليها، وتمخضت عنها سلسلة من اللوحات خفّت فيها وتيرة التكسرات التي بالرغم من أنها لم تختف، إلا أنها انكفأت إلى أجساد شخوصه المرسومة.

سيرة الصبيّ الملون

في هذا المعرض، كما في المعرض الذي سبقه سنة 2016 وقدّمه بمدينة دبي في صالة "أيام"، واستوحاه الفنان من بعض الأعمال الرائعة للفنان السوري لؤي كيالي، الذي يعتبر من رواد فن الحداثة في العالم العربي، أمطر الفنان لوحاته بوابل من الألوان كخبير في علمها وتفاعلها مع بعضها البعض بأسلوب مُبتكر وعصري جدا. حاول من خلال هذا الأسلوب تخفيف التدرجات اللونية لصالح تجاور بين ألوان بدت أحيانا وللوهلة الأولى غير متجانسة، لأجل ذلك ربما اكتسبت جميع لوحاته حيوية لا تتحمل التدرج وتريد أن تبقى على سلم موسيقي واحد.

وإذا كانت خامة لوحته التي قدمها سنة 2016 تبدو وكأنها مصنوعة أو مدموغة بشكل واضح في جميع مستوياتها البصرية بهيئات لأشكال هندسية/ تجريدية تذكّر بالطائرات الورقية التي يلهو بصناعتها الأطفال، فقد خفّت وتيرة تلك الأشكال في فضاء لوحته الجديدة وانكفأ معظمها إلى أجساد شخوصه المرسومة، أو خفّت وتيرة تأثيرها في عين المُشاهد نتيجة لبراعة الفنان في جعل تجاور النافر مع المنبسط في أقصى التلاؤم وفي خدمة نصه البصري، كما في خدمة الفكرة التي أراد التعبير عنها.

ومن ناحية ثانية، إذا اقترب زائر المعرض من بعض لوحات أخرى سيكتشف أن تلك الأشكال الهندسية المتكسرة والمعهودة في لوحات 2016 مازالت حاضرة في خلفياتها، في فضاء الشخوص المرسومة ولكن ما عليه إلا أن يبتعد عنها، أي عن اللوحات، وينظر إليها عن بعد ليحدث التبدل في التجربة البصرية والتبدل في ما تشير إليه التجربة تلك على السواء. سيدرك حينها بعض مفاتيح سحر هذا "اللهو" إذا جاز التعبير، الذي برع في سن قوانينه الفنان ما بين المختفي والظاهر والعكس بالعكس.

لا يمكن لزائر المعرض ألّا ينتبه كيف استدارت أو انبسطت تكسرات 2016 "سحريا"، أو "فعليا" في لوحات الفنان وتحولت إلى زخات لونية، و"بيانات" ملونة ومعاصرة، تذبذبت في لوحاته لتواكب شخوصه في وتيرة منخفضة. زخات لونية/ رقمية تماوجت، تقاربت، وتباعدت فأدخلت بفعلها هذا الشخوص المرسومة إلى ما يشبه فقاعات غير مرئية احتمت فيها من عيون مُشاهدي اللوحات والمدققين في أحوالهم النفسية البارزة.

أمام هذه الحساسية والدراية الكبيرة في توظيف الألوان، والأشكال النافرة لخدمة الأفكار المطروحة في اللوحات يجدر الذكر أن الفنان إلياس إيزولي، المولود في دمشق سنة 1976، بنى نفسه بنفسه فنيا خارج دراسة أكاديمية أولية. ظهرت موهبته باكرا عندما كان لا يزال في السابعة عشرة من عمره و أُقيم له معرض فردي آنذاك في المركز الثقافي الروسي. كما شارك في معارض جماعية كثيرة في مدينة دبي وفي مزادات صالة "أيام"، وهو ناشط على الساحة الفنية منذ سنة 1993.

من هم؟

أمام هذه اللوحات تبرز عدة أسئلة: كيف استطاع الأولاد الذين رسمهم الفنان في وضعيات مُختلفة في لوحاته أن يبدوا وكأنهم يرفعون جميعهم أكفهم في وجه الناظرين إليهم في محاولة واضحة للحد من "اقترابهم" منهم؟ كيف باتت هذه "الفقاعات الوهمية"، التي يحتمي بها هؤلاء الأولاد أكثر ما يستطيع الفنان أن يجذب بها عين المُشاهد إليهم؟ أما السؤال التالي الذي قد يكون منبثقا من السؤالين الأولين فهو: ما سر أجواء اللهو التي لا تعرف كيف أن تتحقق؟ ما سر اللهو الذي يبقى فكرة منهكة ولا يعبر عن ذاته، في أجواء اللوحات المشحونة بطاقة الطفولة، إلا في خيال هؤلاء المشدوهين أمام ألعابهم كدولاب الهواء والطابة الملونة والمهرج/ الدمية في لا مبالاة لافتة وتململ سقيم؟ من هم هؤلاء الأولاد الذين أعياهم الملل جسديا فتهالكوا في بعض اللوحات بوضعيات أجسادهم المترنحة تحت مطر ملوّن غريب تركيبه. مطر لم ينهمر من كوكب آخر، بل نابع من صميمهم؟

> كيف استطاع الأولاد الذين رسمهم الفنان في وضعيات مختلفة في لوحاته أن يبدوا وكأنهم يرفعون جميعهم أكفهم في وجه الناظرين إليهم في محاولة واضحة للحد من «اقترابهم» منهم؟

من هم هؤلاء الذين ينظرون في وجوهنا دونما رجاء؟ ومن هم هؤلاء الذين لا يشعرون بنا في نظراتهم التائهة التي تتلقف أيّ وميض قد يعيد الألق إلى هواياتهم الخاصة.

يبدو ذلك جليا في لوحات كتلك التي تظهر صبيا وبقربه حصانه الخشبي الذي لا يمتطيه إلا ظل صبي، وخيال الصبي. كما يبدو واضحا في لوحات كتلك الذي تحتضن صبيًا أزرق الشعر والمزاج، و لوحة أخرى تكاد فيها طابة ملونة مُعلقة في الفراغ، تحتضر شوقا للعب مع فتاة يعتصرها قلق غامض. نذكر أيضا لوحة أخرى يظهر فيها رمز من رموز المغامرة، قارب أزرق، في راحة يد صبي يلبس البحر ويتوق إليه وإلى ذاته دون أن يجد لهذا الحلم الإذن بالتحقق.

أجوبة عديدة يمكن لها أن تأتي في نجدة هذه الأسئلة، وإسقاطات شعورية متنوعة قد يحلو للبعض أن يصبغوا بها لوحات الفنان إلياس إيزولي، ولكن أغلب الظن أن معظم الزائرين قد يفضلون الخروج من الصالة وهم يتساءلون "من نحن؟"، وهم كمثل معظم هؤلاء الأولاد، لا هم يريدون ولا هم يرجون إجابة.

حالات طفولية تجعل المشاهد يتساءل: من أنا؟ من نحن؟

الصدفة كأداة فنية

معرض باريسي عن تفاعل الآلة والإنسان

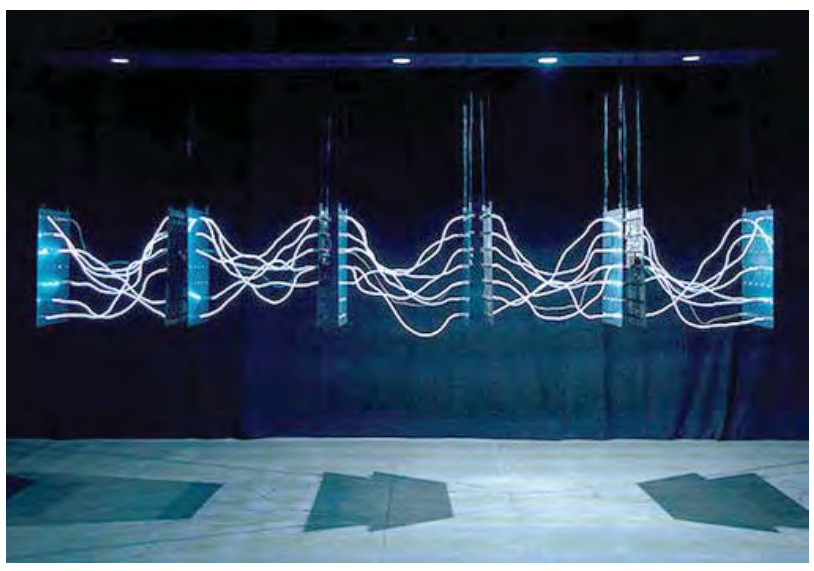

جهتان من المعرض: التكنولوجيا الحديثة تزعزع اليقين البشري

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ زعزعت التكنولوجيا الحديثة والعلوم الفيزيائيّة اليقين البشري المرتبط بثبات قوانين الكون وصلاحيتها الدائمة، كما شكلت ضربة للفلسفة التقليديّة التي ترى أننا نعيش في عالم محكم البناء، إذ قدمت فيزياء الكمّ مثلا العديد من القوانين المحكومة بالصدفة البحتة والتي لا يمكن توقع نتائجها بدقّة، ليصبح الكون مجرد سلسلة من الاحتمالات والاستثناءات التي شكلته وتشكله بالصورة التي نعرفها، وكأن الصدفة واللايقين يحكمان العالم، إذ لا ثبات ولا حقيقة سوى الحركة واحتمالاتها المفتوحة على اللا نهاية.

تشهد صالة مئة وواحد في باريس بالتعاون مع البينالي العالمي للفنون الرقمية في فرنسا معرضا بعنوان "حقائق الصدفة"، وفيه نرى مجموعة من الأعمال الفنيّة التي لم تكن في الحسبان، أي أنها الاحتمالات التي استثناها الفنان أو تكونت صدفة بعيدا عن إرادته، فهي مزيج بين التكنولوجيا الرقمية والأدوات الفنيّة التقليدية، لنرى أنفسنا أمام أعمال تدّعي الهشاشة، كونها وليدة صدفة أو أخطاء يصعب التنبؤ بها، وما يميز المعرض أن هذا الإنتاج الممنهج للأخطاء مقصود، كونه يعكس محاولات الفنان لاكتشاف احتمالات للعمل الفنيّ لا تخضع لسيطرته أو جهوده لإحكام عملية الإنتاج، لتصبح الصدفة وسيلة نتعرف عبرها على ما يمكن أن يحصل لو تركنا الآلات تعمل وحدها، ما يشكل تهديدا لتعريفات الفنّ ودور الفنان في صناعة العمل الفنيّ.

يقول جيل افاريز مدير البينالي إنه قبل الصدفة في الفن، كان هناك الخطأ، لكن بعد مارسيل دوشامب وميكانيك الكم، أصبح هناك صدفة مقصودة، وهي أداة تحتاج إلى أن تضبط من قبل الفنان، وهذا ما نراه في المعرض الحالي، إذ تحضر أعمال لحوالي عشرين فنانا تتنوع بين المنحوتات وأعمال التجهيز من مختلف الأحجام، وجميعها تعكس انفلات الآلة من يد الإنسان، بحيث تولد أشكال وأصوات وصور بمحض الصدفة، ولا علاقة للفنان سواء كان واعيا أو لا واعيا بإنتاجها، كحالة عمل التجهيز "نبض" للفنان مارتن موسير، الذي يتفاعل فيه الصوت مع الضوء عبر سلسلة من الأسلاك والألواح الناقلة للكهرباء، لتلتمع الأخيرة بحسب الموسيقا أو الأصوات التي تم برمجتها، إذ لا شكل ثابتا للأنساق الضوئية التي يمكن أن نراها، كون الأمر مفتوحا على عدد لا نهائي من الاحتمالات التي تتغير في كلّ مرة.

يعيد المعرض إلى الواجهة مفاهيم العمل الفني الاستهلاكي، أي ذلك القابل للنسخ والتكرار، فالتكنولوجيا الحديثة تولد أشكالا لا يمكن تكرارها، لتكون أعمالا "أصيلة" ولا يمكن أن نراها في مكان آخر أو استنساخها آليا، كون عملية إنتاجها لا تنتهي، كالجدارية الرقميّة الضخمة حيث صمم الروبوتات التي ترسمها كل من اليابانيين سوكا نو وياماغوشي تاكاهيرو، إذ تحوي مضخات خاصة تنتج أنساقا لونيّة تتغير بحسب درجة الحرارة والرطوبة وسرعة من يمر بجانبها، وكأنها عمل فنيّ يتغير في كل مرة نمر من جانبه.

يشكك المعرض أيضا بمفاهيم الكمال والدقّة التي تدّعي التكنولوجيا الحديثة أنها قادرة على الوصول إليها، كنسخ طبق الأصل والطباعة ثلاثية الأبعاد التي لا احتمال للخطأ فيها، وخصوصا أن مفاهيم البرمجة والمعادلات الرقميّة تعطي انطباعا بأن احتمال الخطأ أو الصدفة مستحيل، كون كل حركة مدروسة ومضبوطة، وهذا ما يتناقض مع آلية عمل المنحوتة الضوئية البصريّة التي صممتها ألبا تريانا باسم "موسيقا على خيط مشدود 2، والتي تنتج أطيافا ضوئية لا يمكن حسابها بدقة بالرغم من البرمجة المسبقة لنوع الأصوات التي ستحرك الخيط، لنرى أنفسنا أمام احتمالات فقط عن الشكل الذي يمكن أن يأخذه الخيط حين اهتزازه.

> هناك صدفة مقصودة، وهي أداة تحتاج إلى أن تضبط من قبل الفنان، وهذا ما نراه في المعرض الحالي

أكثر ما يلفت النظر في المعرض هو المنحوتة الآلية التي صممها وبرمجها الفرنسي فابيان زوكو بعنوان "مؤسسة التفكيك التكنو-لاهوتي" والتي تتألف من هواتف ذكيّة معلقة على أذرع إلكترونية مبرمجة لتتحرك وفق تقسيمات الكتاب المقدس، وتحويل الكلمات والجمل إلى سلسلة من الأصوات والأضواء والحركات، ليتحول النص المقدس الذي يمثل كبنيّة وحدة متكاملة لا تقبل الخطأ إلى مجموعة من الاحتمالات المتداخلة للأصوات والأضواء، لينتهك زوكو بذلك مفاهيم الكمال الديني التي تنهار بمجرد تغيير الوسيط الذي ينقل المعنى، إذ يترك للمنحوتة ذاتها حريّة الحركة بصورة عشوائية، أشبه بجوقة غير مضبوطة تردد النص المقدس.

تجسيد التناقض بين الشخصيتين هو جوهر فيلم «المترجم»

توديع البراءة في «قطارات تحت الحراسة المشددة»

اليهودي ابن الضحية والنمساوي ابن النازي في «المترجم»

إعادة اكتشاف المخرج-الممثل في برلين

بييري مينزل: عودة المتمرد من «ربيع براغ» إلى الهولوكوست

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ في العام الماضي احتفى مهرجان روتردام السينمائي الدولي بأحد أعلام السينما التشيكية الجديدة، أي المخرج المخضرم يان نيمتش وعرض آخر أفلامه وهو "الذئب من شارع تكعيبة العنب الملكية" (2016) الذي يروي فيه قصة حياته من خلال أسلوبه الذي يمزج بين الروائي والتسجيلي، الخيالي والسوريالي. وهذا العام احتفى مهرجان برلين بقامة أخرى كبيرة من قامات السينما التشيكية هو المخرج بيري مينزل، ومنحه جائزة الكاميرا الذهبية كما عرض أحدث أفلامه ولكن كممثل وليس كمخرج، وهو فيلم "المترجم". وقد حضر مينزل إلى المهرجان يوم 23 فبراير الذي صادف الاحتفال بعيد ميلاده الثمانين.

> جاء ظهور بيري مينزل بفيلمه الأول «قطارات تحت حراسة مشددة» ومضى ليحصل على جائزة أحسن فيلم أجنبي في مسابقة الأوسكار في إشارة لا تغفلها العين على جرأة الفيلم واجترائه على نقد «النظام» من خلال أسلوب فني متميز

كيف مضى الزمن بمثل هذه السرعة؟ وما الذي حدث خلال خمسين عاما منذ أن تفجرت موهبة بيري مينزل الشاب الذي صدم العالم بفيلمه الروائي الأول "قطارات تحت الحراسة المشددة" عام 1966 ولم يكن قد تجاوز الثامنة والعشرين من عمره؟ كان مينزل مع رفاقه يان نيمتش وميلوش فورمان وايفالد شورم وفيرا كيتلوفا وإيفان باسر، قد دشنوا حركة السينما التشيكية الجديدة. وكانت بمثابة ثورة على التقاليد العتيقة لما عرف بـ"الواقعية الاشتراكية" التي تقوم على تمجيد البطل الإيجابي، ابن الطبقة العاملة، وتلتزم بالدفاع عن تقاليد ومبادئ الحزب الشيوعي. أما الموجة التشيكية الجديدة فقد جاءت نقيضا لذلك، ونتاجا لشعور متصاعد وقتذاك، بالغضب والرغبة في الانتفاض على تلك الهيمنة الفكرية التي كان يمارسها الحزب على الأدباء والفنانين في تشيكوسلوفاكيا، وكانت الأفلام الأولى لمخرجي الجيل الجديد إيذانا بحركة الاحتجاج السياسي واسعة النطاق التي بلغت ذروتها في ما عرف بـ"ربيع براغ" في 1968 الذي انتهى بدخول القوات السوفيتية العاصمة.

جاء ظهور بيري مينزل بفيلمه الأول "قطارات تحت حراسة مشددة" ومضى ليحصل على جائزة أحسن فيلم أجنبي في مسابقة الأوسكار في إشارة لا تغفلها العين على جرأة الفيلم واجترائه على نقد "النظام" من خلال أسلوب فني متميز.

لكن الفيلم ليس عن الحزب الشيوعي، بل يستخدم مخرجه خلفية الحرب العالمية الثانية والاحتلال الألماني النازي لتشيكوسلوفاكيا، للتعبير المجازي عن الغازي، المحتل، القاهر الذي يجب مقاومته، ولكن ليس من خلال صنع أبطال خرافيين على الشاشة، بل من خلال توظيف العلاقة بين التحرر الجنسي والتحرر السياسي. بطل الفيلم شاب يدعى ميلوش، يعمل مشرفا على محطة نائية للقطارات تمر عبرها أحيانا القطارات الألمانية المحملة بالأسلحة والذخائر. الزمن قرب نهاية الحرب العالمية الثانية. الألمان مازالوا يتعجرفون ويفرضون الانضباط العسكري رغم الهزيمة التي تلوح. وميلوش ينتمي لعائلة من الذين اشتغلوا بالسكك الحديدية وخبروا عالم القطارات. كان جده ناظرا للمحطة وقد تصدى لإحدى دبابات الألمان وحاول تدميرها فسحقته تحت عجلاتها. واستقال والده واعتزل العمل بالقطارات وأصبح يقضي يومه مستلقيا على الأريكة لا يريد أن يتحدث مع أحد بعد أن أصابه الاكتئاب.

ميلوش يحاول إقامة علاقة جنسية مع فتاة جذابة تعمل مفتشة قطارات. لكنه يفشل معها، فيعتقد أنه لا يصلح للعلاقات الجنسية فيحاول الانتحار، لكن طبيبا من أصدقاء الأسرة، يقوم بدوره المخرج بيري مينزل نفسه، ينصحه بالتفكير أثناء ممارسة الجنس في أشياء بعيدة تماما عن "الهدف الجنسي" المباشر، كأن يفكر في مباراة كرة قدم مثلا، كما ينصحه بالبحث عن امرأة مجربة يمكنها مساعدته. يرفض مدير المحطة السماح له بالاستعانة بزوجته، ثم يعثر على فتاة تعمل ضمن صفوف المقاومة ضد الألمان، ينجح معها فتتحول حياته وينتهي إلى الالتحاق بدوره بالمقاومة فيقوم بتفجير قطار ألماني محمل بالذخيرة تعبيرا عن النضج السياسي المتلازم مع التحقق الجنسي. يتضمن الفيلم الكثير من المشاهد التي تسخر من البيروقراطية، كأن نرى أحد مفتشي القطارات يختم مؤخرات الفتيات بالخاتم الرسمي.

كان موضوع كهذا في تلك الفترة أكبر من أن يمر على الرقابة التي وجدت فيه الكثير من الإشارات الرمزية التي تهجو بيروقراطية الحزب مع الجرأة في استخدام الإشارات الجنسية في فيلم يفترض أن يتمتع بقدر من "البيوريتانية". لذلك تعرض الفيلم للمنع من العرض لبعض الوقت، لكنه عرض على نطاق واسع في نوادي السينما والمهرجانات الدولية في العالم.

بيري مينزل كما أشرت، يمارس التمثيل إلى جانب الإخراج. وقد أخرج حتى الآن 29 فيلما من بينها عدد من الأفلام القصيرة أخرجها في بداية مسيرته السينمائية. ومن أشهر أفلامه بعد "قطارات.." فيلم "صيف متقلب" (1967) وهو أيضا من نوع الكوميديا السوداء الساخرة شأن معظم أفلام مينزل، ويروي فيه كيف تنقلب تماما حياة ثلاثة من الأصدقاء ذهبوا لقضاء عطلة بجوار بحيرة، يسبحون ويلهون، وعندما يظهر لاعب سيرك وبصحبته فتاة جميلة هي مساعدته، يحاول الرجال الثلاثة اغواء الفتاة الجميلة بشتى الطرق، لكن اللاعب هو الذي ينجح في إغواء زوجة أحد الرجال الثلاثة. نتيجة هذه المفارقات تتغير حياة الجميع ولا تعود نظرتهم القديمة إلى عالمهم كما كانت. يقوم بدور لاعب السيرك الذي يسير على الحبل ويمتلك موهبة محدودة بيري مينزل نفسه.

قام مينزل بالتمثيل في نحو 70 عملا دراميا وفيلما سينمائيا، من أحدثها فيلم "المترجم" الذي أخرجه المخرج السلوفاكي مارتن شوليك، وهو من الإنتاج المشترك مع ألمانيا وتدور أحداثه في مناطق مختلفة ريفية بديعة من سلوفاكيا، ويشترك في بطولته أمام مينزل الممثل الألماني بيتر سيمونشيك الذي سبق أن تألق في فيلم "توني إيردمان". والفيلم بأسره يعتمد على بطليه الاثنين، مع شخصيات ثانوية قليلة للغاية. يقوم مينزل بدور "علي أونغار" وهو يهودي سلوفاكي جاء إلى النمسا للبحث عن الضابط النازي الذي يعتقد أنه كان مسؤولا عن قتل والديه في "الهولوكوست". وعندما يطرق باب شقة الرجل، مسلحا بمسدس، يفتح له رجل في نهاية الستينات هو ابن الرجل الذي يبحث عنه. يقول له هذا الابن ويدعى "جورج" إن الرجل الذي يبحث عنه قد توفي.

يتحايل "علي" لدخول الشقة بدعوى أنه يريد الذهاب إلى الحمام، لكنه يريد أن يتأكد أولا من اختفاء الرجل كما يريد أن يلم بطبيعة هذا المنزل الذي عاش فيه قاتل والديه. وعندما يعلم جورج بسبب قدومه وبأنه يهودي فقد والديه في الحرب يطرده فيضع له "علي" نسخة من الكتاب الذي ترجمه عن حياة والده في صندوق البريد مع عبارة تصمه بالعداء للسامية. ما يحدث بعد ذلك أن يتصل جورج بهذا اليهودي ويقابله ويطلب أن يصحبه في جولة إلى سلوفاكيا لمعرفة الأماكن التي عاش وعمل فيها والده الذي يقول إنه شطب على حياته من زمن بعيد ونسى كل ما يتعلق به وبماضيه الكريه. إنه يحاول أن يثبت له أنه ليس كما وصفه معاديا للسامية. ويتفق جورج مع الرجل على أن يعمل مترجما له مقابل أجر يومي معلوم.

بييري مينزل: عرف بأفلامه الكوميدية الساخرة

التحقق العاطفي معادل للنضج السياسي في فيلم «قطارات»

فيلم طريق

أصبحنا إذن أمام فيلم طريق يجمع يهوديا هو ابن لوالدين من الذين هلكوا في الهولوكوست، وابن لضابط نازي يريد أن يستعيد ماضي والده ويواجهه وربما يكفر عنه أيضا. طبيعة الموضوع القاتمة لا تسمح بالكوميديا ولكن رغم ذلك ينجح المخرج في خلق الكثير من المواقف الطريفة بين الرجلين، من خلال التناقض بين شخصيتيهما، فالنمساوي يتمتع بروح المرح، والإقبال على الحياة، والرغبة الدائمة في مداعبة الفتيات، واحتساء الخمر والرقص وغير ذلك. وهو يقول إنه سيتولى الإنفاق على الرحلة لكنه سرعان ما يقع ضحية السرقة من جانب فتاتين ذهبتا معه إلى غرفته في الفندق وهو ثمل، فيضطر "علي" إلى تغطية النفقات مع مواصلة الرحلة.

التناقض بين الشخصيتين هو أساس الفيلم، فبينما يميل جورج للعبث، يلتزم علي بالتجهم والعبوس، يرفض الاستجابة للمداعبات، لا يتخلى بسهولة عن دور المترجم المحترف، لا يريد أن يقيم علاقة صداقة مع ابن قاتل والديه الذي يقول له بكل بساطة في البداية إن والده قتل المئات من الأشخاص وإنه لم يعد يريد أن يعرف شيئا عن ماضيه. وعلى الرغم من المناظر الخلابة التي يعبرها الرجلان خلال الرحلة، إلا أن هناك شيئا ما يظل معلقا في المنتصف يدور حول سؤال: وماذا بعد؟ أي ما الذي سيحدث لهما بعد كل هذه الرحلة، خاصة وأننا لا نشاهد الكثير عن ماضي الأب النازي، باستثناء مجموعة من الصور الفوتوغرافية القديمة، ومع استجواب شخص أو اثنين نفشل في تكوين صورة محددة واضحة عن ذلك الوحش النازي، بل نستمع فقط إلى بعض القصص الشفوية عن عمليات القتل والحرق حسب الروايات التقليدية المعتادة عن الهولوكوست.

يلتقي الاثنان في القرية التي ينتمي إليها "علي" بابنة الأخير "إديتا"، وهي شابة تستنكر بشدة أن يصادق أبوها "ابن النازي".. لكنه يجيبها بأن جورج لم يكن نازيا، بما يعني أن من الخطأ تعميم الحكم أو سحبه على جيل الأبناء الذين لم يكن لهم ذنب في جرائم الماضي. وهي رسالة الفيلم التي يتمسك بها حتى النهاية، لكن نتيجة لشعور ما بأن هذا لا يكفي، وأن على "ابن النازي" أن يثبت حقا تخلصه التام من الماضي، ينتهي الفيلم بمفاجأة غير متوقعة وصادمة، ربما تقلل بعض الشيء من قيمة الفيلم، عندما نكتشف في المشهد الأخير بعد عودة جورج من الرحلة إلى بيته، أن والده "النازي القديم"، مازال حيا، وهو يرقد على فراش الموت، فيصر الابن على أن يرغمه على الاستماع لشهادات نساء ممن نجوا من الموت في معسكرات الاعتقال. ثم يضع المسدس (الذي حصل عليه من علي) بجواره لكي يتيح له أن يصنع نهايته بيده. وهي نهاية من نوع تحصيل الحاصل بالطبع.

تنتج الكوميديا في البداية من تناقض الشخصيتين الرئيسيتين، ثم يتحول الفيلم قرب النهاية إلى دراما أكثر جدية، ربما تليق بموضوع جوهره البحث في الهوية، والنبش في الذاكرة، والرغبة في الوصول إلى الحقيقة بغرض التصالح مع الحاضر والقدرة على دفن الضحايا والماضي كله، مع التحذير من الصعود الجديد للفاشية في أوروبا.

ربما يبالغ الممثل النمساوي في أداء دور الرجل المرح العدمي الذي يميل إلى الاحتفال بالحياة والنهل من مباهجها حتى الثمالة، الذي لا يقيم وزنا لتبعات الإفراط أو المغالاة، على نحو يذكرنا بالشخصية الكاريكاتورية التي أداها في فيلم "توني إيردمان"، وربما يبدو بيري مينزل متخشبا أكثر مما ينبغي في بعض المواقف التي كانت تستحق ليونة أكثر وتجاوبا أكثر مع الشخصية الأخرى، إلا أن الأداء لا يخرج عن مجال السيطرة بوجه عام.

الفيلم مأخوذ عن رواية بالعنوان نفسه للكاتب التشيكي بوهميل هاربال (1914–1997) الذي يعتبر من أهم الكتاب التشيك في القرن العشرين، وقد سبق أن اقتبس بيري مينزل من رواياته بعض أهم أفلامه منها "قطارات تحت الحراسة المشددة"، و"خدمت ملك إنكلترا"، و"عصافير فوق السلك"، كما أخرج فيلما تسجيليا عنه.

سليانة وجهة جبلية توفر تجربة فريدة في السياحة البيئية

جبل السرج والقباب البيضاء يستقطبان السياح إلى تونس

يوفر جبل السرج الواقع بمحافظة سليانة التونسية، بعيدا عن صخب العاصمة وضجيجها، فرصة لزواره للاستمتاع بالمناظر الخلابة والهواء النقي وإقامة لا تنسى في القباب الأيكولوجية التي تعزز الحفاظ على البيئة والتراث الثقافي.

رؤى خليفي

❑ **سليانة (تونس)** – يبرز جبل السرج الواقع بمحافظة سليانة كخامس أعلى قمة لسلسلة الجبال الممتدة في تونس، حيث يبلغ ارتفاعه نحو 1357 مترا بعد جبل الشعانبي وبيرانو ولجرد والسلوم والواقعة كلها في محافظة القصرين، إضافة إلى كونه يعد حلقة لسلسلة "الظهرية التونسية"، وهي تسمية جبال الأطلس في جزئها التونسي.

وتمتد الرحلة إلى جبل السرج انطلاقا من العاصمة تونس على قرابة 120 كيلومترا، لزائر هاو تأخذه إلى أحضان الطبيعة وتعد تجربة فريدة من نوعها لهذا النوع من السياحة الجبلية.

ويطلق على الجبل اسم "سيرج" لكنه يترجم إلى "السرج"، وجاءت هذه التسمية لتشابه القمة التي كونتها الطبيعة الجيومورفولجية مع السرج الذي يوضع على ظهر الحصان، ولوجود فجوة يمكن ملاحظتها بين قمتي الجبل.

أجمل كهف في العالم

يشتهر الجبل، الذي يرتفع 1357 مترا على مستوى سطح البحر، بجذب علماء النفس إلى أطول كهف في تونس عين الذهب، حيث تمتدّ المغارة بحوالي 3 كم في عمق الجبل، وتحتوي على 9 غرف منفصلة عن بعضها البعض، تحتوي على تشكيلات صخرية ذهبية فريدة من نوعها وصواعد ونوازل تكونت على مدى الآلاف من السنين ويخترقها نهر طبيعي.

ويبلغ ارتفاع أكبر قاعة في الكهف 20 مترا وعمقها 100 متر. ويحتوي الكهف على ينابيع وأودية تتلاقى عند مدخله في قاعدة الجبل.

وقالت نرجس بن عمر، من جمعية المغامرين بسليانة، إن عين الذهب "تجتذب العديد من الزوار من جميع أنحاء العالم كل عام، وهي أحد أروع المناظر الطبيعية في أفريقيا، إن لم يكن في العالم". وما يجعل عين الذهب فريدة من نوعها بين جميع الكهوف المتواجدة في تونس، النوازل البلورية الرفيعة (التكوينات المعدنية الطبيعية المتدلية من أسقف المغارة وتترسب من محاليل المياه المعدنية)، التي تشكّلت قطرة قطرة عبر عشرات الآلاف من السنين، حتى بلغ طولها الأقصى بين 4.6 و5 أمتار، وتعتبر من بين الأطول في العالم.

وكانت مجموعة من خبراء الجيولوجيا التونسيين وخبراء الكهوف رشحت عام 2010 مغارة عين الذهب للقب أجمل كهف في العالم لما تحويه من تكوينات صخرية ونوازل بلورية رائعة يصل طولها إلى ستة أمتار.

ووصف الجيولوجي التونسي غسان الشعري التكوينات الطبيعية التي يضمها الكهف قائلا "ما يميز مغارة عين الذهب هو النوازل البلورية. هذه النوازل فريدة بطولها الذي يصل إلى ستة أمتار وهي رقيقة جدا وتتكون بقطرة من ماء عبر عشرات الآلاف من السنين حتى تبلغ هذا الطول. هذه النوازل البلورية موجودة في مغارة عين الذهب بكثافة".

وتمثل العوائق الطبيعية في مغارة عين الذهب تحديا لهواة الاستكشاف والخبراء، حيث يحتاج الوصول إلى الغرفة الأخيرة في الكهف إلى السباحة والزحف والتسلق.

ويقول مهدي الطنوبي، خبير استكشاف الكهوف التونسي عن مغارة عين الذهب، "أحيانا تجدك تسبح وأحيانا تمشي وأحيانا أخرى تزحف. هذا ما يجعل مصاعب الاستغوار (الاستكشاف) داخل مغارة عين الذهب شيئا مميزا. ويجعل منها مغارة لها نفس وروح وقلب لتدافع عن نفسها. لكي يصل المستغور (المستكشف) إلى آخر قاعة فيها ويتحصل على هدية يستحقها بعد التعب، وهو رؤية جمال النوازل البلورية الأطول والأجمل في العالم".

وذكر محمد التيويري، رئيس جمعية التجوال والبيئة في تونس، أن خبراء الجيولوجيا التونسيين رشحوا عين الذهب للقب أجمل كهف في العالم.

وقال التيويري "نحن نرشح مغارة عين الذهب لكي تكون أجمل مغارة في العالم لما تحويه من مناظر طبيعية وبيئية خلابة. وقد زار عين الذهب خبراء وأعضاء من الجامعة الفرنسية للاستغوار".

ويأمل هواة الاستكشاف وخبراء الجيولوجيا في تونس في أن تدعم الحكومة أنشطتهم وتساعدهم على استكشاف ما يزيد عن 60 كهفا في الجبال الواقعة بشمال غرب البلاد.

القباب البيئية

أصبح الجبل على مدار العام الماضي، من عوامل الجذب السياحي لسبب آخر بخلاف عين الذهب ويتمثل هذا السبب في القباب البيئية التي شيّدت عند سفحه.

وتنتشر القباب البيضاء المزيّنة حول الجبل، حيث زينت غرف القباب بسجاد تقليدي تتولى نساء سليانة صنعه، وهو ما يخلق مزاجا ملونا وحيويا لدى كل زائر لهذه القباب.

وأوضحت بن عمر "تشتهر محافظة سليانة وخاصة جبل السرج بوجود مناظر طبيعية جميلة ولها العديد من المعالم السياحية العالمية التي ترحب بالزوار من جميع أنحاء العالم، وهذا ما دفعنا إلى إنشاء نظام سكني يسهم في تعزيز نشاط المنطقة سياحيا بيئيا".

> عين الذهب الممتدة في عمق جبل السرج تجتذب العديد من الزوار من جميع أنحاء العالم كل عام، وهي أحد أروع المناظر الطبيعية في أفريقيا والعالم

وأضافت أن "إحدى الطرق للحفاظ على الثروة الطبيعية للجبال والمنطقة تتأتى من خلق هذه البنى الإيكولوجية التي تساعد في حماية البيئة".

ويوفر الجبل مناظر طبيعية فاتنة ومسارات مشي غنية، في المقابل يواجه الزوار نقصا في الإيواء نظرا إلى افتقاد المنطقة لفنادق ونزل سياحية، لذلك عمل منظمو مشروع القباب البيئية على تعزيز الهياكل السياحة البيئية إدراكا منهم بأن هذه الثروة الطبيعية من الضروري حمايتها خصوصا إذا كان السكان المحليون والزوار يدركون بالفعل هذا الجانب وأيضا لتوعيتهم بأهمية اعتماد نهج بيئي للسياحة مستقبلا.

طبيعة تستهوي الزائرين

وقالت بن عمر إن "نظام السكن الأصلي هو ما يساعد على إنشاء هوية فريدة للمنطقة، نحن نريد الحفاظ على مدينة سليانة وأن نعرّف أكثر بجبل السرج كونه يمثل مقصدا سياحيا جبليا".

وتابعت "الجبل هو كنز طبيعي يجب حمايته ولا يمكن القيام بذلك دون تعزيز الوعي بضرورة حماية البيئة، ونحن نعمل على وجود المزيد من القباب حول الجبال، لذلك عندما يأتي الزوار فإنهم يتمتعون بقضاء ليلة في القبة ويصبحون على بيّنة بأهمية السياحة الجبلية في حماية البيئة".

وساعد بناء القباب البيئية الاقتصاد المحلي على خلق فرص عمل. وأوضحت بن عمر "عندما بدأنا المشروع عملنا على تعليم وتدريب الناس على تقنية بناء القباب الإيكولوجية"، مضيفة أنها "لا تتطلب الكثير من المال لكنها تمكن من خلق فرص عمل للناس في المنطقة بدلا من ترك قراهم للعثور على عمل في مكان آخر".

وتابعت "كان الهدف من هذه الفكرة هو استخدام مهارات أبناء المنطقة، فهم يعرفون الجبل أفضل من غيرهم، والقباب بمثابة نزل والناس يأتون خصيصا لرؤية واكتشاف هذا، كل الناس في نهاية الأسبوع يأتون للاستمتاع بالحياة في القباب، وهذا ما ساعد أيضا السكان في قرى سليانة المحيطة بالجبل على كسب لقمة عيشهم، إذ أن توجه السياح لزيارة القباب جعل الكثير من الناس يعملون على فتح المشاريع لتعزيز ذلك النشاط".

وتوفر القباب فرصا اقتصادية وتوازنا إيكولوجيا وتقدم لمحة عن التراث الثقافي للمحافظة لأن الغرف مزينة بطريقة تحاكي التقاليد المعمول بها في البيوت التقليدية في سليانة باستخدام السجاد المصنوع محليا والعناصر الحرفية الأخرى، بالإضافة إلى أن القباب البيئية تقدم وجبات تعكس تراث الطهي في المنطقة.

وأفادت بن عمر "نعمل مع النساء في القرى أساسا لتشجيعهن وتحفيزهن على العمل على سجادهن.. لديهن أنماط فريدة من نوعها واستخدام مواد خاصة في صنع كل من السجاد والفخار، كما أن جزءا من المشروع يكمن في عرض أعمالهن في القباب البيئية، وهن أيضا يقمن بإعداد وجبات تقليدية لخدمة الأشخاص الذين يقيمون في هذه القباب".

فنادق تحاكي طبيعة المكان الجبلية

انعكاس للتراث الثقافي بالمنطقة

الرحلات البحرية

أكبر موانئ الرحلات البحرية في العالم

❑ **فلوريدا (الولايات المتحدة)** – تحظى الرحلات البحرية حاليا بإقبال مكثف من السياح من جميع أنحاء العالم، وخاصة الخطوط الملاحية التي تنطلق من موانئ الولايات المتحدة الأميركية إلى منطقة البحر الكاريبي وبلدان أميركا الوسطى والجنوبية، ولذلك تتصدر ثلاثة موانئ في ولاية فلوريدا الأميركية قائمة أكبر موانئ الرحلات البحرية في العالم.

ميناء ميامي

تنطلق البواخر السياحية منذ أكثر من 50 عاما من ميناء ميامي الواقع جنوب ولاية فلوريدا، ويخدم أكثر من 5 ملايين سائح سنويا، وفي بعض الأيام تصطف أكثر من 6 سفن سياحية على أرصفة الميناء.

ولا تكفي صالات الميناء في ذروة الموسم السياحي لاستيعاب الجموع الغفيرة من السياح، ولذلك يتم إنشاء خيام بالخارج من أجل إتمام إجراءات المزيد من السياح، وعلى كل حال لا يسع ميناء ميامي أكثر من تسع بواخر سياحية.

ويوفر الميناء العديد من المزايا المريحة للسياح؛ لأنه يقع في المدينة مباشرة، حيث يمكن للحافلات أن تقل السياح من الميناء لزيارة المعالم السياحية دون الاضطرار إلى حجز الجولات مسبقا، ويمكن للسياح الوصول بسهولة إلى قطار ميترومومفر المجاني، الذي يتم التحكم فيه عن بُعد، من أجل زيارة المتاحف ومراكز التسوق والمعالم السياحية الأخرى.

ميناء ايفرجليدز

يوجد ميناء ايفرجليدز في مدينة فورت لاودردال، التي تقع على بعد 50 كلم فقط عن مدينة ميامي، وأوضحت المتحدثة الإعلامية إلين كينيدي أن هذا الميناء يخدم سياح 40 باخرة سياحية مختلفة تتبع 11 شركة ملاحية؛ حيث يتم تنظيم رحلات سياحية منتظمة إلى جامايكا، وتتوقف أثناء رحلتها في ميناء مقاطعة بروارد بولاية فلوريدا الأميركية.

ويعد ميناء ايفرجليدز الميناء الرئيسي لأكبر البواخر السياحية في العالم حاليا، وهي "هارموني أوف ذا سيز" و"ألور أوف ذا سيز"؛ حيث تم إنشاء الرصيف 18 لهذه البواخر خصيصا، ويشتمل على 90 مكتبا لتسجيل إجراءات الدخول لما يزيد عن 6000 سائح.

ميناء كانافيرال

ميناء كانافيرال هو الميناء الرئيسي لشركة ديزني للملاحة البحرية، ويوفر هذا الميناء للسياح أسرع طريق للوصول إلى مدينة أورلاندو التي تزخر بأعداد لا حصر لها من المتنزهات ومراكز التسوق، وتستغرق الرحلة حوالي 45 دقيقة من الميناء إلى مدينة أورلاندو، ولذلك يتخذها الكثير من السياح نقطة بداية ونهاية لرحلتهم السياحية في الولايات المتحدة الأميركية، ويخدم هذا الميناء البواخر السياحية وسفن الشحن العملاقة؛ حيث يوجد مركز كينيدي للفضاء على مقربة من هذا الميناء، ولذلك دائما يتم نقل الصواريخ عبر هذا الميناء.

ويمتد شاطئ سبيس كوست لمسافة 110 كلم ويعتبر أكبر شاطئ في ولاية فلوريدا الأميركية، ويطلق عليه عشاق ركوب الأمواج "معقل ركوب الأمواج على الساحل الشرقي"، وقد بدأ ميناء كانافيرال كميناء صيد صغير، ولكنه اليوم يعتبر من أكبر الموانئ في العالم.

الذكاء الاصطناعي يثري مستقبل الهواتف

ملامح جديدة في عالم الكاميرات وشحن البطاريات

بدأت تقنيات الذكاء الاصطناعي تندمج تدريجيا داخل الهواتف الذكية، وستكون بحسب توقعات الخبراء إحدى السمات الرئيسية في الأجهزة النقالة خلال السنوات القليلة القادمة، حيث تعمل الشركات التكنولوجية على دمج المزيد من الوظائف والمزايا القريبة من الإنسان في الهواتف المبتكرة مستقبلا.

❑ برشلونة (إسبانيا) – أصبحت تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي جزءا أساسيا في مستقبل الهواتف الذكية، حيث تتوقع مؤسسة الدراسات والأبحاث العالمية غارتنر أن تتمتع 80 بالمئة من الهواتف الذكية المشحونة بتقنيات ذكاء اصطناعي مدمجة بحلول العام 2022.

وتتوافر قدرات الذكاء الاصطناعي في الهواتف الذكية ذات المواصفات العالية فقط لضمان حماية أفضل للبيانات وتحكّم أكبر في الطاقة.

وحددت غارتنر الاستخدامات المؤثرة للغاية للهواتف الذكية المدعومة بتقنيات الذكاء الاصطناعي، لتمكين شركات التصنيع من توفير قيمة أكبر لزبائنها، منها التعرف على مشاعر المستخدم، وتحديد سلوكه وخصائصه الشخصية، إضافة إلى الكشف عن المحتوى الممنوع ومراقبته وتحليل الأصوات والتصوير الشخصي، وكل ما يتلخص في أن يكون الهاتف المعزز بالذكاء الاصطناعي صديقا للمستخدم.

ومع تحول سوق الهواتف الذكية من مجرد بيع المنتجات التقنية إلى تقديم تجارب استخدام مخصصة وأكثر إقناعا، ظهرت بعض الهواتف المدعومة بأجهزة وبرامج الذكاء الاصطناعي مثل هواتف "غوغل بيكسل" و"أبل آيفون" و"هواوي مايت"، فجميع هذه الهواتف تستخدم الذكاء الاصطناعي بطرق ماهرة في التصوير واستهلاك الطاقة والأمن والألعاب.

إل جي توسع المزايا والوظائف

أطلقت إل جي أول هاتف مزود بالذكاء الاصطناعي من فئة "ثينك" في المؤتمر العالمي للجوال الذي أقيم في برشلونة.

وطوّرت الشركة الجهاز الجديد بناء على منصة الهاتف الناجح "إل جي في 30" دمجت فيه التقنيات الجديدة للذكاء الاصطناعي، ليتضمن الجهاز الجديد مجموعة أوسع من المزايا والوظائف التي تلبي تماما احتياجات المستخدم اليوم وتلبي متطلباته وتتناغم مع سلوكه.

وانطلقت إل جي منذ أكثر من عام في تطوير حلول الذكاء الاصطناعي المتقدمة لتحسن المزايا والوظائف الأكثر استخداما في الهواتف الذكية، حيث ركزت على دمجها في وظائف الكاميرا والتعرف على الكلام، فكانت النتيجة تقديم كاميرا بمزايا أكثر ذكاء وأسهل استخداما بالاعتماد على رؤية الذكاء الاصطناعي وإمكانيات أوسع للتعرف على الأوامر المنطوقة عبر "صوت الذكاء الاصطناعي" في أحدث هواتف إل جي الذكية.

وتشمل رؤية الذكاء الاصطناعي ثلاث مزايا جديدة في الكاميرا الذكية، إيه آي كام "كاميرا الذكاء الاصطناعي" وكيولينز "عدسات كيو" وبرايت مود "الوضع الساطع"، حيث تعمل هذه المزايا على أتمتة عملية التقاط الصور بالهاتف الذكي وتحسينها للمبتدئين والمتمرسين في التصوير على حد سواء.

وتحلل كاميرا الذكاء الاصطناعي إيه آي كام المواضيع التي تراها في إطار الصورة وتوصي باختيار وضع التصوير الأمثل من ثمانية أوضاع هي، صورة شخصية بورتريه، أو حيوانات أليفة، أو مناظر طبيعية، أو مدينة، أو زهرة، أو شروق الشمس، أو غروب الشمس.

ويعزز كل وضع من المشهد المطلوب تصويره مع مراعاة عدة عوامل تشمل زاوية الرؤية والألوان والانعكاسات والإضاءة ومستوى التشبع.

وتستفيد ميزة كيولينز بدرجة أكبر من قدرات التعرف على الصور للذكاء الاصطناعي لمسح رموز الاستجابة السريعة "كيو آر" لتعزيز تجربة التسوق عبر الإنترنت، ويكفي التقاط صورة للشيء الذي تهتم به عبر كيولينز لتحصل على معلومات عن أماكن بيعه على الإنترنت بأقل سعر بالإضافة إلى نصائح بشراء بضائع مماثلة. ويكفي البحث عن الصور باستخدام كيولينز لرؤية الصور المطابقة أو المماثلة للأطعمة والأزياء والمشاهير أو معرفة معلومات مفصلة عن المعالم المشهورة من المباني والتماثيل.

أما الوضع الساطع "برايت مود" فهو مفيد في التصوير في حالات الإضاءة الخافتة، فبدلا من أن تقيس الكاميرا شدة الضوء المحيط فقط مثلما تفعل معظم كاميرات الهواتف الذكية اليوم، تعمل هذه الميزة على تطبيق خوارزميات لزيادة سطوع الصور ضعفين فتنتج صورا واضحة دون ضجيج لوني في ظروف الإضاءة الخافتة جدا.

وتتيح هذه الميزة استخدام الذكاء الاصطناعي في تشغيل التطبيقات وتغيير الإعدادات عبر الأوامر الصوتية وحدها، وهي تعمل بالتكامل مع مساعد غوغل، وتغني قدرات الذكاء الاصطناعي في هاتف إل جي للتعرف على مجموعة حصرية من الأوامر عن الحاجة إلى البحث في خيارات القائمات وتتيح اختيار الوظائف المطلوبة مباشرة.

هواتف قريبة من الإنسان

تواكب هواوي تطلعات المستخدمين لهاتف بمزايا أقرب إلى الإنسان من حيث السرعة ومرونة الأداء من خلال تضمين الذكاء الصناعي في هواتفها كالسرعة والطاقة والكاميرا، لتتمكن من التكيف مع ما يبحث عنه المستخدم، من ضبط إعداد الكاميرا تلقائيا إلى تحسين استهلاك البطارية.

وحققت هواتف "هواوي مايت 10" قفزة مع تضمين قدرات الذكاء الاصطناعي في الكاميرا ليصبح بمقدورها التعرف على المشاهد والأجسام وضبط الإعداد لصورة أكثر احترافية.

وطورت هواوي خاصية إدارة البطاريات لتمديد عمرها بواسطة الذكاء الاصطناعي على الرغم أن بطارية هاتف "مايت 10" و"مايت 10 برو" تتمتع بسعة شحن 4 آلاف ميلي أمبير وتقنية "سوبر تشارج" للشحن السريع. وزودت الشركة الصينية هاتفها الجديد هواوي "ميت 10 برو" بمعالج أقوى يدعم تقنية الذكاء الصناعي، كما استخدمت تصميما تشغل فيه الشاشة معظم الجهة الأمامية في الهاتف على غرار توجه كبار مُصنعي الهواتف الذكية مثل سامسونغ وأبل.

ويأتي "هواوي ميت 10 برو" بتصميم من الزجاج والذي تقول هواوي إنها استخدمت فيه تقنية جديدة لتسخينه إلى 700 درجة مئوية قبل تشكيله، وذلك لتوفر تصميما أنيقا وقويا يتحمل الصدمات.

ويحمل "هواوي ميت 10 برو" مستشعر بصمات أصابع دائريا أسفل عدستي الكاميرا على الجهة الخلفية للهاتف مع وجود شريط يبرز الكاميراتين الخلفيتين. وقالت هواوي إن انحناء الجهة الخلفية يسهل التحكم في الهاتف بيد واحدة.

ويدعم هاتف "هواوي ميت 10 برو" ميزة التعرف على الأشياء والمشاهد في الوقت الحقيقي ثم ضبط إعدادات الكاميرا بما في ذلك ضبط اللون والتباين، وهو ما يساعد المستخدم على التقاط صور أفضل وفقا لظروف الإضاءة المختلفة، هذا بالإضافة إلى دعم التقاط صور البورتريه وتطبيق تأثير "البوكيه" سواء من خلال الكاميراتين الأساسيتين أو الكاميرا الأمامية.

وتقول هواوي إن "ميت 10 برو" يدعم تقنية مبتكرة للتكبير الرقمي للصور اعتمادا على اكتشاف الحركة، كما يأتي الهاتف مزودا بكاميرا أمامية بدقة 8 ميغابكسل.

ويأتي دور الذكاء الاصطناعي في إطالة عمر البطارية من خلال تعلمه لسلوك المستخدم الذي ينقسم إلى مجموعات وهي الألعاب والأعمال والتقاط الصور، وتندرج تحت كل قسم سيناريوهات مختلفة. وبعد تحديد عادات المستخدم وفقا لهذه التصنيفات والمجموعات يتولى الهاتف إعداد خطة خاصة للحفاظ على الطاقة.

وقالت هواوي إن واحدة من أهم المزايا التي ستوفرها وحدة الذكاء الاصطناعي المدمجة في معالج "هواوي ميت 10 برو" هي الحد بشكل كبير من تدهور أداء الهاتف مع مرور الوقت، وهي المشكلة التي قالت الشركة إن معظم هواتف أندرويد تعاني منها، حيث يتعرف الهاتف على نمط الاستخدام ويبدأ في تخصيص الموارد وفقا لذلك مع التعلم والتنبؤ بسلوك المستخدم.

الكاميرا سيدة الهواتف

اعتمدت الشركة التايوانية آسوس على وظيفة الذكاء الاصطناعي في هواتفها الذكية "زانفون 5" و"زانفون5 زد" الجديدة، والتي قدمتها خلال مشاركتها في فعاليات المؤتمر العالمي للجوال بمدينة برشلونة الإسبانية.

وأوضحت الشركة أن هواتفها الذكية الجديدة تأتي مزودة بشاشة 6.2 بوصة وتتعرف كاميرا الهاتف الذكي على موضوع التصوير وتقوم بضبط الإعدادات تلقائيا أو اقتراح تأثيرات خاصة. وللحفاظ على حالة شحن البطارية تعمل إلكترونيات الشحن على مواءمة الشحن وفقا لعادات الاستعمال، فخلال النهار يتم تسريع عملية الشحن قدر المستطاع، ولكن خلال الليل يتم شحن البطارية بصورة أبطأ.

وحضرت شركة ميدياتك التايوانية مؤتمر برشلونة وكشفت عن معالج "هليو بي 60" الموجه للهواتف ذات المواصفات المتوسطة، وتم تصنيعه بدقة 12 نانومترا. كما يدعم الشبكات العصبية الاصطناعية، مما يعني قدرته على تشغيل ودعم تطبيقات الذكاء الاصطناعي، مثل التعرف على الوجه والأشياء المُكونة للصور، وتشغيل تطبيقات الواقع المُعزز.

> الهواتف تستخدم الذكاء الاصطناعي بطرق ماهرة في التصوير واستهلاك الطاقة والأمن والألعاب

ويحتوي المعالج الجديد على 8 نوى تعمل بتردد 2 غيغاهرتز. ويعتبر أسرع بنسبة 70 بالمئة مقارنة بالجيل السابق "بي 30". كما يدعم عرض الفيديو بدقة 1080 بكسل، وهو متوافق مع ذاكرة وصول عشوائي بحجم 8 غيغابايت، بالإضافة إلى دعم الكاميرا المزدوجة.

وبما أن معالج سنابدراغون 845 يستهدف الهواتف ذات المواصفات الرائدة، قررت شركة كوالكوم الإعلان عن معالج جديد أطلقت عليه اسم "سنابدراغون 700"، ويتميز هو الآخر بدعم الذكاء الاصطناعي. كما يعتبر أسرع مرتين مقارنة بمعالج "سنابدراغون 660".

وأشارت الشركة الأميركية إلى أن معالجها يوفر الطاقة بنسبة 30 بالمائة، مقارنة بالجيل السابق، كما يدعم خاصية الشحن السريع، حيث يمكن شحن 50 بالمئة من البطارية في ظرف 15 دقيقة فقط.

وتركز هواتف "آي فون إكس"، بالاعتماد على الذكاء الاصطناعي، على التصوير والصور المتحركة، بفضل احتوائها على رقاقة المحرك العصبي الذي يقوم بمعالجة وظائف معينة دون تبديد الطاقة وتنفيذ 600 مليار عملية في الثانية وتشغيل تطبيقات الذكاء الاصطناعي بسلاسة. هذا بالإضافة إلى تقنيتي "فيس آي دي" و"ترو ديبس" في الكاميرا الأمامية القادرة على تدشين خارطة ثلاثية الأبعاد لوجه المستخدم للتعرف على هويته، عند تشغيل الهاتف أو التحقق من التطبيقات والخدمات مثل أبل باي.

وتمكنت أبل بفضل معلومات خارطة الوجه ثلاثية الأبعاد من إنشاء ميزة "أنيموجي" أو شخصيات أفاتار المتحركة، التي تحاكي تعبيرات وأصوات الشخص كنوع من أنواع الفكاهة والمتعة التي يستطيع الذكاء الاصطناعي القيام بها.

وتخزن رقاقة المحرك العصبي الصور المتحركة لتسمح لـ"أنيموجي" بالتحرك في الوقت الحقيقي دون أي تأخير لتحاكي بذلك قدر الإمكان تعبير وجه المستخدم بشكل صحيح.

وبرنامج الذكاء الاصطناعي الموجود في هاتفي "بيكسل 2" و"بيكسل 2 إكس إل" قادر على الفهم، لكنه يُركز أكثر على الصور، فخاصية التصوير بوضعية بورتريه أحدثت نقلة نوعية في عالم التصوير الفوتوغرافي سواء في هواتف بيكسل أو هواتف أندرويد أوريو، حيث تركز على الجسم أو العنصر المراد تصويره مع تشويش للخلفية.

جديد التكنولوجيا

طابعة «سبوركيت بلاس» من إتش بي

❑ شركة إتش بي تعلن عن تعزيز مجموعتها الشهيرة من طابعات الصور "سبوركيت" في أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا بإطلاق طابعة الصور الجديدة "سبوركيت بلاس".

ويمكن لهذه الطابعة التي تتميز بحجمها الصغير طباعة صور أكبر بنسبة 30 بالمئة مقارنة بطابعة الصور الأصلية "سبروكر" من إتش بي، حيث يبلغ قياس الصور الصادرة منها 2.3 بوصة×3.4 بوصة "5.8 سم×8.6 سم".

سماعة بتقنية الاستماع المزدوج

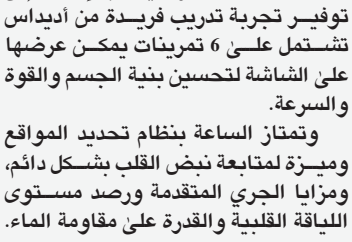

❑ سوني تكشف عن سماعتها "إكسبرايا إيير ديو" الجديدة بتقنية الاستماع المزدوج، فيتمكن المستخدم من سماع الموسيقى وتلقي الإخطارات أو الرسائل وفي الوقت نفسه يستمع إلى الأصوات أو المحادثات في البيئة المحيطة.

تستجيب السماعة أيضا لإيماءات الرأس، حيث يمكن الرد على المكالمات الواردة أو رفضها برفع الرأس أو تحريكه.

من فيت بيت وأديداس ساعة ذكية

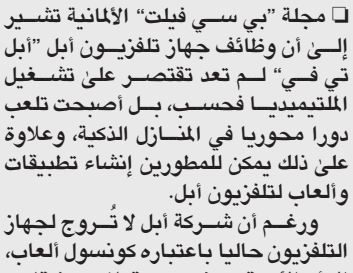

❑ شركة فيت بيت تتعاون مع شركة أديداس لإنتاج ساعة ذكية تستهدف الرياضيين وتُحسّن مستواهم أطلقت عليها اسم "فيت بيت إيونيك: أديداس إيديشن". وتتمتع الساعة بكافة المزايا المتقدمة للصحة واللياقة بالإضافة إلى توفير تجربة تدريب فريدة من أديداس تشتمل على 6 تمرينات يمكن عرضها على الشاشة لتحسين بنية الجسم والقوة والسرعة.

وتمتاز الساعة بنظام تحديد المواقع وميزة لمتابعة نبض القلب بشكل دائم، ومزايا الجري المتقدمة ورصد مستوى اللياقة القلبية والقدرة على مقاومة الماء.

تلفزيون أبل كجهاز ألعاب

❑ مجلة "بي سي فيلت" الألمانية تشير إلى أن وظائف جهاز تلفزيون أبل "أبل تي في" لم تعد تقتصر على تشغيل الملتيميديا فحسب، بل أصبحت تلعب دورا محوريا في المنازل الذكية، وعلاوة على ذلك يمكن للمطورين إنشاء تطبيقات وألعاب لتلفزيون أبل.

ورغم أن شركة أبل لا تُروج لجهاز التلفزيون حاليا باعتباره كونسول ألعاب، إلا أن الأمر قد يتغير مستقبلا، حيث قامت الشركة الأميركية بإضافة خصائص جديدة لشعار تلفزيون أبل في مكتب تسجيل براءات الاختراع.

كرة القدم تمارين شاملة تحفظ توازن القلب والعضلات

سرعة المراوحة بين الرياضات تشغل كل الألياف العضلية

كرة القدم لعبة حماسية وتنافسية، يستطيع من يمارسها أن يحقق فوائد نفسية وبدنية، في وقت وجيز. وتتميز هذه الرياضة بجمعها للكثير من الرياضات في الآن نفسه والتحول بينها بسرعة فائقة. وعلاوة على المكاسب البدنية، لعب كرة القدم يحسن المزاج ويخلص الجسم من السموم، عبر شدة التعرق ونسبة الأدرينالين المرتبطة بالتحمس للفوز.

كرة القدم تحسن لياقة جميع الفئات العمرية

❑ **لندن** – أفادت دراسة مبنية على أبحاث سابقة أن من يلعبون كرة القدم على سبيل الترفيه تقل لديهم نسبة الكوليسترول وضغط الدم ومعدل ضربات القلب وقت الاسترخاء بالإضافة إلى كتلة الدهون في الجسم، وذلك مقارنة بمن لا يمارسون الرياضة.

وكتب فريق الدراسة في دورية (سبورتس ميديسن) البريطانية أن كرة القدم قد تفيد الصحة بنفس القدر الناجم عن ممارسة رياضات أخرى مثل الركض ورقصة الزومبا، كما أن لها منافع اجتماعية وتحفيزية وتنافسية.

وقال كبير الباحثين في الدراسة بيتر كرستروب وهو أستاذ لعلوم الرياضات والصحة بجامعة سادرن دنمارك في أودنسا، في رسالة بالبريد الإلكتروني "ممارسة كرة القدم وقاية وعلاج فعال وشامل من الأمراض المرتبطة بنمط الحياة... بغض النظر عن العمر أو النوع أو مستوى اللياقة أو المهارة في اللعب".

ولإجراء الدراسة، فحص الباحثون بيانات تخص 31 دراسة نشرت في السابق بشأن تأثير رياضة كرة القدم على ضغط الدم ومعدل ضربات القلب وقت الاسترخاء وكتلة الدهون والتمثيل الغذائي والقدرة على القفز.

ووجد الباحثون أن لعب كرة القدم أفضل بكثير لضغط الدم مقارنة بعدم ممارسة الرياضة. كما وجدوا أن مقدار الفائدة أكبر بالنسبة إلى من عانوا ارتفاعا بسيطا في ضغط الدم أو من هم مرضى بالفعل بارتفاع بسيط في ضغط الدم.

وكان معدل ضربات القلب وقت الراحة لدى من يلعبون كرة القدم أبطأ بست نبضات في الدقيقة مقارنة بمن لا يمارسون الرياضة.

وتوصل الباحثون أيضا إلى أن كرة القدم لها منافع كبيرة في ما يتعلق بضغط الدم وكتلة الدهون في الجسم ومعدل ضربات القلب والكوليسترول "السيء" مقارنة بالركض وتمرين رقصة الزومبا المفيد للقلب.

علق الدكتور غاري أودنوفان، أخصائي المعالجة الرياضية على هذه النتائج قائلا "إنه خبر سارّ لكل محبي كرة القدم".

وشملت الدراسة الدنماركية 37 رجلاً، تتراوح أعمارهم بين 31 و33 عاماً، أخضعهم الخبراء إلى فحوصات دورية لمعرفة وضعيتهم الجسدية قبل وبعد حصص الهرولة أو مباريات كرة القدم، وذلك من خلال مراقبة عينات من الدم والأنسجة العضلية.

وتم تقسيم المجموعة إلى ثلاثة فرق، طلب من الأول ممارسة الهرولة ومن الثاني لعب كرة القدم، فيما طلب من الثالث الامتناع عن المشاركة في أي نشاط رياضي.

واستغرقت الدراسة 12 أسبوعا، كان يطلب خلالها من الذين تم اختيارهم لممارسة رياضة الهرولة أو خوض مباراة في كرة القدم، القيام بالنشاط لمدة ساعة ثلاث مرات أسبوعيا. واتضح بعد ذلك أن معدل الدهون تراجع في أجساد لاعبي كرة القدم بمعدل 3.7 في المئة وازدادت كتلتهم العضلية 2.041 كيلوغرام.

أما معدل الدهون في أجساد من مارس الهرولة فلم يتراجع أكثر من 2 في المئة فقط، فيما لم تظهر كتلتهم العضلية أي تغيير.

ولم تظهر عينات الفريق الثالث الذي حرم من ممارسة الرياضة سوى تغيير طفيف.

وقال الأطباء الذين أشرفوا على الدراسة إن قلوب لاعبي كرة القدم حظيت بتمرين ممتاز، إذ وصل معدل ضخ عضلة القلب من الدماء لدى بعض اللاعبين إلى 90 في المئة من السعة الكاملة، وهو أمر لم يتحقق لدى من مارسوا الهرولة.

وأضافوا أن ممارسة كرة القدم تجعل اللاعب ينسى آلامه بشكل كلي ويركز على تسجيل الأهداف ومساعدة عناصر الفريق، فيما تضع ممارسة الهرولة الرياضي وجها لوجه مع الأوجاع العضلية.

وكان فريق آخر ضم باحثين من جامعة كوبنغهاغن قد تابع فريق كرة قدم من 14 رجلاً أعمارهم ما بين 20 و40 سنة لثلاثة أشهر، حيث أجريت عليهم اختبارات مثل معدّلات اللياقة والكتلة الكلية للعضلات ونسبة الدهون وضغط الدم والحساسية والتوازن للأنسولين.

ووجد الباحثون أن تمارين كرة القدم الممارسة لحوالي ساعة واحدة في كل دورة ولمدة تتراوح ما بين أسبوعين و3 أسابيع أنتجت فوائد صحية وتدريبية عظيمة. يقول الباحث المشارك في الدراسة، بيتر كرستروب، إن نسبة الدهون انخفضت وزادت الكتلة الكلية للعضلات وقلت معدّلات ضغط الدم وتحسنت مُستويات اللياقة البدنية بشكل معنوي.

يعتبر الركض لمسافات طويلة وبسرعة معتدلة جيّدا صحيًا، ولكن النتائج بينت أن تدريبات كرة القدم أفضل بعدة طرق. وكان التحسُّن في مُعدّلات اللياقة البدنية والزيادة في الكتلة الكلية للعضلات أكبر لدى فريق كرة القدم وخلال تجربة الثمانية أسابيع الأخيرة.

يعتبر علماء الرياضة أن التحولات ما بين المشي والركض والعدو السريع تكسب لاعبي فريق كرة القدم تحسُّنا في الصحة أكثر.

ويُضيف كرستروب "هذا هو السر، كرة القدم هي تمارين شاملة لأنها تحافظ على ارتفاع ضربات القلب ولها عدّة أفعال ذات كثافة مرتفعة. عندما نمارس العدو السريع والقفز ومجابهة الخصم، فإننا نستخدم كل الألياف العضلية في عضلاتنا. ولكن عندما نهرول بخطوات متوسطة، فإننا نستخدم فقط ألياف العضلات البطيئة". ويجد لاعبو الهرولة أن التمارين صعبة عليهم من لاعبي كرة القدم. ويرجع السبب إلى أن المهرولين عندما يهرولون، يركزون على أنفسهم أكثر. ولكن عندما نمارس كرة قدم، نبعد الأفكار جانباً، وينغمس اللاعبون في اللعبة ولا يلاحظون خفقان قلوبهم.

أظهرت الدراسات أن التدريب لكرة القدم لمدة تتراوح من 2 إلى 3 ساعات في الأسبوع يمكن أن يسبب فوائد وتحسينات كبيرة في مجالات الصحة واللياقة البدنية والقوة والتحمل، بغض النظر عن جنس المتدرب أو سنه أو قلة خبرته في التمرّن على هذه الرياضة.

وفيما يلي بعض الفوائد التي تقدمها كرة قدم:

● قوة العضلات: تعتمد كرة القدم على القيام بجملة من الرياضات المختلفة في سرعات متفاوتة. هذه الرياضات تشمل المشي والهرولة والقفز والركض والمشي السريع إلى الوراء وعلى الجانبين. وتغيير الحركات السريع يدرب العضلات ويخلصها من التشنج والشد. تساعدُ كذلك على تقوية العضلات، خصوصاً في مَنطقتي: الأرداف، والأفخاذ؛ لأنّ رياضة كرة القدم تركّز على هذه العضلات عندَ الحركة، ودَفع الكرة.

● صحة القلب والأوعية الدموية: التحولات المستمرة بين المشي والركض تساعد القلب على العمل بكفاءة أكبر خلال التمارين وأثناء الراحة. أظهرت دراسة بحثية سابقة أن الجهد الذي يبذل لممارسة هذه الرياضة، يزيد من امتصاص الأكسيجين ويخفض معدل ضربات القلب، حتى خلال فترة الراحة. لعب كرة القدم بانتظام يمكن أن يقلل من خطر أمراض القلب والسكتة الدماغية. الركض لفترة طويلة يحسن من معدل ضخ الدم إلى القلب، مما يزيد من قوة القلب، ويقلل من احتمالية تصلب الشرايين، ويحفظ معدل ضربات القلب.

● قوة العظام: القفز والركض المستمران يعززان قوة العظام. وقد أظهرت الدراسات أن الأشخاص الذين يشاركون في الرياضات مثل لعب كرة القدم يتمتعون بعظام قوية ومتوازنة. تُساعد ممارسة كرة القدم لفترات طويلة على تقليل الإصابة بهشاشة العظام وتَكَسُّرها. تُشير الدّراسات إلى أنّ مَن كانوا يلعبونَ رياضَة كُرَة القَدم قَبل مرحلة البلوغ يتمتّعونَ بعظام أكثفَ وأثقل في مَنطقَة الأرجل والعمودِ الفَقَريّ. وتزيد قوّة إطارَ الهيكل العظميّ، وتجعل العظام قويّة إلى حدّ كبير.

● فقدان الوزن: طول الفترة التي تتم فيها ممارسة رياضة كرة القدم تسرّع عملية حرق الدهون وتحوّلها إلى طاقة.

● تحسين التنسيق وخفة الحركة والتوازن: اللعب بكرة القدم يشمل الحركات المعقدة مثل التعامل مع الكرة وتغيير الاتجاه بسرعة والتمرير. هذا التباين في معدلات السرعة يحسن التوازن ويجعل الجسم أكثر مرونة.

● تخفيض ضغط الدم ومستويات السكري: تعمل ممارسة كرة القدم على توازن نسبة السكر في الدم لدى مرضى السكري. كما أثبتت الدراسات أن ممارسة كرة القدم مرتين في الأسبوع يخفض من ضغط الدم ويحسن من وظائف القلب.

● تعزيز المهارات الاجتماعية: كرة القدم لعبة جماعية تحث على المشاركة والتفاعل مع الغير، وتساعد على إهمال الأنانية أثناء اللعب وتجعل المتدرب شخصا متعاونا مع أصدقائه، لأن ذلك يجعله أكثر قدرة على التواصل مع الآخرين.

● تحسين المزاج: الركض خلال المباراة يساعد على ضخ الدم إلى المخ، مما يجعل الإنسان يشعر بالسعادة وتحسن الحالة المزاجية.

> معدل ضربات القلب وقت الراحة لدى من يلعبون كرة القدم أبطأ بـ6 نبضات في الدقيقة مقارنة بمن لا يتدربون

أظهرت دراسة سويدية أن لاعبي كرة القدم المتفوقين هم أفضل حالا في العديد من الأنشطة الأخرى مثل تمتعهم بمهارات استخدام وتحليل المعلومات من الرؤية المحيطية بالإضافة إلى تقييم الاحتمالات. وأرجعت الدراسة هذه النتائج إلى قيام لاعبي كرة القدم بعمليات ذهنية معقدة دائما مثل تقييم الموقف أثناء المباراة ومقارنة الخطوات الممكنة بنتائج تجارب سابقة والبحث عن بدائل جديدة في وقت قصير، مما يعزز القدرات العقلية لديهم. واعتمدت الدراسة على 57 رياضياً و26 رياضية من أبرز ثلاثة فرق لكرة القدم في السويد، وأجريت عليهم اختبارات ذهنية أظهرت أن أفضل اللاعبين على أرض الملعب حققوا أعلى الدرجات في هذا الاختبار، مقارنة بسائر اللاعبين وبالكثير من الناس العاديين. وأشارت الدراسة إلى أن كرة القدم لا تحسّن القدرات الذهنية فحسب، بل تدل أيضا على أن نجوم اللعبة يتمتعون بقدرات عقلية خاصة منذ ولادتهم.

الأنغام تخفف الآلام أثناء ممارسة التمارين الرياضية

❑ **برلين** – كشفت دراسة حديثة أن الموسيقى تخفف من الشعور بالألم، خاصة خلال ممارسة التمارين الرياضية.

ووضع علماء من ألمانيا منظومة "جيمين" الموسيقية الرياضية، التي تبعث نغمات موسيقية مختلفة تتناسب وحركة الرياضي خلال قيامه بتمارين اللياقة البدنية، حيث يبدو الأمر وكأن المتدرب يشحن شخصيا موسيقى ترافق حركاته الشخصية.

وقد اكتشف علماء معهد ماكس بلانك للعلوم المعرفية والعصبية في مدينة لايبزغ، أن هذه الطريقة في تنفيذ تمارين اللياقة البدنية تخفض من حدة الشعور بالألم، حيث أن الشعور بالألم قد انخفض بعد 10 دقائق من التدريب بنسبة 10 بالمئة، وعند بعضهم بلغت هذه النسبة 50 بالمئة.

يذكر أن دراسات سابقة قد خلصت إلى أن الموسيقى تحدّ كثيرا من الألم والقلق.

يقول توم ستافورد في مقاله المنشور على "بي بي سي فيوتشر"، إن التريّض على أنغام الموسيقى يساعد في تقليل الجهد المبذول، ويزيد من قوة التحمل وأوضح أن هذه العملية تتم "في عقولنا، وليس في عضلاتنا".

ويبدو أن ذلك الأثر أكثر وضوحا في التدريبات الرياضية التي يؤديها الشخص بمفرده، مثل الركض أو التجديف، وليس من خلال المشاركة مع الفرق الرياضية.

يشير كوستاس كاراغوريس، الاختصاصي في علم النفس بجامعة برونيل، إلى أنه "عندما تمارس الرياضة بسرعة معتدلة، يمكن للموسيقى أن تقلّل من تفكيرك في مدى صعوبة ما تقوم به. ما يجعل تالياً الجهد أكبر ومضاعفًا والأداء أفضل. فسماع الموسيقى يطلق عمل خلايا في الدماغ تتعامل مع الذاكرة طويلة الأمد الخاصة بك، ما يلهمك ويساعدك على تحقيق ما تصبو إليه.

ولكن يجب الانتباه إلى أنه عندما تصبح في حال من التعب المضني، ولا تستطيع إجراء محادثة ويرتفع معدل ضربات القلب، لا يمكن للموسيقى أن تساعدك في ممارسة الرياضة بشكل أفضل، بل يقتصر دورها على الحدّ من الألم وتحفيزك على الاستمرار".

> من الأفضل الاستماع إلى الموسيقى المتناسقة والبسيطة التي تساعد على تقليل معدل ضربات القلب والاسترخاء

كما يمكن للموسيقى أن توفر لك الراحة جسدياً وعقلياً، إذ يوصي الدكتور كاراغوريس "بالاستماع إلى الموسيقى المتناسقة والبسيطة التي تساعد على تقليل معدل ضربات القلب والاسترخاء.

ولكن في بعض الأحيان، يُفضَّل تجنب استخدام سماعات الرأس عند ممارسة الرياضة، خصوصاً خلال دورات الفترات التدريبية المكثفة، إذ تصبح الأذن أكثر حساسية، حيث يقل تدفق الدم ما يؤدي إلى شلل جزء من الأذن الداخلية، ويجعلها تالياً أكثر عرضة للضرر".

يوصي كاراغوريس بالحد من معدَّل الصوت، بحيث يمكنك سماع دردشة الأشخاص من حولك. ويقترح بأن تكون جلسة تمرين واحدة من ثلاث جلسات من دون موسيقى، ليس فقط لحماية سمعك بل لئلا تنسجم كثيراً مع الصوت وتنسى ما تقوم به وتخطئ في أيّ حركة رياضية ما يؤثر في أوتار الركبة مثلاً.

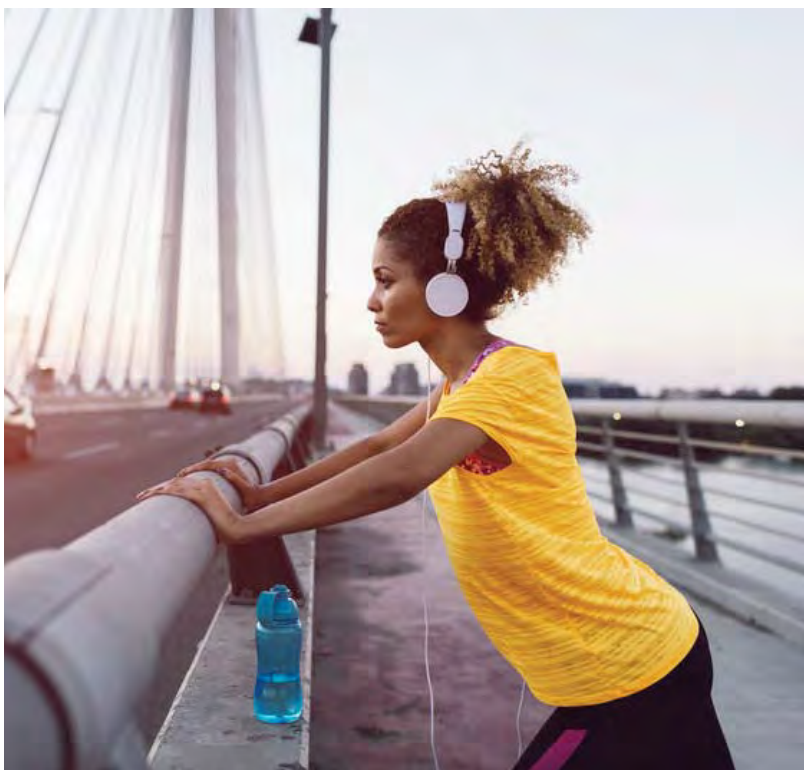

تأثير الموسيقى يكون أقوى في حال التدرب بشكل فردي

الشباب التونسي يخلق مفاهيمه الحياتية بعيدا عن خيبات السياسة

جيل جديد لا يعول على النخبة السياسية في تغيير واقعه الصعب

تتجه غالبية الشباب التونسي إلى هجرة الحياة السياسية، واستبدالها بأنماط الحياة الأخرى القائمة على الترفيه والتسلية بما يعرف بـ"فرحة الحياة"، ورغم أن الكثيرين لا يعتبرون أن هذا المفهوم يتعارض مع المشاركة السياسية، إلا أن انعدام الثقة في الأحزاب جعل هذا البديل يبدو أكثر راحة.

❑ **تونس** – حملت التغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدتها تونس في السنوات الأخيرة شعورا وتفاؤلا في الأوساط كافة، بأن الشباب في طريقهم إلى انفتاح كامل على الحياة السياسية، إلا أن الواقع يخالف تماما هذا الاعتقاد، وأصبح مصطلح "فرحة الحياة" بديلا للشباب عن السياسة وهمومها.

ويعتبر الكثيرون الإقبال على مظاهر "فرحة الحياة" أمرا طبيعيا في مجتمع أنهكه إحباط سبع سنوات، وتكفي جولة في تونس العاصمة وفي مدينة سوسة والحمامات السياحيتين لملاحظة أن الشباب يقاومون في ما يشبه التحدي لأزمة البلاد السياسية.

وتوارث التونسيون مفهوم "فرحة الحياة" الذي زرعه الرئيس الأسبق الحبيب بورقيبة خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي ليتحول إلى نوع من الثقافة تتوارثها الأجيال.

ويذهب أخصائيون اجتماعيون، إلى أن الذاكرة الجماعية استنبطت فرحة الحياة لتقاوم بها أي شكل من أشكال الضغوط الاجتماعية والاقتصادية. ويقول ماهر دبيش، الأخصائي في العلوم الاجتماعية"، إن "الجيل الجديد من الشباب نهل من ثقافة حديثة ترافقت مع انفتاح المجتمع سواء من خلال الفضائيات أو من خلال الإنترنت"، ملاحظا أنه "لا يمكن مقارنة هذا الجيل مع غيره من الأجيال". ويضيف دبيش "أنجزت دراسة عن هذا الجيل واكتشفت أن الإقبال على الحياة يتصدر اهتمام الشبان والفتيات". وشملت دراسة دبيش 2700 عيّنة موزعين على مختلف أنحاء البلاد وينحدرون من فئات اجتماعية مختلفة، ووجد أن مسألة الاستمتاع بالحياة الخاصة تتصدر قائمة الاهتمامات بنسبة 75 بالمئة.

انفتاح المجتمع يعزز الاستمتاع

وتأخذ مسألة الاستمتاع بالحياة عدة مظاهر منها الأناقة والسياحة والتنزه وارتياد المقاهي والفنادق والمطاعم الفاخرة والملاهي الليلية. وفي مجتمع منفتح بغالبيته، يحظى الشباب التونسي بحرية تكاد تكون مطلقة من قبل الأولياء، حيث قال 67 بالمئة إنهم لا يواجهون أي صعوبة من قبل أوليائهم وإنهم على علم مسبق كلما قرروا قضاء السهرة في ملهى ليلي.

وتأخذ الإنترنت مساحة واسعة من اهتمام الشباب ووقتهم، حيث قال 63 بالمئة إن استخدام الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي يتجاوز 5 ساعات يوميا. وتقول رانيا سويح، وهي طالبة بكلية الطب، "إن الحياة لا معنى لها إذا لم نستمتع بها، فتونس تختلف عن المجتمعات العربية الأخرى. نحن قريبون ثقافيا من أوروبا حيث تعتبر فرحة الحياة أمرا مقدسا". وتضيف الطالبة ذات العشرين عاما "حالما أنهي عملي أتوجه مع الأصدقاء إلى أحد الأماكن المعروفة للسهر، في العاصمة أو المناطق السياحية القريبة مثل الحمامات". ويرى دبيش أن "ظاهرة إقبال الشباب على الحياة في تونس تتغذى من انفتاح المجتمع وهي تستبطن نوعا من تحدي منظومة الثقافة الاجتماعية التقليدية التي لا ترى في الحياة سوى جسرا إلى حياة أخرى بالمعنى الديني".

وقاد الإقبال على الحياة إلى تأخر سن الزواج، إذ يؤكد الخبراء أن معدل سن الزاج بالنسبة إلى الشبان هو في حدود 35 سنة أما بالنسبة للفتيات فهو في حدود 27 سنة. ويشدد دبيش على أن "مفهوم فرحة الحياة أصبحت بالنسبة إلى الشباب نقيض ثقافة صناعة الموت" التي يتبناها الجهاديون. ويضيف أن نتائج الدراسة التي أعدها توصلت إلى أن 77 بالمئة من الجيل الجديد لا يرى في السياسة سوى وقت ضائع، غير أن عدم الاهتمام بالشأن العام وبالنشاط السياسي لا ينفي الحس الوطني ولا القومي لدى هذا الجيل، إذ يؤكد أن 56 بالمئة يعتبرون أنفسهم وطنيين ومتأملون لأوضاع بلادهم وأوضاع المنطقة العربية عموما.

انعدام الأمل بالتغيير

وهذا التوجه نحو مفهوم "فرحة الحياة" يخفي إحباطا من الواقع السياسي في البلاد، الذي وصل إلى حالة اليأس وانعدام الأمل في التغيير، في وقت يشكو فيه السياسيون من عزوف الشباب عن الانتخابات التي باتت على الأبواب، فيقول المصور الفوتوغرافي خليل الشيخاوي، "لا أعلق آمالا على الانتخابات في البلاد ولا أسعى بأي شكل من الأشكال إلى المشاركة يوما في الحياة السياسية". ويضيف "منذ الثورة وإلى اليوم لا أرى أي وعود أطلقها السياسيون على اختلاف توجهاتهم قد طبقت، لذلك استبعد الانتماء إلى أي حزب من قريب أو بعيد، لأن السياسيين قبل الانتخاب يعملون جاهدين على كسب أصواتنا وبعد الحصول عليها يتنكرون لنا ولا يلتفتون إلينا".

ويتابع "الآمال تكاد تكون منعدمة ولا أجد ما هو مشجع، وأجد ضالتي في المواقع الاجتماعية التي تلهيني عن المشاغل السياسية". وتعتبر فئة الشباب بين 18 و40 سنة الأبرز بنسبة 60 بالمئة من كتلة الناخبين التونسيين.

وأوضح استطلاع للرأي أجرته منظمة "أنا يقظ" العام الماضي، أن 69 بالمئة من الشباب أعربوا عن عدم ثقتهم في الأحزاب السياسية، وعن عدم نيتهم المشاركة في الانتخابات البلدية المقبلة. وتعتبر مسألة عزوف الشباب عن الحياة السياسيّة، وطنيّة مصيريّة، بحسب ما يقول المختصون السياسيون والاجتماعيون، لأن الحياة السياسية من دون شباب، هي عبارة عن حلقة مفرغة يتصارع فيها أصحاب القوّة والسلطة والمال. وأدى اتساع الهوة بين خطاب السّياسيّين وممارساتهم إلى خيبة أمل قاسية للشباب التونسي، فانسحبوا من الحياة السياسية وهو ما ترجمته الانتخابات الرئاسيّة لعام 2014، ودخلوا في حالة قطيعة مع الشأن العام والاهتمام بمستقبل تونس، ويتكرر هذا الآن عشية الانتخابات البلدية المقررة في شهر مايو القادم. وتقول مريم بالحاج عيسى، موظفة في مركز ثقافي، لا أعلق آمالا على المسار السياسي ولا أنوي المشاركة في الانتخابات القادمة، لأنني أصبت بالإحباط من السياسيين ولم أعد أرغب في المشاركة في الحياة السياسية، لطالما وعدونا بالتغيير ولم نر شيئا من وعودهم".

ولا ترى الموظفة العشرينية أن ممارسة السياسة تتعارض مع الاستمتاع بالحياة، إذ أن مشكلة الشباب عموما هي عدم الثقة في السياسيين، وانعدام الأمل بالتغيير، فأصبحوا يتوجهون إلى مواقع التواصل الاجتماعي باعتبارها مساحة حرة للتعبير على الرأي. وتضيف أن "الانسحاب من الحياة السياسية يعتبر استسلاما للواقع. لندع الحياة تستمر كيفما شاء لنا القدر". وتكشف الانتخابات البلدية المقبلة حجم الأحزاب والقوى والشخصيات السياسية التونسية وتأثيرها، وحضور أحزاب المعارضة في مجلس النواب وفي الإعلام ومدى تطابق تأثيرها الإعلامي مع حضورها الشعبي، لذلك تحمل مشاركة الشباب في هذه الانتخابات أهمية كبيرة بالنسبة إليها وقد يؤدي عزوف الشباب عن المشاركة فيها إلى توجيه ضربة قاصمة للحياة السياسية، وهو الأمر المرجح وفق استطلاعات الرأي والتقارير العديدة التي يتم تداولها في كافة وسائل الإعلام المحلية والدولية.

وجه آخر للحياة أكثر متعة من السياسة

انسحاب من السياسة

وتقول أمل جدعاوي مدرسة لغة إنكليزية، "كنت أحد أعضاء حزب سياسي معروف، لكنني الآن انسحبت منه لأن ثقتي في الأحزاب السياسية تراجعت بشكل كبير، نظرا لعدم التزامها بوعودها للشباب". وتضيف "على المدى القصير، أستبعد أن تساهم الانتخابات في تغيير وتحسين المسار السّياسي، حيث أنّ أغلب النّاخبين لا ينتخبون اعتمادا على فرز عقلاني وواع بالبرامج التي ستقدم لهم وإنما تحكمهم العواطف وأواصر القربى والانتماء المناطقي، كما أنّ أغلب الأحزاب ليست لها الإمكانيات المادية والبشرية لتغيير الواقع السياسي". وتابعت، "وجدت متنفسي الحقيقي في مواقع التواصل الاجتماعي، هروبا من واقع الأحزاب السياسية الكاذبة، فهي وسيلة تعبير يعتمدها الأفراد والمنظمات السّياسية والاجتماعية ويمكن أن تساهم في تكوين رأي عام حول قضايا معيّنة". وتنوه، "رغم أن هذه المنابر لا يمكن أن تعوّض الأحزاب السياسية التي هي تنظيمات لها قوانين أساسية ونظم داخلية وبرامج محدّدة تجمع حولها الأعضاء ويسعون إلى التّعريف بها للوصول إلى السلطة، إلا أن الأغلبية تفضل مواقع التّواصل الاجتماعي بسبب عدم الاعتياد على الانتماء إلى الأحزاب السياسية إضافة إلى مساحة الحرية والقدرة على إخفاء الهويّة في المواقع الافتراضية".

ولدى جدعاوي وجهة نظر أخرى حول نقاط التقاطع بين الاستمتاع بالحياة والحياة السياسية، وترى أن السياسة تؤثر سلبا على قدرة الفرد على الاستمتاع بالحياة سواء بالنسبة للسياسي الذي يعيش تحت ضغط كبير من تطلعات المواطنين، إضافة إلى الخوف من التهديدات، أو بالنسبة إلى المواطن الذي تنتابه حالة من الإحباط عند متابعة الشأن العام مما يجعل الاستمتاع بالحياة أمرا صعب المنال".

ونوهت إلى أن "الشباب يعزفون عن السياسة بسبب تكريس سياسة الحزب الواحد على مدى سنوات إضافة إلى فقدان الثقة في الأحزاب السياسية. فيلتجأ الكثيرون إلى المجتمع المدني".

شارك في إعداد التقرير: منور مليتي

النمط الاستهلاكي ينتشر لدى الشباب

❑ **تونس** – تشير استطلاعات الرأي إلى اهتمام الشباب المتزايد في تونس بالنمط الاستهلاكي، ومن ضمنها المظاهر العامة، حيث كشف بحث حول أنماط استهلاك الشباب، وتناول الشريحة العمرية بين 18 و35 سنة، أن 84 بالمئة من الشباب يولون أهمية كبرى للمظهر الخارجي.

وقال البحث الذي أعده المعهد الوطني للاستهلاك مؤخرا، وشمل عينة تتكون من 2023 من الشباب موزعين على كامل أنحاء البلاد، أن الشريحة التي تعمل تعتبر أن معدل الدخل الشهري الذي يمكنها من مجابهة المصاريف اليومية بأريحية يقدر بحوالي 1400 دينار (560 دولارا) مع معدل إنفاق سنوي على اللباس يصل إلى 838 دينارا (335 دولارا).

وأفاد المدير العام للمعهد الوطني للاستهلاك طارق بن جازية، بوجود نقص ملحوظ في الدراسات والبحوث المتعلقة باستهلاك الشباب خاصة الشريحة العمرية بين 18 و35 سنة. وأشار إلى أن الدراسات المنجزة حول الشباب طالما ركزت على المسائل المتصلة بالمشاركة في الحياة السياسية والانتخابات والشأن العام أو استهلاك المخدرات والتدخين دون التطرق إلى هذه الفئة الشبابية كعنصر اقتصادي فاعل وعلاقته بالثقافة أو الرياضة والترفيه والمظهر الخارجي. واستند البحث، الذي شمل شريحة لا تزال في مرحلة الدراسة وتحتاج إلى مساعدة مالية وشريحة تعمل ولها استقلالية مالية، على جملة من المحاور تتصل بعلاقة الشباب بالتغذية ووسائل الاتصال الحديثة والثقافة والترفيه والرياضة إلى جانب علاقته بالمظهر الخارجي.

وأضاف أن هذه الشريحة العمرية تعرف تغيرا كبيرا في نمط استهلاكها، معبرا عن تفاجئه من ضعف الإقبال على الأنشطة الثقافية والترفيهية مقابل الاهتمام بالمظهر الخارجي، وحتى مستويات الإنفاق كبيرة في هذا الباب سواء التجميل أو اللباس.

وفي علاقة الشباب مع وسائل الاتصال الحديثة، أظهر البحث أن 69.7 بالمئة من المستجوبين يستعملون هواتف ذكية وحوالي 48 بالمئة لديهم حاسوب محمول وأن 85 بالمئة لديهم حساب على فيسبوك و14.6 بالمئة لديهم حساب على تويتر و44.6 بالمئة على إنستغرام.

مريم بالحاج عيسى:
لا أعلق آمالا على المسار السياسي ولا أنوي المشاركة في الانتخابات

خليل الشيخاوي:
السياسيون قبل الانتخاب يعملون على كسب أصواتنا ثم يتنكرون لنا

أمل جدعاوي:
وجدت متنفسي الحقيقي في مواقع التواصل الاجتماعي

أعداء المرأة يطاردونها في العالم الافتراضي

ذكور وإناث يحضون على كراهية النساء على الإنترنت

عنف ذكوري مدعوم بتواطؤ أنثوي يلاحق النساء في العالمين الواقعي والافتراضي، ويحض على كراهة جنسهن، فيما تظل المنظومات القانونية والقضائية والمجتمعية عاجزة عن توفير الحماية اللازمة لهن.

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

❏ انتقلت أفعال الأمر والنهي والتهديد والابتزاز والوصم بالعار من الواقع إلى العالم الافتراضي، لتلاحق المرأة وتضيق عليها مساحة التعبير عن رأيها وتمارس ضدها أشكالا جديدة من العنف والتحرش الجنسي.

ويمكن أن تعكس مشكلة الاعتداءات التي تتعرض لها النساء على الإنترنت، الطابع الذكوري المهيمن على العالمين الواقعي والافتراضي، غير أن المرأة نفسها قد تكون في بعض الأحيان عدوة جنسها، وعوض أن تكتفي بدور الضحية، تتحول إلى جانية، وتمارس بدورها سلوكيات الشتم والتخويف والترهيب أو التنمر ضد بنات جنسها على أرض الواقع وفي الفضاءات الإلكترونية.

وبينت دراسة أجرتها شركة باندووتش لمراقبة وسائل الإعلام بعد تحليلها لأكثر من 19 مليون تغريدة لمدة 4 سنوات، أن 3 ملايين تغريدة تحتوي على شتائم موجهة للنساء، ولكن أغرب ما كشفت عنه الدراسة أن المستخدمين الذين نشروا شتائم وألفاظا نابية موجهة إلى النساء هم من النساء أيضا.

ورغم عدم وجود إحصائيات دقيقة حول حجم الظاهرة ونوعية المخاطر التي يمكن أن تواجهها المرأة على الإنترنت، إلا أن بعض الأبحاث أشارت إلى عدد لا حصر له من مصادر الضغوط والتهديدات والإساءات التي تتعرض لها النساء مقارنة بالرجال، والتي يكون الذكور مسؤولين عنها على الأرجح.

وكشفت منظمة العفو الدولية في أحدث إحصائياتها أن ما يقرب من ربع نساء العالم تعرضن للإيذاء عبر شبكة الإنترنت، وكثير منهن شعرن بالتهديد.

وشددت أزمينا دروديا، الباحثة في منظمة العفو الدولية بمجال التكنولوجيا وحقوق الإنسان، على أن الإنترنت يمكن أن يكون مكانا مخيفا وساما بالنسبة للنساء.

واعتبرت دروديا أن الاعتداء على الإنترنت له خطورة خاصة لأن تغريدة واحدة مسيئة بإمكانها أن تصبح وابلا من الكراهية المستهدفة في غضون دقائق.

وفي بعض المجتمعات الذكورية التي لم تتحرر فيها المرأة بالكامل من النظرة الدونية للأنثى، ولم تتجاوز بعد الحدود المرسومة للقالب الذي أعده المجتمع لـ"المرأة العفيفة والشريفة"، تتكتم الغالبية العظمى من النساء اللاتي وقعن ضحايا للابتزاز الجنسي الإلكتروني ويعانين في صمت، خوفا من إلحاق "العار" بأسرهن.

وبين تحقيق أجرته هيئة الإذاعة البريطانية 'بي بي سي' أن الآلاف من النساء في المجتمعات المحافظة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط وجنوب آسيا، يتعرضن للتهديد والابتزاز والوصم بالعار بسبب صور خاصة شخصية أو صور جنسية، ومعظم هذه القضايا لا يُبلغ عنها لذا لا توجد إحصائيات دقيقة حولها، ولا سيما أن القوى ذاتها التي تضمن جعل المرأة عرضة للعار، تضمن أيضا بقاءها صامتة.

رسائل مزعجة

لم تخف الصحافية التونسية هاجر العيادي تلقيها لرسائل مزعجة، وتعمد البعض من رواد موقع فيسبوك المجهولين نشر محتويات وفيديوهات مخلة بالحياء على صفحتها الخاصة بفيسبوك.

وقالت العيادي لـ"العرب"، "بقدر ما كانت مواقع التواصل الاجتماعي من الوسائل الجيدة للتواصل والتعارف بين الناس ولتبادل المعلومات وللتنفيس عما بداخلهم، بقدر ما سببت للكثيرين موجة لا تنتهي من التوتر والضغوط والإساءات بمختلف أنواعها". وأوضحت "وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت مرتعا لمن هب ودب ولمن لا شغل لهم غير التجريح والثلب والشتم والابتزاز وتفريغ الكبت".

وأضافت "لقد وقعت ضحية لبعض الأشخاص الذين لا شيء يجمعني بهم سوى صديق مشترك بيننا على فيسبوك، مما دفعهم إلى العبث بصوري الشخصية، وقد وصل بهم الأمر إلى حد تنزيل فيديوهات غير لائقة على صفحتي الخاصة، فاضطررت إلى حذف صورتي وعدلت برنامج الحماية على صفحتي حتى لا يكون بمقدور أي كان نشر ما يروق له على حسابي".

واستدركت "لكن من المؤسف أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد فقد تمت قرصنة حسابي على فيسبوك والعبث بمحتواه، مما جعلني في موقف محرج للغاية أمام أصدقائي، فاضطررت إلى فتح حساب جديد لأنني احتاجه في عملي الصحافي، وقمت بتعديلات في قواعد الخصوصية حتى أكون في منأى من إزعاجات العابثين الرقميين الذين قد يكونون ذكورا أو حتى إناثا، فمثل هذا الأمر غير مستبعد".

وشددت العيادي في خاتمة حديثها على أن تزايد اعتماد النساء على الأجهزة الذكية ومواقع التواصل الاجتماعي يجعلهن عرضة لمخاطر حقيقية، إذا لم يعمل أصحاب المنصات الإلكترونية والحكومات بالتوازي على حماية النساء من العنف والانتهاك عبر الإنترنت.

وأجمعت تونسيات في تصريحات لـ"العرب" على تعرضهن لحوادث مماثلة، إلا أنهن فضلن عدم الكشف عن هوياتهن "كي لا يعتقد الناس أن ما مررن به شيء خطير ويؤثر ذلك على سمعتهن"، كما يستبعدن فكرة التقدم بشكاوى قضائية خوفا من العار وخشية من عدم الحصول على حقوقهن أمام القضاء، خاصة لأن معظم المتحرشين الإلكترونيين يكونون في الغالب أشخاصا وهميين وليس من السهل تتبعهم عدليا.

وأشار الأستاذ أحمد بن حسانة المحامي بتونس إلى أن السلطات التونسية تكافح بشدة التحرش الجنسي ولا تتسامح مع جميع أشكال العنف ضد المرأة.

وقال بن حسانة لـ"العرب"، "ما يبعث على الارتياح فعلا هو نزوع المشرع التونسي إلى مزيد تطوير النصوص التشريعية والآليات القانونية لإضفاء النجاعة في الكشف عن هوية المتحرشين وتتبعهم قضائيا".

وأضاف "فرض القانون التونسي مؤخرا على وكيل الجمهورية (النائب العام) أن يكلف مساعدا له أو أكثر لتلقي الشكاوى المتعلقة بالتحرش ضد المرأة ومتابعة الأبحاث فيها، إلى جانب تخصيص فضاءات مستقلة داخل المحاكم الابتدائية تضم القضاة المختصين بقضايا العنف ضد المرأة على مستوى النيابة العمومية والتحقيق وقضاء الأسرة".

وواصل "كما فرض القانون إحداث وحدة مختصة بالبحث في جرائم العنف ضد المرأة بما في ذلك التحرش، في كل المحافظات التونسية، ويجب أن تضمّ من بين عناصرها نساء".

وثمّن بن حسانة في خاتمة حديثه ما تتمتع به المرأة التونسية من حقوق، وما وفرته لها مختلف النصوص القانونية من حماية ضد التحرش وسائر أشكال العنف، ولكنه اعتبر أيضا أن "هذه الجهود تظل منقوصة وخصوصا أمام الفراغ التشريعي الهام في المجال الإلكتروني وأمام ظاهرة الإفلات من العقاب، إما لعدم القدرة على كشف هوية المتحرش إلكترونيا، وإما بسبب ركون المجني عليها إلى ملازمة الصمت خوفا من الفضيحة أو خجلا أو بسبب ارتفاع تكاليف التتبع القضائي". وفي ظل عجز عدد كبير من النساء من غير القادرات على تحمل نفقات

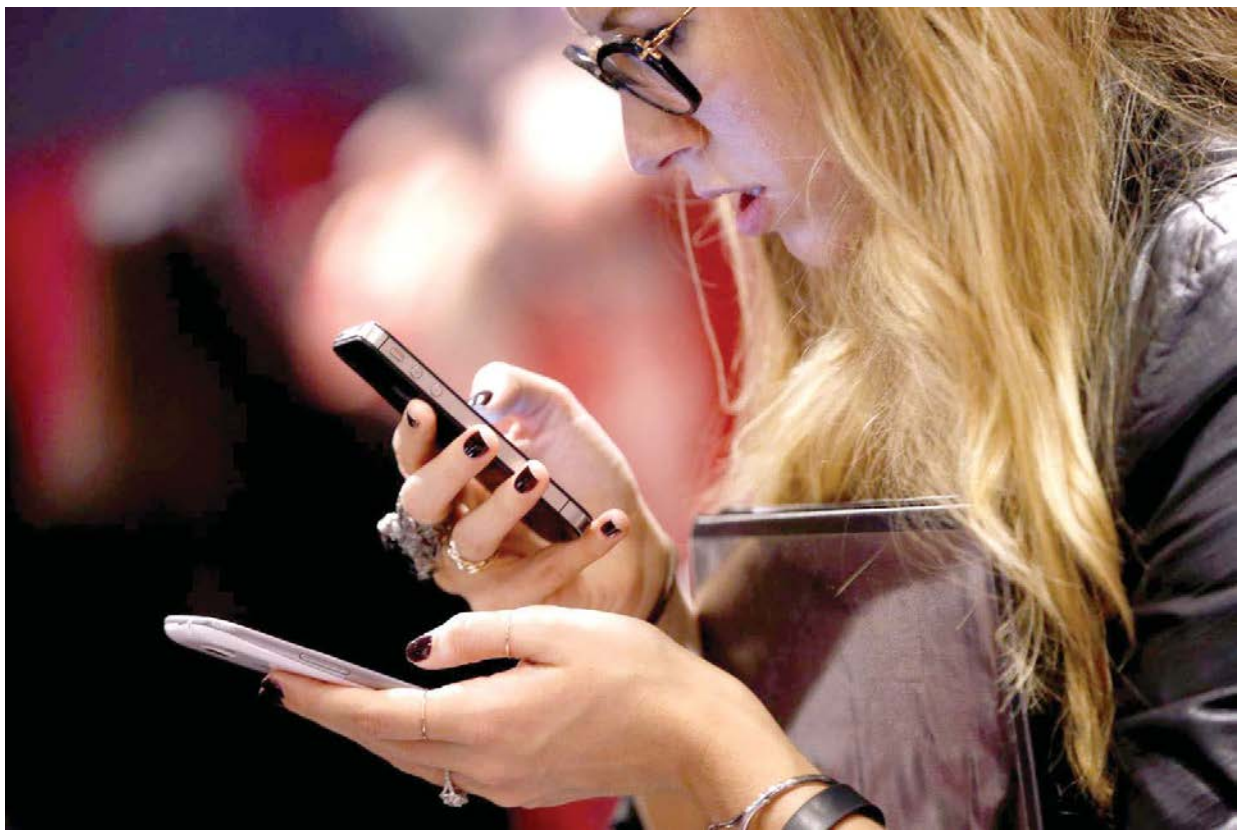

تغريدة واحدة مسيئة يمكن أن تتحول إلى وابل من الكراهية

الدفاع عن أنفسهن أمام القضاء أو بسبب خوفهن من الوصم الاجتماعي، ستستمر الاعتداءات الجنسية ضد المرأة، ومن المرجح أن تمارس بشكل أكبر في الغرف الإلكترونية، وخاصة في المجتمعات التي تحكمها ثقافة "العيب"، وتغيب عنها قوانين تواكب مستجدات العصر.

ملاحقة المرأة

لا يبدو أن النساء المصريات بمنأى عما كشفت عنه التونسيات من قصص عن التحرش الجنسي الإلكتروني، وما يتعرضن له من سوء معاملة على مواقع التواصل الاجتماعي.

وقالت إيمان سالم مؤسّسة موقع "أمينة تواي للمرأة"، "الانتهاكات الجنسية أصبحت تلاحق المرأة المصرية في كل مكان، وهذا ليس بجديد عن المجتمع المصري، لكن الجديد في الأمر هو أن المرأة لم تعد تسلم من المضايقات حتى على مواقع التواصل الاجتماعي، وتتراوح هذه المضايقات ما بين الاعتداء اللفظي والتعليقات غير المرغوب فيها والملاحظات حول المظهر والشكل، ويمكن أن يصل الأمر إلى حد الابتزاز والتشهير".

وأضافت "لقد تعرضت إلى مضايقات من طرف العديد من الشبان سواء الذين يودون التعارف أو الذين يحاولون بشتى الطرق مضايقتي لأن أفكاري وتوجهاتي مختلفة عنهم، فقمت بحجب حساباتهم بشكل فوري حتى أتجنب معاكساتهم وسلوكاتهم المشينة".

وأكدت سالم أنها سمعت العديد من الحكايات من سيدات مصريات وقعن ضحايا للتحرش الجنسي والابتزاز على الإنترنت، والكثيرات منهن استخدمت صورهن لفتح حسابات وهمية تسيء إليهن ولأسرهن.

وتتعمد البعض من النساء العربيات التخفي المقصود عند فتح حسابات لهن على مواقع التواصل الاجتماعي، فلا ينشرن صورهن ولا أسماءهن الحقيقية ويحرصن على عدم ترك أي بصمات لهن في العالم الرقمي، معتقدات أن مثل هذه الأمور ستجعلهن في منأى من المضايقات وجميع المشاكل التي قد تلحقهن من المتصيدين الرقميين، ولكنهن لا يدركن أنهن يعشن في عصر اختراقات الأمن الإلكتروني والخدمات الرقمية التي تجعل معلوماتهن وعناوينهن مكشوفة، وبمجرد أن يعرف شخص ما شيئا عنهن، فإنه بإمكانه أن يعرف أشياء أخرى كثيرة، وقد يتخفى بالطريقة نفسها ويمارس ضدهن سلوكيات لم يحسبن حسابها في أذهانهن. ورغم أن التخفي قد أصبح لعبة خاسرة في العصر الحاضر، ولا يضمن أن تكون الإنترنت بيئة آمنة، إلا أن العديد من العراقيات يفضلن أن يبقين مجهولات على شبكة الإنترنت حتى لا يراقبهن أحد ولا يتتبع خطواتهن، ولكل واحدة منهن دوافعها في ذلك، غير أن معظمهن يبحثن عن مساحة خاصة يمكنهن فيها أن يفكرن ويعشن مع مشاعرهن وأفكارهن الخاصة بعيدا عن أذى المجتمع الذكوري الذي يصادر حقوقهن وحريتهن.

وقالت الكاتبة العراقية بان الخفاجي "من خلال تواجدي على شبكات التواصل الاجتماعي لاحظت أن الكثير من النساء والفتيات العراقيات يفضلن عدم نشر صورهن الشخصية أو العائلية، وذلك بسبب ثقافة الحظر والعيب الممارسة على نطاق واسع في المجتمعات الشرقية".

وأضافت الخفاجي في تصريح لـ"العرب"، "نسبة عالية من الفتيات العراقيات يتسللن إلى العالم الافتراضي متخفيات خلف أسماء مجهولة وصور مستعارة، ونسبة قليلة جدا ممن يقتحمن هذا العالم بأسمائهن وصورهن الشخصية".

وأشارت إلى أن "السبب الأساسي الذي يمنع عامة النساء العراقيات من نشر صورهن الشخصية على حساباتهن بفيسبوك أو غيرها من شبكات التواصل الاجتماعي الخوف من مغبة الدخول في دوامة من المشاكل مع أسرهن، خاصة وأن أغلب الفتيات اللواتي يستخدمن صورهن الشخصية يقعن في بعض الأحيان ضحايا للابتزاز والمعاكسات أو الإساءات من قبل أشخاص مجهولين".

تضامن ذكوري

رغم أن قصص النساء عن حوادث التحرش التي مررن بها على مواقع التواصل الاجتماعي خلقت نوعا من التضامن والدعم "الذكوري"، إلا البعض ممن اختاروا عدم الظهور في دائرة أضواء الإعلام رموا بالمسؤولية على المرأة نفسها معتبرين أن صورها والهيئة التي تظهر عليها في المواقع الاجتماعية تجعلانها عرضة للتحرش.

ولكن الشريف محمد الحسني المفتي الأمين العام للعصبة الهاشمية المقيم في بريطانيا يرفض بشدة إلقاء اللوم على المرأة التي تعرضت للتحرش على مواقع التواصل الاجتماعي، مشددا على ضرورة عدم التستر على المتحرشين أو تبرير سلوكياتهم غير الأخلاقية حتى يكونون عبرة لغيرهم. وقال المفتي لـ"العرب"، "احترام الآخرين دليل على احترام الذات وعندما يتم التعرض للمرأة من خلف الشاشات ومن خلال النوافذ التكنولوجية الحديثة فهو تعبير عن قلة احترام الذات، وبالتالي فهو دليل على الانحطاط الفكري والخلقي وعلى الجميع التنبه له ومقاومته وليس تبريره أو السكوت عنه".

وأضاف "استخدام وسائط التواصل الاجتماعي من قبل المجتمع الذكوري بهدف الإساءة للمرأة، لا يدل إلا على الجبن واضمحلال احترام الشخص لذاته، ومن لا يقدر ذاته فإنه من الصعب عليه أن يقدر الآخرين ويحترمهم، ولذلك يجب على كل شخص يرقب مثل هذه التصرفات أن يضع حجبا فوريا للشخص المتحرش".

ونصح المفتي مستخدمي الوسائط الاجتماعية بعدم السكوت وتجاهل المحتويات المسيئة، داعيا إلى التشهير بأصحابها عن طريق إعادة نشر أسمائهم وتعميم ما كتبوه على الجميع، من أجل خلق بيئة رقمية آمنة للمرأة وللأجيال القادمة من النساء.

فيما يرى الإعلامي العراقي عقيل الشمري أن اضطهاد المرأة يوجد في جميع المجتمعات وليست المجتمعات العربية بالاستثناء، بدليل أن التحركات النسوية شملت جميع بقاع العالم.

وقال الشمري لـ"العرب"، "اضطهاد المرأة في مجتمعاتنا يربطه البعض بالدين، والدين بريء من ذلك، المسألة مرتبطة أساسا بالعادات والتقاليد وبالنظرة الدونية للمرأة، التي جعلتها عرضة للتحرش ليس في الشارع فحسب، بل حتى في ما يسمى بالمجتمع الافتراضي أو مواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك وتويتر وغيرهما".

وأضاف "الأسباب التي تدفع البعض من الرجال للتحرش بالنساء هي ضعف الواعز الديني والفراغ الفكري والعاطفي والتربية السيئة ووجود مساحات كبيرة من الفراغ لدى الجنسين، ويمكن للرجل والمرأة على حد السواء الانسياق وراء هذا السلوك غير الأخلاقي".

وختم الشمري بقوله "تعميم فكرة أن الرجل لا يعيبه أي شيء والمرأة ناقصة هو نتاج جهل كبير مسيطر على المجتمعات العربية، وهذا هو أحد أهم أسباب اضطهاد الرجل للمرأة وسعيه الدؤوب لأجل التسلط عليها".

الشريف محمد الحسني المفتي:
التعرض للمرأة دليل على الانحطاط الفكري والخلقي وعلى الجميع التنبه له ومقاومته

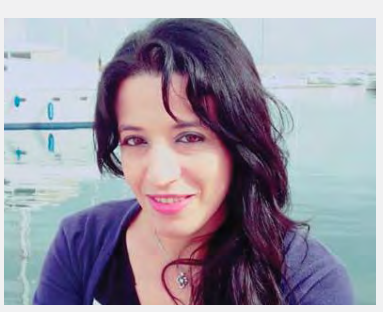

هاجر العيادي:
وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت مرتعا لمن هب ودب ولمن لا شغل لهم غير التجريح

أحمد بن حسانة:
المشرع التونسي يسعى إلى إضفاء مزيد من النجاعة في الكشف عن هوية المتحرشين

إيمان سالم:
المرأة المصرية لم تعد تسلم من المضايقات حتى على المواقع الاجتماعية

عقيل الشمري:
تعميم فكرة أن الرجل لا يعيبه أي شيء والمرأة ناقصة هي نتاج جهل كبير

المراهقة المتأخرة مآلها الطلاق بعد الستين

أزمة منتصف العمر تتزامن مع وجود خلل في العلاقة الزوجية

تصيب المراهقة المتأخرة العديد من الرجال والنساء بداية من سن الخامسة والثلاثين وحتى عمر الخمسين عاما، إلا أن أعراض المراهقة المتأخرة تمتد في بعض الحالات لتصل إلى عمر الستين، وقد تنجر عنها مشكلات كثيرة تعصف باستقرار الحياة الزوجية في خريف العمر.

سلمى جمال

عدم التوافق يهدم حياة الزوجين في خريف العمر

❏ يشترك كل من الرجال والنساء في أعراض حالات المراهقة المتأخرة، فنجد بعض السيدات يشعرن بأن عمرهن ضاع دون أي جدوى، وتشعر المرأة بأنها لم تحقق نجاحا شخصيا ينسب لها، فتبدأ في التمرد على حالة الأمومة بعد أن يسيطر عليها إحساس بأنها قدمت عمرها لآخرين لا يستحقون تضحياتها، وهنا تبدأ الزوجة في افتعال المشكلات مع زوجها ومع أبنائها.

وأكد مختصون في العلاقات الزوجية أن هذه المشكلات قد تتطور إلى مشاجرات عاصفة، خاصة إذا كان الزوج هو نفسه يمر بنفس مرحلة المراهقة المتأخرة، ومع الأخذ في الاعتبار أن المراهقة المتأخرة قد تمتد حتى سن الستين في بعض الحالات سواء للرجال أو النساء.

وأوضحوا أن حالة المراهقة المتأخرة لدى الرجل تبدأ في الظهور من خلال مشاجراته المستمرة مع زوجته، وضجره منها، وشعوره بأنه يستحق زوجة أفضل وحياة أفضل من الحياة التي عاشها مع زوجته وأولاده، فيبدأ في البحث عن علاقات نسائية جديدة، وقد يلجأ إلى تغيير عمله الأصلي بعمل جديد يتيح له شبكة علاقات أوسع، وهو في مثل هذه الحالات يكون مستعدا للمغامرة بإنشاء علاقات عاطفية خارج الزواج أو أن يتزوج مجددا.

> أكثر أعراض المراهقة المتأخرة وضوحا إجراء تغييرات على المظهر الخارجي والبدء بقضاء وقت طويل أمام المرآة والاعتناء بالزينة والهندام بشكل ملفت

ومن جانبه يقول الدكتور أحمد سعد، أستاذ علم النفس في جامعة الأزهر، إنه ثبت من الناحية العلمية أن الرجل بعد سن الستين يعاني ما يطلق عليه اسم المراهقة المتأخرة، والمرأة تمر بنفس حالة المراهقة المتأخرة، في إشارة إلى أن فترة المراهقة المتأخرة عند المرأة قد تمتد إلى عمر الستين عاما، لكن مع ذلك فإن المرأة تكون غالبا أكثر صبرا من الرجل في مثل هذه الحالات، بل ويمكن أن تتحمل المرأة الكثير وتضحي إلى آخر مدى من أجل أبنائها، ويمكن أن تتحمل العيش مرغمة مع رجل لا تريد الحياة معه حتى لا تتشرد الأسرة ولا يفقد الأبناء استقرارهم الأسري والاجتماعي.

ويشير إلى الحالات التي تتزوج فيها المرأة زواجا تقليديا لتكتشف أن هذا الزواج لا يصلح لها، ومع مرور الوقت تجد الزوجة أنها لم تعد تطيق الزوج بعد أن تكون أنجبت أولادا في سن صغيرة، فتتحامل على نفسها حتى يكبر الأبناء، وفي لحظة تقف فيها مع نفسها، فتطلب الطلاق كمحاولة منها لإراحة نفسها من مشكلات كثيرة تحملتها لسنوات طويلة.

لكن في المقابل فإن الزوج عندما يتقدم به العمر، يشعر بأنه تخلص من مسؤولياته وأصبح لكل واحد من أبنائه حياته الخاصة، فيرى أنه قد آن الأوان ليعيش شبابه الذي لم يعشه من قبل نتيجة الظروف الاقتصادية والضغوط التي نتجت عن تحمله لمسؤولية أولاده طوال هذه السنين.

ويوضح سعد أن الرجل يلاحظ علامات الشيخوخة التي تظهر على زوجته بشكل سريع جدا مقارنة بعلامات الشيخوخة التي تظهر عليه، كما أنه لا يتوقف عن التطلع إلى نساء أخريات، خاصة في ظل وجود الفضائيات وفتيات الفيديو كليب اللاتي يظهرن في أفضل صورة دون عناء أعباء المنزل وتربية الأولاد أو الأحفاد، وكل هذه العوامل تجعل الرجل يتمرد على حياته ويتزوج بأخرى إذا كانت ظروفه المادية ميسورة.

ومن ناحيتها تعتبر الدكتورة حنان سالم، أستاذة علم الاجتماع، أن حالات الطلاق التي تحدث في مثل هذه السن، لا تكون وليدة اللحظة أو نتيجة حدث عابر أو انفعال لحظي، مشيرة إلى أن قرار الطلاق يكون موجودا لدى الزوج منذ فترة طويلة، لكنه كان في انتظار اللحظة المناسبة لاتخاذ قرار الطلاق.

ونبهت إلى أن الزوجة التي يتم طلاقها في هذه السن تصاب بأمراض نفسية عديدة، أخطرها مرض الاكتئاب وأمراض نفسية أخرى، وهذه الأمراض تلازمها بقية حياتها، كما شددت على ضرورة وجود الوازع الأخلاقي لدى الزوج ليمنعه من تطليقها في هذه السن المتأخرة. وأضافت سالم أنه إذا كانت أخلاق الزوج حميدة فسوف تمنعه من أن يغدر بزوجته التي عاشت معه سنوات طويلة، حيث سيأخذ في الاعتبار الخسائر المادية والمعنوية التي ستحدث لها عند طلاقها في هذه السن.

وأشارت إلى أن أغلب أسباب الحالات التي يحدث فيها الطلاق في مثل هذه السن المتأخرة سواء للزوج أو الزوجة، اللذين مضت على زواجهما فترة طويلة، تكون متداخلة ومعقدة، وبالتأكيد فإن هذه الأسباب قد تختلف من حالة طلاق إلى أخرى، ومن المفروض فيها أن تكون العلاقة الزوجية أبدية، لكنها بعد فترة تتحول إلى ملل مهما أنكر البعض، خاصة إذا كان الزواج غير قائم على حب.

وأضافت أن معظم حالات الزواج خلال العقدين الأخيرين، تتم على أساس مادي، ومن دون مشاعر حب تسبق هذه الزيجات، الأمر الذي يجعل وقوع الطلاق أمرا واردا ومحتملا في أي مرحلة من مراحل الزواج، حتى بعد الستين أو بالقرب من هذه السن.

وأكد المختصون أن أهم الأعراض التي تميز مرحلة المراهقة المتأخرة هي كثرة التذمر وإكثار الرجل الحديث عن مدى الملل الذي يشعر به، وبعضهم يجد في الزواج مرة أخرى الحل في حين يتخبط البعض في اتخاذ القرارات المهمة.

وأشاروا إلى أن أكثر أعراض المراهقة المتأخرة وضوحا إجراء تغييرات جذرية على المظهر الخارجي والبدء بقضاء وقت طويل أمام المرآة والاعتناء بالزينة والهندام بشكل ملفت، والتصرف مثل المراهقين كالمحاولات للفت أنظار الجنس الآخر بارتداء ألوان وملابس ملفتة للانتباه، إضافة إلى الميل إلى الإسراف في التدخين والسهر.

وأكدت دراسات حديثة أن 25 بالمئة من الرجال يعانون من أزمة المراهقة المتأخرة أو كما يطلق عليها أزمة منتصف العمر التي تتزامن مع وجود خلل في العلاقة الزوجية، وعدم الاعتياد على التعامل مع الضغوطات وتجاوز العقبات، إضافة إلى عدم التوافق الثقافي والاجتماعي والفكري مع الزوجة، واستمرار الزواج لسنوات دون وجود لغة حوار بين الزوجين أو اهتمامات مشتركة، فيشعر الرجل بالرغبة في أن يعيش حياته من جديد وقد يساعده على ذلك استقراره المادي فيبدأ بالبحث عن فتاة صغيرة متوهما الحب.

طبق اليوم

الفلفل الأخضر المحشو بالأرز

* المقادير:

- كوب من الأرز الأبيض
- كوبان من الماء
- 250 غراما من اللحم المفروم
- 1 حبة بصل مفروم
- ملعقة كبيرة من زيت الزيتون
- 2 أكواب صلصة الماريناراالجاهزة
- كوب مرق دجاج أو لحم
- ربع ملعقة صغيرة من الفلفل الأحمر المقطع
- كوب طماطم مكعبات صغيرة
- ربع كوب من البقدونس المقطع
- فص ثوم مفروم
- ملعقة صغيرة من الملح
- ملعقة صغيرة من الفلفل الأسود
- 4 حبات من الفلفل الرومي الأخضر حجم كبير، مقطع إلى أنصاف
- كوب من جبن البارميزان
- ملعقة كبيرة من خل البلسمك

* طريقة الإعداد:

- يسخن الفرن عند درجة حرارة 190.
- في إناء متوسط الحجم، يوضع الأرز مع الماء، وتخفض النار ويترك فترة ما بين 20 و30 دقيقة حتى يطهى، ويرفع من على النار ويترك جانبا.
- يشوح البصل في زيت الزيتون الساخن، ويقلب على النار حتى يذبل ويصبح لونه ذهبيا، ويقسم إلى نصفين، يترك أحدهما جانبا، والآخر يترك في المقلاة.
- تضاف الماريناراواللحم المفروم والخل البلسمك والفلفل الأحمر إلى البصل في المقلاة، ويقلب الخليط ويترك على النار لمدة دقيقتين.
- تضاف الطماطم وخليط اللحم المفروم والملح والفلفل الأسود والبصل المشوح والبقدونس والبارميزان إلى الأرز، وتقلب المكونات جيدا.
- يرص الفلفل الرومي في صينية الفرن، ويحشى كل نصف بخليط الأرز واللحم، ثم تغطى الصينية بورق الألمونيوم وتدخل الفرن لمدة 25 دقيقة.

موضة

تصاميم مستوحاة من روائع الحضارة اليونانية

❏ استوحى المصمم اللبناني العالمي جورج حبيقة أزياء مجموعته من الخياطة الراقية الخاصة بربيع وصيف 2018 التي عرضها ضمن فعاليات أسبوع باريس للموضة، وقد بحثت تصاميمه، من روائع الحضارة اليونانيّة نظرا لما تتميّز به من غنى ثقافي، وتنوّع تراثي، وفلسفة حياة.

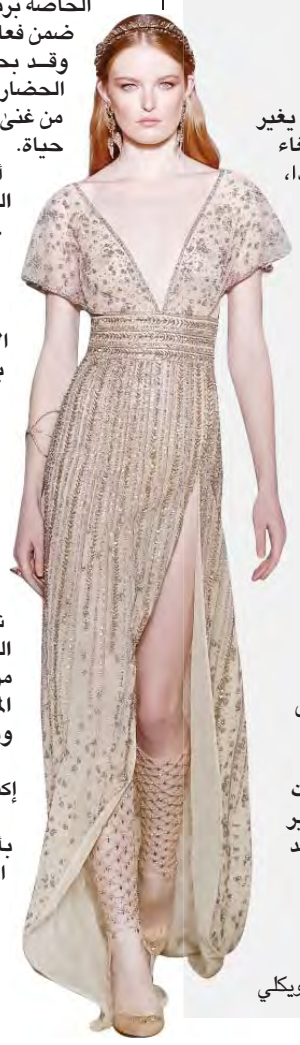

أشكال المعابد الإغريقيّة القديمة تحولت في أزياء حبيقة إلى ثنيات زيّن بها أثواب المناسبات، وقد اختار التطريزات اللامعة لإضافة لمسات من البريق على الأقمشة الفاخرة، واستعان بحبيبات الكريستال التي تراقصت على زخرفات تذكر بالجداريات المنحوتة لمشاهد من الميتولوجيا اليونانية.

كما اختار حبيقة حبيبات اللؤلؤ لإضفاء الإشراق على تصاميمه، التي زيّنها أيضا بقطع جلدية مزخرفة باللايزر على شكل أوراق نباتات وأكاليل من الغار. وجاءت الألوان مستوحاة من الأنوار المتلألئة على سطح المياه، وألوان الأواني الخزفيّة وتدرّجات الرخام المصقول.

ونسّق حبيقة أزياءه مع إكسسوارات مبتكرة، حيث تزينت الخواتم والأقراط بأجنحة ملائكية، وطوقت الخطوط الأنيقة لأوراق الغار الرؤوس، واستعملت شرائط الصنادل الإغريقيّة لتزيّن الأساور والأحذية المشغولة بلمسات فنيّة.

المرأة عامل أساسي للنمو الاقتصادي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

فادي فرحات

❏ على قدر ما يبدو مصطلح "الاقتصاد" على أنه مصطلح حميد؛ إلا أن نجاح الانتخابات الديمقراطية في دول العالم الحر يعتمد دائما على مسألة الاقتصاد.

فقد كان انتصار الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في انتخابات الرئاسة مدعوما بقدرته على تهدئة المظالم الاقتصادية لأولئك الموجودين في منطقة "حزام الصدأ". وخارج نطاق الحكومات الديمقراطية، يعتمد عمر وطول فترات أشكال الحكم الأخرى على ضمان أداء اقتصادي جيد.

وقد ساعدت ثورات الربيع العربي، في جزء كبير منها، على تأجيج المظالم الاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وفي إيران، استندت الثورات الأخيرة إلى المظالم الاقتصادية واحتياجات المعيشة الأساسية والأغذية اليومية كاللحوم والبيض والخبز.

ولما واجهت منطقة الشرق الأوسط تحديات اقتصادية، عقدت دولة المغرب العربي مؤتمرا يستكشف سياسات لتحسين النمو الاقتصادي والشمولية في العالم العربي. وظهر هناك إجماع على أن العالم العربي يجب أن يبذل المزيد من الجهود لإثراء سياسات توليد المزيد من فرص العمل في منطقة يعاني فيها 25 بالمئة من الشباب من البطالة، بل ويشكل نسبة أكبر من السكان مقارنة بالدول الغربية. وفي مؤتمر مراكش، صيغت وثيقة تحدد الأولويات بشأن كيفية تحقيق الشفافية وتحسين الإدارة والتصدي للفساد مع التركيز على الحد من الروتين لتشجيع التجارة. وتم الترحيب بملاحظات بشأن الحاجة إلى تعزيز الحقوق القانونية لتمكين الفئات المحرومة مثل الشباب واللاجئين والنساء.

ولم يتم تناول قضية حقوق المرأة في العالم العربي في المؤتمر من منظور اقتصادي، حيث أن مشاركة المرأة في سوق العمل العربي هي الطريق نحو نمو اقتصادي جيد.

ولا تقتصر التدابير المقيدة للمرأة، ولا سيما في مكان العمل، على العالم العربي فقط بأي حال من الأحوال. فبحسب تصريحات البنك الدولي، تضع حوالي 155 دولة قيودا على المرأة في مكان العمل، بما في ذلك طلب الحصول على موافقة الزوج والقيود المفروضة على عدد ساعات العمل، وبعض التدابير الأخرى التي تقيد حرية المرأة في عملها.

ففي روسيا، لا يسمح للمرأة بالعمل في 465 مهنة محددة بداية من النجارة وحتى قيادة مترو الأنفاق. ويمنع التشريع في الأرجنتين النساء من العمل بالمهن الخطرة مثل التعدين وتقطير الكحول. وحتى في فرنسا، يمنع القانون النساء من العمل في وظائف تتطلب حمل 25 كيلوغراما بصورة منتظمة. وفي يونيو المقبل، ستنهي المملكة العربية السعودية حظر قيادة المرأة للسيارة بشكل شرعي، بعد اعتراف القائمين على خطة الإصلاح في المملكة بأن طموحات النمو الاقتصادي وتنويع الاقتصاد لا يمكن أن تتقدم إذا تخلف نصف رأس المال البشري عن الركب.

وهناك أدلة واضحة تؤكد العلاقة الإيجابية بين مشاركة المرأة في سوق العمل والنمو الاقتصادي الشامل. وفي عام 2013، خلصت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية إلى أن الاقتصاد الأكثر موازنة بين الجنسين يعزز الناتج المحلي الإجمالي بنسبة تقدر بنحو 12 بالمئة.

وقد أصدر صندوق النقد الدولي توقعا مماثلا، على سبيل المثال يمكن أن تؤدي مشاركة المرأة في الاقتصاد إلى تحقيق مكاسب للناتج المحلي الإجمالي تقدر بنسبة 34 بالمئة في مصر. وكشف تقرير صدر عن معهد ماكينزي العالمي لعام 2015 أنه يمكن إضافة 12 تريليون دولار إلى الناتج المحلي الإجمالي العالمي بحلول عام 2025 إذا اتخذت جميع الدول تدابير لسد الثغرات بين الجنسين في مكان العمل.

ولذلك، ليس من الغريب أن تقوم حوالي 65 دولة بعمل أكثر من 94 إصلاحا قانونيا خلال العامين الماضيين، والتي تهدف إلى زيادة إمكانية دمج النساء في القوة العاملة.

وعلى الرغم من هذا التقدم الهائل، إلا أن البنك الدولي أكد أن 90 بالمئة من اقتصادات العالم لديها قانون واحد على الأقل يعيق النساء من المشاركة في سوق العمل، والعالم العربي، بشكل عام، يأتي بعد مناطق أخرى اجتازت مشوارا طويلا في هذا المجال، حيث يبدو أن رفع المملكة العربية السعودية لحظر القيادة هو خطوة صغيرة. ومع ذلك، فإن مثل هذه الخطوة تمثل تقدما يمكن أن يغير المواقف المجتمعية عن طريق إلغاء التحيزات المجتمعية العميقة. هذا، إلى جانب الإصلاحات الأخرى مثل تخصيص المملكة العربية السعودية للمرأة حوالي 20 بالمئة من مقاعد المجلس التشريعي للشورى، وهو ما يدل على تقدم ملحوظ يحظى بتقدير وترحيب كبيرين.

علاوة على ذلك، تحظى المرأة السعودية بأعلى نسبة درجات وشهادات دراسية في المملكة العربية السعودية، وعلى الرغم من ذلك تمثل 20 بالمئة فقط من القوى العاملة، وهو الأمر الذي يحتاج إلى معالجة. ومن المبشر أيضا أن زيادة تمكين المرأة في مكان العمل تعد جزءا لا يتجزأ من خطة الإصلاح "رؤية 2030" التي اعتمدها ولي العهد السعودي، الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز.

وبغض النظر عن المؤتمرات والاجتماعات والتقارير والمذكرات التي تعتبر غير ضرورية في الكثير من الأحيان؛ هناك فقط طريق واحد من أجل نمو اقتصادي أكبر في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا؛ وهو المرأة.

* عن العرب ويكلي

محترفو تونس في ضغط مستمر على اختيارات المدرب

معز حسن.. ورقة جديدة يراهن عليها معلول في المونديال

تستعد تونس التي صعدت إلى مونديال 2018 بروسيا عقب غياب دام 12 عاما، لخوض المسابقة العالمية بفريق انتقالي لا يضم نجوما يلعبون في الدوريات الأوروبية الكبرى. ويتطلع منتخب نسور قرطاج إلى معادلة إنجاز الجزائر، التي تعد الدولة الوحيدة في هذه المنطقة في شمال أفريقيا، التي تمكنت من العبور إلى ما بعد دور المجموعات، بعد أن تأهلت لدور الـ16 في مونديال البرازيل 2014.

مراد بالحاج عمارة
صحافي تونسي

❑ **تونس** – بات لاعبو المنتخب الوطني التونسي يتسابقون من أجل حجز مكان في القائمة النهائية للمنتخب التي ستشارك في كأس العالم روسيا 2018، وهذا ما يفسر المردود الكبير لعدد منهم في الدوريات الأوروبية حيث يبحثون عن تأكيد أحقيتهم في التواجد في قائمة المدرب نبيل معلول... وفي هذا السياق يواصل المدير الفني للمنتخب التونسي متابعة العناصر التونسية التي تنشط خارج الحدود من أجل دعوة الأبرز لتعزيز نسور قرطاج في مونديال روسيا 2018.

وكشف نبيل معلول أنه يسعى إلى ضم لاعبين من أصول تونسية ويلعبون في أندية أوروبية لتعزيز صفوف نسور قرطاج، قبل المشاركة في نهائيات كأس العالم. وقال معلول في تصريحات صحافية "نستهدف ضم لاعبين للمنتخب، من بينهم حارس المرمى معز حسان". وأضاف مدرب تونس "يجب تركيز الاختيار على اللاعب القادر على تقديم الإضافة للمنتخب في الوقت الحالي". وقال وديع الجريء رئيس الاتحاد التونسي "باستثناء وسام بن يدر الذي فضل الانضمام للمنتخب الفرنسي، فإن أبواب المنتخب مفتوحة أمام كل لاعب قادر على تقديم الإضافة".

ونجح الاتحاد التونسي لكرة القدم في التوصل إلى اتفاق رسمي مع الحارس معز حسن لارتداء قميص نسور قرطاج. وتجدر الإشارة إلى أن معز حسن (23 عاما) يلعب لفريق شاتورو الفرنسي، والذي انضم إليه هذا الموسم على سبيل الإعارة قادما من نيس. وسبق لمعز حسن ارتداء زي المنتخب الفرنسي للشباب في 14 مباراة، وصولا إلى حراسة شباك المنتخب الأولمبي. وبذلك سيكون الحارس معز حسن من الخيارات المهمة أمام مدرب نسور قرطاج، نبيل معلول، قبل تحديد القائمة النهائية لمنتخب تونس لخوض مونديال روسيا.

الحلقة النهائية

أكد رئيس الجامعة وديع الجريء أن المفاوضات التي انطلقت مع عدد من اللاعبين التونسيي الأصل الذين ينشطون في الدوريات الأوروبية قد تصل إلى حلقتها النهائية خاصة أن عامل الزمن لم يعد متاحا للمزيد من المفاوضات، وهو ما يؤكد غلق الباب نهائيا. وصرح الجريء بأن الجامعة التونسية تحصلت على موافقة من الثنائي التونسي إلياس السخيري وسيف الدين الخاوي من أجل تعزيز المنتخب الوطني في قادم المواعيد، ومن المنتظر أن يوجه المدرب الوطني الدعوة للثنائي للمشاركة في التربص القادم للمنتخب الوطني للوقوف على خصالهما والتأكد من الإضافة التي يمكن أن يقدماها للعناصر الوطنية.

وعبر متوسط ميدان نادي مونبلييه منذ بداية المفاوضات مع أعضاء الجامعة التونسية عن رغبته في تقمص زي المنتخب، لكنه يخشى سيناريو قدومه السابق إلى المنتخب، إلا أن التطمينات التي وجدها من رئيس الجامعة والمدرب الوطني جعلته يرحب بالفكرة، أما بالنسبة إلى مهاجم نادي تروا الفرنسي سيف الدين الخاوي فإن المفاوضات لم تكن شاقة خاصة أنه رحب بالفكرة منذ البداية وهو ما سهل الطريق وجعل المواقف بينه وبين الجامعة مطابقة وقد يعلن اتفاق نهائي بين الثنائي والجامعة.

موهبة واعدة

الأكيد أن في التربص القادم للمنتخب والذي سيأتي بعنوان المواجهتين الوديتين أمام المنتخب الإيراني يوم 23 مارس في أولمبي رادس وأمام منتخب كوستاريكا يوم 27 مارس في مدينة نيس الفرنسية ستعلن حقيقة دعوة السخيري والخاوي بما أن هذا التربص سيكون الأخير قبل كأس العالم روسيا 2018.

وكشف السخيري عن سبب اختياره تمثيل المنتخب التونسي لكرة القدم في المرحلة القادمة، مبينا أن اختياره جاء بعد ترو وتفكير عميقين. ويعد السخيري الذي يحمل الجنسيتين الفرنسية والتونسية من أفضل لاعبي فريقه، حيث يشارك بانتظام في الدوري الفرنسي، وهو إلى جانب ذلك قائد الفريق، كما أنه يعتبر واحدا من أفضل اللاعبين انتظاما في الأداء منذ بداية الموسم.

وبخصوص قراره بتمثيل تونس في المواعيد القادمة، قال السخيري "كنت أخذت الوقت الكافي للتفكير في اختياري الرياضي. أصبح خياري اللعب مع المنتخب التونسي وأنا على استعداد لتقديم كل ما عندي من جهد مع المنتخب التونسي وأيضا مع فريقي مونبلييه". وأضاف "اختيار اللعب مع تونس كان عن قناعة تامة، علما أنه سبق لي أن مثلت منتخبات الشباب لمن هم بأعمار أقل من 19 عاما، وأيضا المنتخب الأولمبي، كما كانت لي اتصالات متواصلة طيلة السنتين الأخيرتين مع الاتحاد التونسي من أجل اللعب مع المنتخب الأول".

ويعول نبيل معلول، كثيرا على انضمام إلياس السخيري إلى صفوف نسور قرطاج في هذه المرحلة، لأنه لاعب يقدم حلولا كبيرة في وسط الميدان ومن شأنه أن يشكل نقطة قوة للمنتخب التونسي في المونديال القادم في روسيا. وشارك السخيري في 27 مباراة لفريقه مونبلييه كأساسي دون أن يجلس على دكة البدلاء وسجل هدفا وهو في سن الـ22 عاما ومع ذلك منح شارة قائد للفريق.

فتحت تصريحات رئيس الجامعة التونسية لكرة القدم وديع الجريء أبواب العودة أمام الثنائي رامي الجريدي حارس النادي الصفاقسي وأيمن عبدالنور مدافع نادي مرسيليا الفرنسي، حيث أكد رئيس الجامعة أنه لا يوجد فيتو مرفوع أمام الثنائي المذكور وأن أبواب المنتخب مفتوحة أمامهما للعودة من جديد إلى المجموعة الوطنية. وكان المدرب الوطني قد أكد في وقت سابق أن عدم دعوة الجريدي إلى المنتخب رغم تألقه مع النادي الصفاقسي يأتي عبر قناعته بعدم ضرورة تواجد حارسين أكثر من 30 سنة لتعلن تصريحات رئيس الجامعة إجهاض قناعات المدرب نبيل معلول الذي اعتبر أن عبدالنور مازال مطروحا في أجندة المنتخب.

ويعد أفضل محترفي نسور قرطاج في الدوري الفرنسي هو وهبي الخزري الذي جدد تألقه مع ناديه رين المعار له من سندرلاند الإنكليزي. كذلك واصل المهاجم الدولي حمدي الحرباوي تألقه في الدوري البلجيكي ليؤكد من جديد أنه يمكن أن يكون ورقة رابحة لمدرب منتخب تونس نبيل معلول في مونديال 2018. وكذلك يواصل المهاجم التونسي سيف الخاوي تألقه مع فريق تروا الفرنسي. ودوما في فرنسا لعب أسامة الحدادي دورا هاما مع فريقه ديجون إلى جانب النجم نعيم السليتي.

وفي هذا الصدد أصدر موقع مختص في إحصائيات لاعبي كرة القدم في العالم، تصنيفا ضم أفضل 100 لاعب مراوغ في العالم، وتضمنت القائمة المذكورة اسم متوسط الميدان الدولي ومحترف ديجون الفرنسي نعيم السليتي الذي احتل المركز الـ28 بنسبة نجاح في المراوغات بلغت 67 بالمئة.

وتقدم نعيم السليتي في الترتيب على عدة نجوم عالميين على غرار اندرياس إنيستا صانع ألعاب برشلونة الذي حل في المرتبة الـ29 وألكسيس سانشيز مهاجم مانشستر يونايتد صاحب المرتبة الـ33 ولوكا موديرتش لاعب ريال مدريد الذي جاء في المرتبة الـ45. وجاء في الصدارة البلجيكي إيدين هازار محترف تشيلسي الإنكليزي، يليه محترف باريس سان جرمان النجم البرازيلي نيمار فيما حل ليونيل نجم برشلونة ميسي ثالثا.

وفي السوبر ساهم اللاعب التونسي عصام الجبالي في تألق فريقه "إيلفسبورغ"، وفي ألمانيا لعب سامي العلاقي دورا أساسيا في تشكيلة سانت باولي الألماني الذي ينشط في الدرجة الثانية الألمانية، وفي الدوري التركي يلعب المدافع الدولي التونسي صيام بن يوسف مع فريقه قاسم باشا، وفي إيطاليا يواصل كريم العريبي التألق مع فريقه تشيزينا.

من ناحية أخرى تألق سيف الدين الجزيري مع طنطا المصري. كما تألق أمين بن عمر في تشكيلة أهلي جدة وساهم في تأهله إلى الدور نصف نهائي كأس السعودية. وفي نفس المسابقة، تألق الحارس الدولي التونسي أيمن المثلوثي مع الباطن الذي أزاح فريق الفرجاني ساسي نادي النصر، كما أزاح أحمد العكايشي صحبة فريق أهلي جدة نادي الشباب الذي كان معززا بالحارس التونسي فاروق بن مصطفى. من ناحية أخرى تمسك النجم التونسي، يوسف المساكني، مهاجم الدحيل، بحظوظه في صراع هدافي الدوري القطري.

الجنسية المزدوجة

يدرك كل الملاحظين أن إقناع اللاعبين أصحاب الجنسية المزدوجة بتمثيل المنتخب التونسي مهمة ليست سهلة وقد تصطدم بعلامات الرفض والصد خاصة إذا كان اللاعب يعلق آماله على دعوة من أحد المنتخبات الأوروبية وكثيرة هي الأمثلة على لاعبين قضى أهل القرار في المكتب الجامعي وقتا مطولا لإقناعهم على غرار حاتم بن عرفة ووسام بن يدر وراني خضيرة. لكن أحيانا إذا تعلق الأمر بمشاركة في كأس العالم للأندية يذوب جليد الرفض ويحل محله اهتمام مفاجئ بنسور قرطاج وترتفع ذروة الوطنية وهذا ما ينطبق على اللاعب يوهان بن علوان مدافع ليستر سيتي الإنكليزي الذي رفض في فترة سابقة الانضمام إلى المنتخب التونسي رغم أن مسؤولي الجامعة حاولوا استقطابه عندما كان ينشط في شيزينا الإيطالي بإيعاز من الفرنسي برتران مارشان عندما أشرف على حظوظ نسور قرطاج سنة 2010.

> وديع الجريء رئيس الاتحاد التونسي يقول إنه باستثناء وسام بن يدر الذي فضل الانضمام للمنتخب الفرنسي، فإن أبواب المنتخب مفتوحة أمام كل لاعب قادر على تقديم الإضافة

رفع «الفيتو»

وتواصل الرفض رغم محاولات الجامعة لكن في الفترة الأخيرة أبدى اللاعب استعداده لتمثيل المنتخب التونسي ونشر على حسابه بموقع "إنستغرام" ما يؤكد سعادته بتقمص زي المنتخب ومع رواج الخبر فإنه بدأ يجد مواقف مختلفة في وسائل التواصل الاجتماعي بين من يرى فيه تعزيزا للخط الخلفي وبين فئة هامة من الجمهور الرياضي لم تنس أنه أدار ظهره سابقا لدعوات الجامعة، لكن سبحان مغير الأحوال قبل فترة وجيزة من المونديال بات راغبا في ضمان مكان ضمن تركيبة المدرب الوطني نبيل معلول، والثابت أن الأيام القادمة ستكشف موقف أهل القرار في الجامعة بخصوص فتح الباب أمام بن علوان أو رفع "الفيتو" أمامه تماما كما فعل هو سابقا.

من ناحية أخرى أنهت الجامعة التونسية لكرة القدم إجراءات الاتفاق مع نظيرتها البرتغالية بخصوص المباراة الودية التي ستجمع نسور قرطاج بالمنتخب البرتغالي وذلك يوم الاثنين 28 ماي بمدينة لشبونة. ويلتقي المنتخب التونسي بقيادة مدربه نبيل معلول، مع منتخب إيران 23 مارس بتونس، ومنتخب كوستاريكا 27 مارس بمدينة نيس الفرنسي بعدها يواجه منتخب البرتغالي يوم 28 مايو المقبل بمدينة لشبونة بالبرتغال قبل أن يلتقي مع منتخب إسبانيا 9 يونيو المقبل. ويتواجد المنتخب التونسي بالمجموعة السابعة بالمونديال رفقة منتخبات بلجيكا وإنكلترا وبنما.

> حارس مرمى شاتورو الفرنسي معز حسان سيكون من الخيارات المهمة أمام مدرب نسور قرطاج نبيل معلول قبل تحديد القائمة النهائية لمنتخب تونس لخوض مونديال روسيا

جياني إنفانتينو ينهي فترة طويلة من الجدل حول نظام يراه عادلا

تقنية حكم الفيديو جاهزة للاستخدام بكأس العالم بعد الموافقة عليها

اعتمد مجلس الاتحاد الدولي لكرة القدم (إيفاب) استخدام حكم الفيديو في كأس العالم المقبلة بروسيا 2018، وذلك بالرغم من التحذيرات التي طالبت بتأجيل تلك العملية لحين التيقن من الوصول لأفضل مستوى تطبيقي لتلك التقنية الجديدة.

❑ **زوريخ (سويسرا)** – قال المجلس الدولي لكرة القدم المسؤول عن سن قوانين اللعبة في بيان السبت إن تقنية حكم الفيديو المساعد جاهزة للاستخدام في كأس العالم في روسيا الصيف المقبل بعد موافقة المجلس عليها بهدف مساعدة الحكام.

وقال الاتحاد الدولي للعبة (الفيفا) إن تقنية حكم الفيديو المساعد ستستخدم في نهائيات كأس العالم في روسيا في حالة الموافقة عليها، بينما قال الاتحاد الأوروبي للعبة إنه لن يستخدم هذه التقنية في دوري الأبطال الموسم المقبل

وأكد جياني إنفانتينو رئيس الفيفا أن القرار النهائي لاستخدام هذه التقنية في كأس العالم بين 14 يونيو و15 يوليو المقبلين سيتخذ خلال اجتماع مجلس الفيفا في بوغوتا في وقت لاحق من الشهر الحالي.

> المنتقدون للتقنية يقولون إنها تسببت في ارتباك بالمسابقات، خاصة للمشاهدين في الملاعب الذين غالبا لا يدركون ما يحدث خلال عملية المراجعة

وقال إنفانتينو للصحافيين "من اليوم تقنية حكم الفيديو المساعد باتت جزءا من كرة القدم، وصلنا إلى استنتاج أن هذه التقنية مفيدة لكرة القدم والحكام وتمنح اللعبة مزيدا من العدالة، ولهذه الأسباب قررنا الموافقة عليها".

ويقول منتقدون إن هذه التقنية تسببت في ارتباك بالمسابقات التي استخدمت فيها، خاصة للمشاهدين في الملاعب الذين غالبا لا يدركون ما يحدث خلال عملية المراجعة.

ووصف بيان للمجلس الدولي لكرة القدم هذه الخطوة بأنها "تاريخية لتحقيق المزيد من العدالة في كرة القدم".

وتشير لوائح المجلس العالمي إلى أن حكم الفيديو المساعد يستخدم في حالات الأهداف وركلات الجزاء والطرد المباشر والهوية الخطأ للاعبين. ويشاهد حكم مدرب، المباراة على شاشة التليفزيون ويتواصل باستمرار مع الحكم الرئيسي ويراجع القرارات، ولو تمت مشاهدة أي خطأ "واضح" يمكن مراجعة الواقعة وتغيير القرار، ويمكن للحكم الذي تتاح له شاشة خاصة خارج الملعب أن يقرّر بنفسه مراجعة القرار.

وتطبيق هذا النظام أحد أهم مشروعات إنفانتينو منذ انتخابه في فبراير 2016، والذي قال السبت "يمكنني تأكيد جاهزية الحكام المشاركين في كأس العالم لتطبيق هذه التقنية، أما فيما يتعلق باستمرارية المباراة فيستغرق التدخل وتوقفها دقيقة واحدة، وأعتقد أن استخدام هذه التقنية في كأس العالم سيساعد بالتأكيد على تحقيق بطولة أكثر عدلا".

وقام مجلس الاتحاد الدولي في 2016 باستخدام تقنية حكم الفيديو المساعد وتم تطبيقه بشكل جزئي في بعض المسابقات الخاصة بالفيفا والاتحادات القارية وبعض الدوريات حول العالم.

وحسم إيفاب، المسؤول عن سن قوانين كرة القدم، القرار خلال اجتماعه السبت بمدينة زيوريخ السويسرية، لينهي بذلك فترة طويلة من الجدل حول النظام.

وكان التطبيق التجريبي للنظام خلال الفترة الماضية قد جاء بنتائج متباينة، لكن السويسري جياني إنفانتينو رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) لم يتراجع عن موقفه الداعم لتطبيق نظام "حكم الفيديو المساعد" خلال مونديال روسيا 2018.

وترأس إنفانتينو اجتماع السبت الذي عقد في مقر الفيفا، ويتوقع أن يعلن مجلس الفيفا رسميا عن تطبيق النظام في مونديال 2018 خلال اجتماعات الفيفا المقررة في بوغوتا عاصمة كولومبيا بين 15 و16 مارس الجاري.

وقالت صحيفة "ديلي ميل" الإنكليزية إن قرار استخدام حكم الفيديو أتى مبكرا للغاية، وذلك بعد تجربته في مباراة توتنهام وروكدال التي توقفت أكثر من مرة من أجل انتظار قرار حكم الفيديو في بعض اللقطات.

ومن جانبه رفض ألكسندر تشيفرين رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم استخدام حكم الفيديو في أمم أوروبا الموسم المقبل، كما أن مسؤولي البريميرليغ لم يحسموا أمرهم بعد من عملية استخدام حكم الفيديو في البطولة بسبب التوقفات التي تنتج عنه.

وأكد السلوفيني ألكسندر تشيفرين، رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا)، عدم تطبيق تقنية حكم الفيديو خلال مباريات النسخة المقبلة من دوري أبطال أوروبا.

واستخدمت تقنية الفيديو بشكل واسع في الملاعب الأوروبية هذا الموسم؛ إذ طبقت في عدة مسابقات أبرزها الدوري الألماني والدوري الإيطالي، إضافة إلى كأس رابطة المحترفين الإنكليزية وكأس الاتحاد الإنكليزي.

وقال تشيفرين، خلال مؤتمر صحافي سابق إن "تقنية الفيديو لن تطبق في دوري أبطال أوروبا الموسم المقبل، فالتجربة ما زال يشوبها بعض الارتباك". ورغم تصريحه السابق فقد قال تشيفرين إنه لا يعارض تطبيق تقنية الفيديو في مباريات كأس العالم المقبلة في حال اتخاذ الاتحاد الدولي للعبة (فيفا) قرارا بخصوص ذلك الأمر.

وتقوم فكرة استخدام تقنية الفيديو على اللجوء للإعادة التليفزيونية عبر أحد الحكام المساعدين، للتأكد من صحة بعض القرارات الحاسمة خلال المباريات.

وثمة وجهة نظر أخرى تشير إلى أن كرة القدم لم تكتسب قوتها وشهرتها وسحرها من الدقة في القرارات، ولكن من لحظات الإثارة والمتعة التي لا نهاية لها وقد عبر دون ديليلو عن ذلك في روايته عن كرة القدم الأميركية والتي تحمل عنوان "منطقة النهاية"، عندما وصف الرياضة بأنها ذلك "الوهم الحميد، الذي يمكن أن نرى فيه بعض النظام.. والذي يميل دائما إلى التحرك نحو الكمال".

ويتحدث ديليلو في هذه الرواية عن رياضة بها مراحل وأنماط منظمة بدقة، لكن جمال كرة القدم يكمن في أنها تحمل شيئا من هذا النظام، لكنها ليست مثل الرياضيات البحتة، فهي مثيرة ومذهلة، لأنها تعتمد على العاطفة في الأساس.

ويشير أشد المنتقدين لتقنية الفيديو إلى أن هذه التقنية لن تكون مثمرة على الإطلاق في الوصول لقرارات نهائية وحاسمة في كرة القدم، لأن هذه اللعبة ليست مثل لعبة الكريكيت، التي يمكن فيها للإعادة التليفزيونية أن توضح كل شيء بالتفصيل، أما كرة القدم، فلا توجد بها حقيقة ثابتة ومسلمات لا لبس فيها دائما، لأن هناك منطقة رمادية بين الأسود والأبيض لا يمكن الفصل فيها من خلال تقنية الإعادة التليفزيونية، وستظل هناك مجالات للنقاش والخلاف مهما حدث.

جيمس بوند يهوى المخاطرة

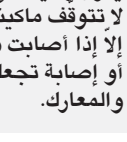

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ من منّا لم يُبهر بالمهارات والمواهب الخارقة لرجل المخابرات "جيمس بوند" في سلسلة الأفلام التي امتدت لسنوات طويلة وبقيت جزءا من تاريخ السينما الأميركية، فذلك البطل "الخرافي" كان قادرا بمفرده على قلب كل المعطيات وهزم كل الخصوم، كان يهوى المخاطر ويبرع في الركوب عليها إلى درجة أن الصورة الباهرة التي أحيطت بسلسلة أفلامه، رغم ما فيها من مبالغة و"خيال" أكّدت أن العميل رقم 007، هو بالأساس وجد كي ينتصر ويتغلب على المصاعب والعراقيل ويغري الجميع بأن يستعينوا به كي يحل مشاكلهم ويساعدهم على هزم أعدائهم.

وفي كرة القدم يوجد دائما العديد من اللاعبين لديهم بعض القدرات الخارقة التي يملكها جيمس بوند، لديهم الكثير من الموهبة والبراعة والجرأة على خوض المغامرات وتحدي المخاطر، والحديث في هذا السياق لا ينطبق بالضرورة على قطبي الكرة العالمية في السنوات الأخيرة أي ميسي ورونالدو اللذين احتكرا الجوائز الفردية العالمية وتناوبا على التتويج بها، بل ثمة في الميدان الشاسع نخبة من اللاعبين الذين يملكون مواهب فذة وقدرة عبقرية على خوض المعارك والفوز فيها.

ثمة نيمار وهازارد، أغويرو وروبن، بوغبا وكين، لكن يوجد أيضا "فلتة" كروية فرنسية يسكن في معقل أتلتيكو مدريد يدعى أنطوان غريزمان، إنه أشبه بـ"سوبرمان" فهو هداف بالفطرة ولاعب فنان، يهوى إسقاط المنافسين بطلقات قاتلة وتصويبات مجنونة تتحدّى كل الحصون.

فهو صاحب تصويبات متقنة للغاية، كأنها تسديدات جيمس بوند في وجه كل خصومه وأعدائه، لا يخطئ الهدف ولا يكون رحيما مع المنافسين، ومع غريزمان لا تتوقف ماكينة الأتلتيكو عن الدوران، إلا إذا أصابت هذا النجم الفرنسي "عين" أو إصابة تجعله يتخلّف عن الحروب والمعارك.

ومثل العميل رقم 007، فإن حامل القميص رقم 7 في "الأتليتي" لديه ذكاء خارق ومهارات عالية، إذ تلقى تدريبات في أعتى مراكز التكوين بفرنسا، قبل أن يتحوّل إلى ساحة المنافسة في إسبانيا في سن مبكرة للغاية، بما أنه وقع عقده الأول في سن الرابعة عشر مع فريق ريال سوسييداد.

وواصل تلقي التدريبات والتكوين، بعد أن وقف الجميع في ذلك الفريق على وجود موهبة مميزة، تتوفر فيها كل المواصفات لاكتشاف مشروع هداف لا يشق له غبار، يتمتع بدقة ملاحظة وحسن تمركز واختيار اللحظة المناسبة للإجهاز على المنافس، هي بلا شك بعض مواصفات النجم الخارق جيمس بوند.

كانت المهمة الأولى للعميل رقم 007 الجديد بعد التكوين وتلقي كافة أصول "الحروب" الكروية الخفية منها والمعلنة، هي الصعود بريال سوسييداد إلى الدرجة الأولى سنة 2009، ولم ينتظر غريزي طويلا كي ينجح في الاختبار الأول، فبفضل أهدافه الغزيرة وقوة شخصيته وقدرته الفائقة على حسم أغلب المواجهات ساهم في الصعود بالفريق إلى الدرجة الأولى.

وبعد فترة وجيزة نجح خلالها صاحب رقم 7 في أغلب الاختبارات والمهام مع سوسييداد، جاءه عرض جديد كي يخوض معارك أكثر خطورة وحساسية، لقد تلقى عرضا من أتليتيكو مدريد ثالث أقوى الأندية في إسبانيا.

وبدأت المخططات، وبدأ جيمس بوند الكرة الأوروبية أولى مهامه، كان يتعيّن عليه أن يساهم في تقوية الخطوط الأمامية لفريقه الجديد، فنجح في ذلك ونافس بكل ضراوة ميسي ورونالدو على لقب الهداف في الدوري الإسباني، والأكثر من ذلك أنه قاد الفريق إلى الحصول على لقب السوبر الإسباني والوصول إلى المباراة النهائية لدوري الأبطال سنة 2016.

هو "عميل" ناجح ومتألق، و "ماكنة" أهداف، فكلما تعطبت أصاب الشلل جميع مكونات أتليتكو، فالفريق مر بصعوبات ظرفية بداية الموسم بسبب بعض المشاكل الصحية التي مرّ بها جيمس بوند، لكن سرعان ما استعاد هذا النجم صاحب النظرات الثاقبة عنفوانه وجبروته، ليساهم في عودة فريقه إلى دائرة الضوء والمنافسة الجدية على لقب الدوري، حيث لم يعد الفارق كبيرا بين الأتليتكو وبرشلونة صاحب الصدارة.

وأطاحت الأهداف الغزيرة لغريزي خلال المباريات الأخيرة بكل الخصوم وأصابت المنافسين القادمين بالذعر والخوف، هي بلا شك إحدى صفات جيمس بوند الذي يخشى الجميع ملاقاته ومبارزته، فالأسلحة التي يملكها والذكاء الحاد الذي يتمتّع به يجعلانه قادرا على إسقاط كل المنافسين.

بالتوازي مع ذلك سينتظر العميل رقم 007 نهاية الموسم ليحدّد أهدافه القادمة، ربما قد يكون الهدف الأول هو مساعدة الكتيبة الفرنسية على التألق في المونديال القادم، حيث سيعمل على تعويض فشل غير متوقع في يورو 2016 عندما تمت مباغتة منتخب فرنسا بهدف قاتل من نظيره البرتغالي في مباراة نهائية مشهودة.

سيتيّعن أيضا على جيمس بوند استكمال المهمة المزدوجة مع أتليتيكو مدريد والمنتخب الفرنسي قبل تحديد خطواته القادمة، فهو مطلوب من الجميع، والكل يريد التعاقد معه، والطريف في المسألة أن معسكري "العدوين" الدائمين برشلونة وريال مدريد يريدان استقدامه كي يعمل لفائدة أحدهما، والمقابل سيكون بلا شك خرافيا وكبيرا للغاية، بما أن المبلغ الذي يجب دفعه يناهز 200 مليون يورو.

ومثل حال جميس بوند في الأفلام الأميركية، فإن العميل الفرنسي رقم 007 سينجح في المهمة القادمة التي تنتظره مع المعسكر الجديد، إذ لم يفقد بعد أسلحته ومهاراته العالية، فالشخصان متشابهان كثيرا، إذ كلما تقدما بهما العمر كلما زاد تأثيرهما وتعاظمت قوتهما، وبتوفر كل العتاد والأسلحة المتطوّرة التي سيجدها في "فيلمه" الجديد سواء مع برشلونة أو ريال مدريد سيكون غريزمان قادرا على صنع المعجزات وتقديم صورة مبهرة للغاية تماما مثل رجل المخابرات جميس بوند.

بيرنلي يعاقب إيفرتون في البريميرليغ

❑ **لندن** – وضع بيرنلي حدا لمسيرة من 11 مباراة بلا انتصارات في الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم السبت، عندما منحه هدف متأخر سجله كريس وود بضربة رأس الفوز 2 – 1 على إيفرتون الذي أنهى اللقاء بعشرة لاعبين في مواجهة ممتعة باستاد تيرف مور.

وحول البديل وود تمريرة يوهان بيرغ غودموندسون العرضية برأسه في الشباك مسجلا هدف الفوز، بينما طرد آشلي وليامز قائد إيفرتون قبل أربع دقائق على النهاية بسبب مخالفة ضد آشلي بارنز.

وكان إيفرتون الذي حقق فوزا واحدا خارج ملعبه هذا الموسم، تقدّم في الدقيقة 20 عندما سجل المهاجم التركي جينك طوسون هدفه الأول مع النادي منذ انضمامه في يناير الماضي بضربة رأس عقب لمسة من شيموس كولمان لتمريرة عرضية من ثيو والكوت.

وأثار جوردان بيكفورد حارس إيفرتون إعجاب غاريث ساوثغيت مدرب منتخب إنكلترا الذي كان موجودا في المدرجات بعدما تصدى بشكل رائع لسلسلة من الفرص لكن بيرنلي هز شباكه أخيرا في الدقيقة 56.

ووصلت تمريرة ماثيو لوتون الرائعة إلى بارنز الذي تفوّق على مدافع بيرنلي السابق مايكل كين ليسجل في الزاوية القريبة لمرمى بيكفورد، قبل أن ينتزع وود النقاط الثلاث بهدفه المتأخر.

وعلى استاد ويمبلي مدد توتنهام هوتسبير سجله الخالي من الهزائم في جميع المسابقات إلى 17 مباراة متتالية، بعدما أحرز سون هيونغ مين ثنائية ليقوده للفوز 0–2 على هدرسفيلد تاون في الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم .

ورفع توتنهام، الذي أصبح مدربه الأرجنتيني ماوريسيو بوكيتينو أول مدرب غير أوروبي يفوز في 100 مباراة في الدوري الممتاز، رصيده إلى 58 نقطة من 29 مباراة في المركز الثالث.

وتألق الكوري سون في المباراة التي جاءت من جانب واحد وهز الشباك مرتين، بعدما سجل هدفين أيضا في الانتصار 6 1– على روتشديل المنتمي للدرجة الثالثة في لقاء إعادة بالدور الخامس في كأس الاتحاد الإنكليزي.

ووضع توتنهام في المقدمة في الدقيقة 27 عندما راوغ الحارس يوناس لوسل، الذي أنقذ العديد من الفرص وأضاف الهدف الثاني بضربة رأس في الدقيقة 54 عقب تمريرة عرضية مذهلة من هاري كين متصدر قائمة هدافي الدوري.

بداية الصحوة

«الرحلة» يكشف تعطش العراقيين للإنتاج السينمائي المحلي

أنهى وصول فيلم "الرحلة" إلى دور العرض بمختلف المحافظات العراقية في آن واحد صيام قطاع السينما لربع قرن عن الإنتاج المحلي، ليسلط الضوء على حال العراقيين بعيون شابة غامضة تستعد لتنفيذ عملية انتحارية.

الحياة تدب في قاعات السينما العراقية من جديد

❏ **بغداد** – أعاد فيلم "الرحلة" بعد يومين من عرضه، الحياة لصالات السينما العراقية بمختلف محافظات البلاد، كأول فيلم يجري تسويقه محليا منذ نحو 27 عاما.

وأخذ الإقبال على شراء التذاكر مع حلول السبت، ثالث أيام عرض الفيلم، وهو للمخرج العراقي محمد الدراجي، يزداد بشكل ملحوظ، مبشرا بنفض غبار السنوات الماضية عن مقاعد صالات السينما في البلاد.

وقال الدراجي "بدأنا بعرض الفيلم الخميس في بغداد ومحافظات دهوك والسليمانية وأربيل (شمال) وبابل والبصرة (جنوب)، وأطلقنا حملة المليون مشاهدة لتسويقه وحث المشاهد العراقي على المساهمة في إعادة إحياء السينما المحلية".

وأشار مخرج الفيلم إلى أن قصة "الرحلة" تعود أحداثها إلى عام 2006 الذي شهد صراعات طائفية وعمليات عنف في بغداد ومحافظات عراقية أخرى، حيث تحاول شابة غامضة تجاوزت عقدها الثاني تدعى سارة، الاستعداد للقيام بعملية انتحارية عبر التسلل إلى داخل محطة القطارات بصورة غريبة وإخفاء نفسها بين زحمة المسافرين، ثم يتوقف الزمن فجأة، لتجد نفسها في مواجهة غير متوقعة مع طبقات المجتمع العراقي، إذ بدأت في طريقها بملاحظة حال الشعب العراقي، وجوانب تأثيرات ما بعد عام 2003 (الغزو الأميركي ودخول البلاد في فوضى)، التي يسعى الفيلم لتسليط الضوء عليها.

واعتمد الدراجي في الفيلم على وجوه جديدة، أبرزها بطلته زهراء غندور.

وقالت الشابة العراقية ميس عبدالله بعد مشاهدتها الفيلم في العاصمة العراقية بغداد "سعيدة جدا بالفيلم كونه أول فيلم عراقي بهذه الإمكانيات".

وأضافت عبدالله (25 عاما) "الإخراج رائع واستخدام الظل والضوء مميز، الموسيقى التصويرية رائعة، لكن السيناريو فيه نقاط ضعف وبعض الجمل في الحوار كانت مبتذلة، القصة كانت تنقصها تفاصيل أكثر تعمّق ارتباط المشاهد بالأحداث والأبطال".

ويشار إلى أن أعمال التصوير تمت عام 2016 في بغداد، بدعم من الحكومة العراقية وحكومات بريطانيا وهولندا وفرنسا.

وشارك الفيلم قبل عرضه محليا في مهرجانات دولية مهمة، أبرزها "تورنتو السينمائي الدولي" في كندا، و"لندن السينمائي 2017" في دورته الـ61، وحصل على إشادات واسعة من قبل النخب السينمائية العالمية وكذلك المتابعين.

ويعتبر المركز العراقي للفيلم المستقل أن هذه التجربة تشكل إضافة كبيرة لصناعة السينما والثقافة العراقية الجديدة في مرحلة ما بعد العام 2003، علما وأن المركز أنتج أكثر من 20 فيلما طويلا وقصيرا ووثائقيا.

وقال سالم سلمان، مدير تصوير الفيلم، وفقا لما أورده بيان صحافي للمركز العراقي في فبراير الماضي، إن "الرحلة هو فيلم عراقي بحت، حيث كادر التصوير وجميع الممثلين من العراق، وهذا بحد ذاته إنجاز للسينما العراقية".

وأضاف "نعول على الجمهور العراقي في الحضور للدور السينمائية من أجل تحقيق الوصول إلى مليون مشاهد، وهذه ليست الغاية، بل الغاية هي أن نعيد الحياة السينمائية للعراق ونحيي دور السينما من جديد، بالإضافة إلى الغاية الأساسية وهي محاربة الإرهاب فكريا بعد أن حاربناه وانتصرنا عليه عسكريا".

والدراجي هو مخرج عراقي من مواليد بغداد عام 1978، درس الإخراج المسرحي ثم سافر إلى هولندا، حيث حصل على شهادة الماجستير في السينما من جامعة ليدز البريطانية. وقام بإخراج العديد من الأفلام القصيرة، منها "البلدوزر" و"نحيف" و"الحرب"، ومن أفلامه الطويلة "ابن بابل" و"أحلام".

وتركز أفلامه على معاناة الشرائح الضعيفة في بلاده، بسبب الفوضى الأمنية وأعمال العنف.

السعودية تشهد أول ماراثون بمشاركة نسوية

❏ **الأحساء (السعودية)** – شاركت السيدات لأول مرة في تاريخ المملكة العربية السعودية، السبت، في ماراثون للجري، أقيم في محافظة الأحساء شرق السعودية.

وشهد الماراثون الذي أقيم تحت عنوان "الحسا تركض" مشاركة واسعة من مختلف الفئات العمرية للرجال والسيدات (محترفين، شباب، أطفال، كبار السن)، بينهم محليون وأجانب.

وتمكنت السعودية مزنة النصار في مسابقة السيدات، من الحصول على المركز الأول في مسافة 3 كيلومترات من بين 1500 مشاركة من جنسيات مختلفة، بحسب موقع العربية نت. واشترط الرعاة "الهيئة العامة السعودية للرياضة، وهيئة الترفيه وأمانة الأحساء"، على المشاركات الالتزام بالضوابط الشرعية والحجاب.

وتستضيف مكة المكرمة غربي السعودية، في أبريل القادم ماراثونا نسائيا، يعد الأول من نوعه يقام بها. كما تعتزم السعودية إقامة أول ماراثون نسائي رسمي للعداءات السعوديات العام القادم.

وكشف رئيس الاتحاد السعودي لألعاب القوى هادي القحطاني عن "مشاركة العداءات السعوديات في ماراثون العام القادم، على أن يتم اعتماد مشاركتهن بعد شهرين".

تمثال يحضر حفل الأوسكار بدل واينستين

❏ **لوس أنجلس** – لن يحضر المنتج السينمائي الأميركي المتهم بالتحرش هارفي واينستين حفل توزيع جوائز الأوسكار، لكن حضوره سيكون ملموسا في هوليوود، حيث أزاح فنان يدعى بلاستيك جيسوس الستار عن تمثال بالحجم الطبيعي لواينستين قرب مكان إقامة حفل الأوسكار.

ويجسد التمثال واينستين مرتديا ثوب حمام وهو يجلس على أريكة ذهبية اللون ويمسك في يده تمثال الأوسكار.

واتهمت أكثر من 70 امرأة واينستين بالتحرش الجنسي والاغتصاب.

وينفي المنتج السينمائي إقامة علاقة مع أي امرأة دون رضاها.

ولم يرد ممثلوه على طلب التعليق على التمثال.

وكتب جيسوس، وهو "فنان شارع" في بيان على صفحته بموقع فيسبوك "بينما يعتقد الكثيرون أن الابتزاز الجنسي هو أمر ينتمي للماضي من الواضح أنه ما يزال يشكل جزءا من ثقافة هوليوود".

وطرد واينستين من أكاديمية فنون وعلوم الصور المتحركة كما طردته شركته، التي أعلنت أنها تعتزم إشهار إفلاسها.

ويأتي صنع هذا التمثال بعد ظهور لافتات في لوس أنجلس الأربعاء الماضي صممها فنان الشارع سابو يتهم من خلالها قطاع الترفيه بالصمت إزاء التحرش الجنسي.

أفادت تقارير إعلامية أن الفنانة اللبنانية نانسي عجرم كانت على علم بعلاقة الفنان العراقي كاظم الساهر بالشابة التونسية سارة مقني، وحافظت على كتم السر إلى أن أعلن وسام نجل «القيصر» عن علاقة والده العاطفية. وخرج كاظم الساهر بدوره عن صمته متحدثا للمرة الأولى عن موضوع زواجه المرتقب

بطاريق تضع العلماء أمام اكتشاف كبير

❏ **باريس** – فوجئ باحثون باكتشاف أكثر من 1.5 مليون طير بطريق أديلي معزولة على الجليد في أرخبيل واقع بالمحيط المتجمد الجنوبي، وهم يحرصون الآن على ضمان سلامتها في محمية بحرية.

وهذه الحماية مهمة لطيور البطريق في جزر دينجرز آيلاند، الواقعة في شرق شبه الجزيرة القطبية الجنوبية، خصوصا وأن بعض المجموعات من النوع نفسه تسجل تراجعا في منطقة تقع على بعد أقل من 200 كيلومتر إلى الغرب من شبه الجزيرة التي تعاني من ذوبان الثلوج الناجم عن ظاهرة الاحتباس الحراري.

ويقف وراء هذا الاكتشاف الذي نشر في مجلة "ساينتفيك ريبورتس"، تحليل صور ملتقطة بالأقمار الاصطناعية في هذا الأرخبيل الصغير الواقع في بحر ويديل، بحسب هيذر لينش من جامعة ستوني بروك الأميركية.

وأوضحت لينش "في البداية ظننت أن في الأمر خطأ. لكن عندما اطلعنا على صور الأقمار الاصطناعية التجارية عالية الوضوح، أدركنا أننا أمام اكتشاف كبير".

وقال توم هارت، الباحث في قسم علم الحيوانات في أكسفورد في بيان، "لقد كانت تجربة لا تصدق بأن نجد هذا العدد من طيور البطريق.. هذا عدد ضخم من طيور البطريق 'الجديدة' إلا أنها جديدة فقط بالنسبة للعلم".

صباح العرب

عدلي صادق

الأصولية والسلطة

❏ للمرء أن يؤمن كما يشاء، إن كان ما يؤمن به دينا أو أيديولوجيا سياسية، أو كلاهما. وليست الجماعات والأحزاب الدينية وحدها هي التي ترفض الآخر، وإنما كل سلطة مستبدة، تنطوي على أي أيديولوجيا أو يشغلها هاجس الوصول إلى السلطة وإقصاء الآخرين. لكن أخطر المستبدين هم الذين يقتطعون لأنفسهم جزءا من المقدس ويستبدون باسمه، ويصدقون أنهم من نسيجه، وإن طرحوا أرضا، يمتشقون المقدس نفسه في وجه من أطاحهم، ويصوغون به مظلومياتهم. فهؤلاء لو تمكنوا من السلطة سيكونون أعتى استبدادا.

المشكلة هنا تتعلق بالقناعة، بالتنوع وقبول الآخر. ولا يختلف اثنان على أن الأصوليات المسيحية والإسلامية في التاريخ اعتمدت العنف كقوة إكراه، ومن أبرز العناوين المبكرة لهذه الحقيقة، محاكم التفتيش في أوروبا، والفتنة الكبرى في صدر الإسلام، وبعدئذ الصراعات داخل المسيحية وداخل الإسلام.

في الفضاء الإسلامي، يمكن القول إن الأصولية العنفية، التي فتكت بالوئام الاجتماعي العربي الذي تحقق في مراحل مناهضة الاستعمار؛ قد وصلت في العقود الأخيرة إلى ذراها وإلى حدودها التاريخية، بشكليها: المتطرف العنفي الذي مثلته "القاعدة" ثم "داعش" وشكله التنظيمي الاجتماعي الذي يزعم الاعتدال والوسطية جهارا ويعتمد العنف في الخفاء. الآن يلفظ داعش أنفاسه الأخيرة ولم يترك للمسلمين سوى قبور ضحاياهم وانفتاح بطون الأوطان للمستعمرين القدامى والجدد. أدعياء الاعتدال بدورهم سقطوا لأنهم تجاهلوا معنى الدولة وتغاضوا عن ضرورة التنوع والقبول بالآخر، فأصبحوا اليوم إما ضيوفا على بلدان المستعمر وإما في السجون، وإما حلقات راغبة في الخلاص، جاهزة لإظهار مراجعاتها وطواعيتها لمحددات الدولة وشروط استمرارها.

بقايا الفئة الأصولية السلفية التي تزعم الاعتدال والوسطية، لازالت تكابر وتخوض معركتها الأخيرة. ومن أين تنطلق ومع من تتحالف؟ مع بلدان علمانية أو تقليدية، تعتمد هي نفسها التنوع في الاقتصاد والثقافة والتحالفات لكنها في السياسة تستخدم "الجماعة" لهجاء الآخرين، لضمان نفوذها وحل إشكالاتها، وهذه بالطبع، لا تحكم بما أنزل الله، ولا ترضى لنفسها الأنموذج الذي تحاول الجماعة تطبيقه في بلدها، وهي على علاقة مع إسرائيل. هنا تتجلى مقولة الإمام محمد عبده، عندما قال "إن دينا، كنت أرجو صلاحه، أحاذر أن تقضي عليه العمائم"، أو إن شئنا نعود إلى مقولة الإمام علي، الذي قال في وصف الخوارج "إنما القرآن خط مسطور بين دفتين لا ينطق، وإنما يتكلم به الرجال". أما الرجال الذين يقصدهم، فإنهم رجال التقوى والعدل والوئام.